

في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي



د. عبد الواحد ذنون طه

الدار العربية للموسوعات



د. عبد الواحد ذنون طه

الدار العربية للموسوعات

الطبعة الأولى
١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م
الطبعة الثانية
١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م



أت
٩٠/٠٠٩٦١٥ـ فاكس: ٠٠٩٦١٥/٤٥٩٩٨٢
٥٢٥٠٦٩/٠٠٩٦١٣ـ بيروت ـ لبنان
ـي: www.arabenchouse.com
ـي: info@arabenchouse.com
ها العام: خالد العاني

تصدير

كان من المتوقع لهذه الدراسة أن ترى النور قبل هذا التاريخ ، ولكن ظروف دراستي وسفري الى المملكة المتحدة للحصول على درجة الدكتوراه أجلت نشرها الى الان . ولعل في هذا خيراً كثيراً ، حيث أن العالم الاسلامي يحتفل هذه الأيام بالقرن الخامس عشر الهجري ، وانه لمن دواعي السرور أن تنشر الرسالة في هذا الوقت . ونظر لاعتزازي بهذا العمل الذي تطلب مني جهداً كبيراً رأيت الا اغير فيه شيئاً ، وأن انشره كما هو لانه حصيلة حقبة عزيزة على النفس .

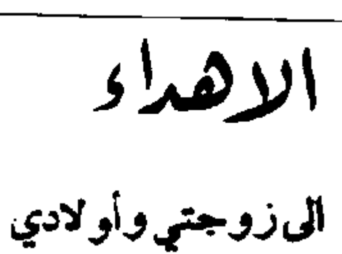
وأرى لزاماً عليّ في هذا المجال أن اتوجه بالتقدير والاحترام لذكرى أستاذي المرحوم الدكتور ناجي معروف الذي تفضل بالاشراف على هذه الرسالة ، كما أشكر الاساتذة الكرام الذين ساعدوا في إعدادي للبحث في أثناء المرحلة التحضيرية ، وعلى رأسهم الدكتور جواد علي ، والدكتور فيصل السامر ، والدكتور عبد الوهاب القيسي ، والاستاذ محمد توفيق حسين .

كما أتوجه بشكري الخالص الى الدكتور عبد الأمير دكسن على مساعداته الكثيرة التي تضمنت اعارتي لبعض المخطوطات والدوريات ، وقراءته لفصول الرسالة . وملاحظاته في أثناء المناقشة . ولايفوتني أن أقدم الشكر الجزيل الى الدكتور صالح أحمد العلي على ملاحظاته القيمة التي ابداها في أثناء مناقشته للرسالة واشكر أيضاً الدكتور فاروق عمر فوزي على تفضله بقراءة بعض الفصول وعلى ملاحظاته المفيدة .

وأشكر أيضاً كل الذين ساعدوني ، وبخاصة الدكتور عبد العزيز حميد ، والدكتور عواد الاعظمي والاستاذ فؤاد سفر ، ومسؤولي قسم المسكوكات والتصوير في مديرية الاثار العامة ، كما أشكر السيد ادريس سليمان على مساعدتي في تفهم بعض النصوص الاجنبية .

د . عبد الواحد ذنون طه





الاهداء

الى زوجتي وأولادي



المقدمة

مضامين البحث وتحليل المصادر

(آ) مضامين البحث :

تعتبر فترة الحكم الأموي في العراق ، من العهود البارزة في تاريخه المليء بالأحداث ، فقد شهد هذا العهد صراعاً عنيفاً من أجل تثبيت وترسيخ السيطرة الأموية فيه . اذ أن السيطرة على العراق كانت تعني تمهيد السبيل لنشر راية الأمويين على المناطق الشرقية التي تتاخم الدولة الأسلامية ، وتوسيع رقعتها في تلك النواحي . ولقد شهدت الفترة التي تولى فيها الحجاج بن يوسف الثقفي حكم العراق ، قمة هذا الصراع ، كما شهدت في الوقت نفسه أقصى ماكان يرغب فيه الأمويون من السيطره المحكمة على هذا الجزء المهم من الدولة ، ومن ثم اتخاذه قاعدة للأنطلاق نحو الشرق في فتوحات وصلت بالمسلمين الى السند والهند والصين .

ولهذا فقد تميز هذا العهد بأهمية بالغة حملت الكثير من المؤرخين القدامى والكتاب المحدثين ، على الأستطراد في ذكر تفاصيل الأحداث التي جرت فيه ، كما حملتهم في نفس الوقت على اصدار أحكام قاطعة محددة على هذا العصر ورجاله خاصة ، ولقد نال الحجاج بن يوسف النصيب الأوفى من هذه الأحكام ، فأتهم بشتى الأتهامات ، التي شملت كل ناحية من نواحي حياته الشخصية ، اضافة الى سياسته واسلوبه في الحكم ، كما صور العراق في عهده أبشع تصوير ، ونسب اليه الإفراط في القتل وسفك الدماء ؛ ومع ذلك فقد أنصفه عدد من المؤرخين ونسبوا اليه أفعالا تنم عن شخصيته الفذة .

أن الدراسة الموضوعية لطبيعة الظروف التي كانت سائدة في ذلك العهد ، تجعل الباحث يعيد النظر في الطريقة التي كتب بها تاريخ تلك الفترة ، وينظر بعين الشك الى الكثير من الروايات والاخبار التي حاولت تصوير العراق في ذلك العهد ، على غير حقيقته ، وهذا ماشجعني على اختيار هذا الموضوع .

فمن المعروف أن تاريخ الأمويين ، كتب في عصر العباسيين ، وبطبيعة الحال ، فقد حاول هؤلاء طمس كل ماهو اموي ، وتبديد الكتب القديمة

التي تتحدث عنهم . وكان معظم المؤرخين الذين كتبوا تاريخ الأمويين يعيشون في العصر العباسي ، فبالغوا في إظهار مثالب الأمويين ، وذكر مظالم ولاتهم وقد اتخذوا من الحجاج نموذجاً لهؤلاء الولاة فضخموا اعماله ، وسهلت عليهم شدة الحجاج مهمتهم . فما كان عليهم الا أن يبالغوا ويزيدوا في المبالغة ، وأن يدسوا عليه الروايات الكاذبة ليشوهوا تاريخه ، وتاريخ بني امية بوجه عام ، يضاف الى ذلك ، ان الظروف الحرجة والأحداث التي مرت في ذلك العهد ، أعطت لهؤلاء المؤرخين والرواة ، الفرصة المناسبة للنيل من الحجاج ومن الأمويين ، فقد كان عدد الثورات التي قضى عليها الحجاج كبيراً ، وهذا يعني أن عدد الموتورين من سياسته ، الحاقدين عليه ، أصبح كبيراً بنفس تلك الدرجة . فلقد وقف الزبيريون في وجهه لأنه قضى على حركتهم في الحجاز والعراق، وعاداه أنصار العلويين . لانه ثبت دعائم الحكم الأموي في العراق ، وحال دون تحقيق رغباتهم وتطلعاتهم ، كما ناوأه المهالبة . لأنه ضرب مصالحهم ، وعزل عميدهم (يزيد بن المهلب) عن خراسان . يضاف الى هذا أنه أكتسب عداء الخوارج ، وكان حرباً عليهم وعلى حركاتهم . وكان من كل هؤلاء شعراء ، وأدباء ، وقصاص ، ورواة ، قام كل منهم حسب اختصاصه وموهبته ، بتلفيق ما يشاء عن الحجاج وعن سياسته في العراق . وعلى سبيل المثال ، كانت كتب الادب بصورة خاصة ملأى بالروايات المبالغة التي تتناول الحجاج وحكمه ، وتصوره بصور بعيدة عن الواقع ، يغلب على معظمها الخيال . ونتيجة لهذا ظهر عندنا ذلك الخليط العجيب من الروايات التي يختلط فيها الحق بالباطل ، وغالبا ماترجح كفة الباطل ، فلا نكاد نرى فيها الا الكذب الواضح الذي لايصدقه العقل . ولا تؤيده الوقائع التاريخية ، ولا توثقه الكشوف العلمية الحديثة ، كحادثة قتله لما يزيد على سبعين الف رجل من المصلين في جامع واحد هو جامع البصرة (١)

(١) انظر ص ٧٢ – ٧٣ من هذا البحث.

إن هذا البحث منصب بالدرجة الاولى على الدراسة الموضوعية لاحوال العراق في حكم الحجاج ، من الناحية السياسية والادارية ، وقد أخذنا بنظر الاعتبار ، أن المبالغة والافتراء قد خالطا الكثير من الاخبار المروية عن هذه الفترة ، إبتداء من حياة الحجاج نفسه ، الى طريقة حكمه للعراق . وقد قسمت البحث الى مقدمة وستة فصول .

يشمل الفصل الاول ، دراسة حياة الحجاج الاولى ، وعهد نشأته ، ويظهر فيه أن اسرة الحجاج كانت معروفة بين أشراف ثقيف وسراتهم ، وكان لأبي الحجاج ، دور بارز في الحياة العامة ، وسرعان ماانضم اليه الحجاج ، فأنغمرا في حياة السياسة وخدمة الامويين ، وكانت النتيجة ، أن تألق نجم الحجاج عند عبد الملك بن مروان (٦٥ — ٨٦ هـ / ٦٨٤ — ٧٠٥ م) لما ظهر منه من كفاءة ومقدرة في تسيير الامور ، مما مهد السبيل الى توليته حرب عبد الله بن الزبير (ت ٧٣ هـ / ٦٩٢ م) ، ومن ثم ولاية العراق .

وفي القسم الثاني من هذا الفصل ، تناولت اموراً مهمة من حياة الحجاج الشخصية ، وحاولت تقويم شخصيته على أساس الروايات التي تطرقت الى هذا الامر ، فتبين لي من خلال هذه الروايات — التي ركزت بالدرجة الاولى على عيوبه وحاولت اظهارها بمظهر بارز — أن هناك الكثير من الجوانب الايجابية في شخصية الحجاج ، ولم تحاول هذه الروايات أن تفصل فيها ، أو تمنحها ماتستحق من اهمية . فلقد اكدت المعلومات التي بين ايدينا ، أن الحجاج كان رجلاً متديناً الى درجة لايرقى اليها الشك ، كما كان مستقيماً ، لاتأخذه في قول الحق لومة لائم ، عفيفاً عن اموال الغير وأعراضهم ، معتدلا في اكله وشربه وعلاقاته مع نسائه ، مات ولم يخلف وراءه سوى دراهم معدودات .

وقسمت الفصل الثاني الى اقسام ثلاثة ؛ يشمل القسم الاول ، التحديد الجغرافي للعراق في عهد الحجاج ، أما القسم الثاني ، فقد تناولت فيه عوامل

اختيار الحجاج لولاية العراق . وكانت مشكلة العصاة الفارين من حرب الخوارج على رأس المشاكل التي دفعت الخليفة الاموي الى التفكير برجل حازم يستطيع أن يتولى امر العراق ، ويرد خطر الخوارج عنه .

وفي القسم الثالث ، درست مدى نجاح الحجاج فيما أسند اليه من مهام جسام ، فتبين لي أهمية الاجراءات التي قام بها ، والتي هدفت بالدرجة الاولى الى تجنيد الجنود وارسالهم لمواجهة الخوارج ، كما هدفت أيضاً ، الى إقرار الامن والنظام ، واحترام سلطة الدولة في الولاية .

وفي الفصل الثالث ، تطرقت الى الثورات المحلية ، أسبابها ونتائجها وذلك عن طريق الدراسة المركزة لأسباب هذه الثورات . وقد تبين لي في هذا الفصل بالذات ، أن سياسة الحجاج لم تكن منزهة عن الخطأ والزلل ، فلقد كانت له بعض المواقف الخاصة التي أدت الى الحاق الضرر بأهل العراق . ناهيك عما عاناه هو من متاعب وأهوال أثناء مواجهته لبعض الثورات ، التي كانت سياسته السبب المباشر لها . ولكن على الرغم من هذا كله ، فنحن لانستطيع أن نحمله نتائج كل ماحدث ، فقد قامت بعض الثورات التي واجهته في ذلك العهد ، قبل أن يتولى ولاية العراق ، كما حدث البعض الاخر منها في مناطق لاتخضع لولايته ثم انتقلت اليها ، لأن أسباب أكثر هذه الثورات يعود بالدرجة الأولى الى الظروف التي أحاطت بقيام الحكم الأموي عامة . ومحاولة هذا الحكم تثبيت السيطرة على العراق بصورة خاصة .

ويحتوي الفصل الرابع : وهو فصل التنظيم الإداري ، على جملة الأمور والقضايا الإدارية التي تخص ذلك العهد ، وتشمل الوظائف الإدارية واستخدام الموظفين في الولاية ، والنظر في كفاءة الرجال ومقدار مايقدمونه من خدمات الى الدولة، كما يشتمل هذا الفصل أيضاً على قيام الحجاج بحملة واسعة لتنظيم الجند في العراق ودراسة أحوالهم ومقدار أعطياتهم ، وفي مجال الأمن وتوطيد النظام والأستماع الى شكاوي المواطنين . الى غير ذلك من التنظيمات العديدة التي بحثتها خلال هذا الفصل أيضاً .

كما بحثت مسألة تعريب الدواوين بتفصيل دقيق ، مع الدراسة الجادة لأسبابها الرئيسة ، بعيداً عن الروايات التي قدمت اسباباً ثانوية لاتشير الى الدوافع الحقيقية التي دفعت الدولة للقيام بهذه المهمة الخطيرة .

وهناك تنظيمات ثقافية ، وصحية ، واجتماعية ، واصلاحات ادارية أخرى حظيت بأهتمام الحجاج ، خاصة ماتعلق منها بتنقيط واعجام القرآن واصلاح المكاييل ، وغيرها من التنظيمات الأخرى التي ذكرت في هذا الفصل أيضاً . وأخيراً فقد أحتوى هذا الفصل على الأسباب الرئيسة التي دفعت الحجاج الى بناء مدينة واسط ، واختيار موقعها بالذات ، واتخاذها قاعدة لأدارة العراق ، مع ذكر الكثير من التنظيمات التي أمر الحجاج بتنفيذها في هذه المدينة .

أما الفصل الخامس ، فيضم قسمين كبيرين ، الأول يتناول الأصلاح النقدي ، ويبدأ بشرح مركز لتطور النقود الى عهد الأصلاح النقدي الذي قام به عبد الملك بن مروان ، ونفذه الحجاج بن يوسف في العراق والولايات الشرقية ، ولعب دوراً بارزاً في تطوير العملة الفضية خاصة . ونتيجة لهذا الأصلاح ، فقد ظهرت النقود الأسلامية الخالصة ، المجردة من كل التأثيرات الأجنبية ، وعممت على كل أنحاء الدولة العربية الأسلامية . وقد زودت هذا الفصل بصور للدراهم قبل الأصلاح النقدي وبعده .

وفي القسم الثاني تناولت موضوع الجزية والخراج ، ومحاولة الحجاج رفع مستوى الجباية في العراق ، فأستعرضت استعراضاً سريعاً وضع هذه الضرائب منذ عهد الرسول (ص) والراشدين حتى عهد الحجاج الذي حاول أن ينظم واردات الدولة من هذين المصدرين ، فقام بأجراءآت عديدة كانت مثار جدل ونقاش بين المؤرخين القدامى والمحدثين . وقد تبين لي أثناء البحث أن أجراءآت الحجاج هذه كانت إدارية بالدرجة الأولى ، هدف من ورائها إلى رفع مستوى الجباية وأعمار البلاد . وفي هذا المجال بصورة خاصة ،قام

باصلاحات زراعية ، وتنظيمات إروائية عظيمة في العراق : شملت حفر الأنهار ، والترع ، وإستصلاح الأراضي ، والأهتمام بحالة الفلاحين .

وحاولت في الفصل السادس أن أنوّه سياسة الحجاج في العراق بصورة عامة . فذكرت معظم المآخذ التي تؤخذ على حكمه ، وقد ظهر لي ، أنه لايمكن تحميل الحجاج وزر الكثير من هذه المآخذ ، لأن بعضها كانت تنفذ من قبل سياسة الدولة المركزية ، من ذلك مثلاً ، جلب أهل الشام إلى العراق وزيادة أعطياتهم بالنسبة لما يأخذه أهل العراق . كما تبين لي أيضاً ، أن الكثير من هذه المآخذ يعوزها الدليل القوي على الإثبات ، خاصة إتهامه بالتعصب للقيسية ، أو بمعاداة العلويين وأنصارهم . أما القسوة وتهمة القتل لأجل القتل ، وسجن مئات الألوف من الناس ، فلا يمكن تصديقها لأن مواقف الحجاج الايجابية الأخرى تكذب ذلك ، وتظهره بمظهر الحريص على أرواح المسلمين ودمائهم . وقد ظهر لي بوضوح تام ، أن الحجاج قتل فعلاً ، وسجن عدداً كبيراً من الناس ، ولكن لاكما قدرته بعض الروايات بمئات الألوف ، ولم يكن ذلك بدون سبب ، فقد كان يقتل العصاة ، والمتمردين على الدولة ، والذين يقومون بمحاولات للثورة ، أو لقلب نظام الحكم ، فهو إن قتل أو سجن فبسبب التمرد لا للانتقام الشخصي، أو المذهب ، أو حباً في القتل . وقد بينت في نهاية الفصل علاقة الحجاج بالسلطة المركزية للدولة فظهر في كثير من الأمور ، أنه كان منفذاً للسياسة العامة التي يرسمها الخليفة الأموي، فهو إذاً بمثابة موظف كبير له صلاحيات واسعة في تمشية الأمور السياسية والادارية .

(ب) تحليل المصادر :

أما المصادر التي إعتمدتها في إعداد هذه الرسالة فتأتي الكتب التأريخية في مقدمتها ، وسأتطرق فيما يأتي إلى نماذج من هذه المصادر المهمة حسب ترتيبها الزمني ، علماً بأني سوف لن أفصل في المشهور منها «كتأريخ الرسل والملوك» للطبري مثلاً .

«كتاب الأخبار الموفقيات» للزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م) الذي يعتبر من أبرز علماء المدينة في النصف الأول من القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وتتميز معظم أخباره بقصرها وبكونه يذكر سند هذه الروايات. ولكن معلوماته تخلو من التعليقات الشخصية والاستنتاجات العقلية (١). وأغلب أخباره تدور حول الخلفاء ورجال البلاط. وتزيد رواياته عن العراق على ما سواه من البلاد. لهذا فهو يعتمد على كثير من الرواة العراقيين ،كما يظهر ميلاً واضحاً إلى العلويين، مع إتجاهه المعروف إلى آل الزبير (٢). ولقد إعتمد الزبير على عوانه بن الحكم (ت ١٤٧هـ/٧٦٤م) في نقل رواية إختيار الحجاج لولاية العراق، وكذلك خطبته في الكوفة (٣)، كما إعتمد أيضاً على المدائني (ت٢٢٥هـ/٨٣٩م) في نقل روايات أخرى عن عهد الحجاج(٤)

وفي كتاب «الإمامة والسياسة» المنسوب لأبن قتيبة (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م) تفصيل كبير عن موضوع الحجاج ودخوله العراق لأول مرة، وكذلك عن ثورة ابن الأشعث، وما دار بينه وبين الحجاج من حروب : وفيما عدا ذلك لايتطرق الى أمور أخرى مهمة تخص فترتنا في البحث. على أن معظم رواياته عن تلك الفترة هي روايات متطرفة كرواية قتل الحجاج لما يزيد عن سبعين ألفاً في مسجد البصرة، ولكنه من جهة أخرى يبدو وكأنه مع الحجاج على ابن الأشعث. أما حوادث ثورة ابن الأشعث نفسها فمرتبكة عنده ومشوشة وخاصة مواقعها الحربية.

(١) العلي، في تقديمه للكتاب، ص ١٠.
(٢) من مقدمة المحقق، سامي مكي العاني.
(٣) الأخبار الموفقيات، ص ٩١.
(٤) نفس المصدر، ص ١٠٣، ٤٧٥.

وهناك شك في نسبة هذا الكتاب الى ابن قتيبة ، وقد بدأ هذا الشك المستشرق (غانيغوس المجريطي) وتبعه (دوزى) (١) ، ويرجح جبرائيل جبور (٢) ، أن مؤلف هذا الكتاب هو علي بن حزم الظاهري الأندلسي المتوفي سنة (٤٥٦ هـ /١٠٦٣ م) وقد اعتمد في ذلك على نص وجده في كتاب « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » لأبن بسام ، يذكر فيه أخباراً عن ابن حزم ، ونتفاً من أقواله ويسرد فيه جدولا بأسماء بعض كتبه ، وكان بينها كتاب « الإمامة والسياسة» وهناك من ينفي نسبة هذا الكتاب الى ابن حزم ، وفي نفس الوقت ينفي نسبته الى ابن قتيبة أيضاً ، (٣) وهكذا أصبحت قضية هذا الكتاب معلقة الى أن يكشف لنا المستقبل عن أسم مؤلفه الحقيقي .

ويعتبر كتاب « أنساب الأشراف » للبلاذرى (ت ٢٧٩ هـ /٨٩٢ م) في مقدمة المصادر التأريخية التي اعتمدناها في هذا البحث . ويشتمل هذا الكتاب على تأريخ العرب في جاهليتهم واسلامهم الى العصر العباسي الأول ولكنه لم يرتب على سني الهجرة ، بل رتب على أنساب قبائل العرب ، فأذا عرض ذكر رجل نابه في قومه أتى بخبره ، واذا جاء ذكر خليفة من الخلفاء ، لم يقتصر على وصف سيرته بل أحيط بحوادث وقته . ولقد استأثرت أخبار بني أمية بأكثر من ثلث الكتاب (٤). وبالنسبة للحجاج ، فهناك فصل كامل عنه في الجزء الحادي عشر من مخطوطة المغرب ،(وفي نسخة اسطمبول ،الورقة ٦٠٤ ب ـ ٦٢٥ أ) ، اضافة الى أخباره عند الحديث عن عبد الملك بن مروان،

---

(١) انظر : مقدمة الجزء الرابع من كتاب « عيون الأخبار » لا بن قتيبة ، لأحمد زكي العدوي ص ٣٦ – ٣٧ ، وعن موضوع نسبة الكتاب اليه ونفيها ، انظر ايضاً : مقدمة «المعارف» تحقيق : ثروت عكاشة ، ص ٥٦ .

(٢) «كتاب الأمامة والسياسة المنسوب لا بن قتيبة – من هو مؤلفه ! »مجلة الأبحاث ، جـ٣ ، السنة ١٣ ، ايلول ١٩٦٠ ، ص ٢٩٠ .

(٣) محمد يوسف نجم «كتاب الامامة والسياسة المنسوب لا بن قتيبة – من هو مؤلفه » مجلة الأبحاث ، جـ١ ، السنة ١٤ ، آذار ١٩٦١ ، ص ١٢٢ – ٣٢ .

(٤) مقدمة كتاب أنساب الاشراف ، جـ٥ ، ص أ – ب .

حيث يتناول أهم الأحداث والثورات التي حدثت في العراق . ويضم الجزء الحادي عشر الذي طبعه أهلورت (W. Ahlwardt)(١) كثيراً من هذه الأخبار . ويعتمد البلاذري في أخباره على ماينقله الرواة ولكنه في أحيان كثيرة يوازن بين الروايات ، وقد يبدي رأيه في الحادثة ايضا (٢) . وعلى الرغم من اتصال البلاذري بالعباسيين فانه محايد في اخباره ومتزن ، فهو يفسح المجال لكافة الروايات ويحاول بصورة جدية ان يكون موضوعيا في اخباره (٣) . واهم الرواة الذين اعتمدهم في الكلام عن الفترة موضوع البحث هم ، المدائني ، وعوانه ، وابو مخنف (ت١٥٧ هـ/٧٧٤م) ، والهيثم ابن عدي (ت٢٠٦هـ/٨٢١م) ، وهشام الكلبي (ت٢٠٤هـ/٨١٩م) . وفي بعض الاحيان لايسند الرواية الى احد ، بل يكتفي بذكر كلمة «قالوا» . ويعتبر كتابة الاخر « فتوح البلدان » من المصادر المهمة التي استفدت منها في كثير من الامور الادارية التي تتعلق بموضوع البحث .

اما كتاب «الاخبار الطوال» للدينوري (ت٢٨٢هـ/٨٩٥م) . فالاستفادة منه قليلة فيما يخص عهد الحجاج خاصة ، فهو يتحدث عن ثورة ابن الاشعث باقتضاب ، وروايته تختلف عما جاء عند البلاذري والطبري ، من حيث اسباب خروج ابن الاشعث ، ومع هذا فهو غير دقيق في التواريخ ، فيجعل وفاة الحجاج في السنة الخامسة من تولي الوليد الاول للخلافة (٨٦ – ٩٦هـ/ ٧٠٥ – ٧١٤م) . ويثبتها قبل وفاة الوليد بنحو من اربع سنوات ونصف(٤) يضاف الى ذلك ان الدينوري ليس لديه اي اتجاه نقدي لمصادره ولا يسميها(٥)

(١) طبع بمطبعة يولس آبل في غريفز ولد ، ١٨٨٣ م.
(٢) أنساب الاشراف ، ص ٣٤٨ (ط . أهلورت).
(٣) الدوري ، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، ص ٥٠ .
(٤) الأخبار الطوال ، ص ٣٣١ .
A.,Dixon. "The Umayyad Caliphate 65–86/684–705" (Apolitical Study), P.5.
(٥) انظر : الترجمة العربية للكتاب : عبد الأمير عبد دكسن ، الخلافة الاموية ٦٥ – ٨٦هـ / ٦٨٤ – ٧٠٥ م دراسة سياسية ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ١٣ .

كما يبدي شيئا من الميل للعباسيين (١) .

وقد تحدث اليعقوبي (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م) في كتابه «التاريخ» عن هذه الفترة ايضا ، بصورة مختصرة ومقتضبة . ويظهر طابع الحياد على معظم رواياته ولكنه يظهر بعض التأييد للعلويين ، كما ينتقد بشدة سياسة الحجاج في الحجاز والعراق ، وفي قائمة الرواة الذين اعتمدهم اليعقوبي ، نستطيع ان نتبين ، ان بعض مصادره كانت علوية وعباسية (٢) . وفي هذا مايلقي الضوء على بعض رواياته التي تتسم بالتزلف او التقرب للعباسيين (٣) .

ويعتبر كتاب (تاريخ الرسل والملوك) للطبري(ت٣١٠هـ/٩٢٢م) من اهم المصادر التاريخية التي اعتمدتها في هذا البحث ، فهو يحوي الكثير من التفصيلات والروايات التي تتحدث عن هذه الفترة ، اضافة الى بعض المعلومات التي تتعلق بموضوع الادارة .

ومن مصادر البحث المهمة مخطوطة «الفتوح» (٤) لابن اعثم الكوفي (ت٣١٤هـ/٩٢٦م) ، وتتألف من مجلدين . عدد اوراق المجلد الاول (٢٦٧) ورقة ، والمجلد الثاني (٢٧٨) ورقة ؛ ويبتدىء المجلد الاول من عهد عثمان بن عفان (٢٣ ـ ٣٥هـ/٦٤٣ ـ ٦٥٥م) الى قيام المختار بن عبيد الله الثقفي سنة (٦٦هـ/٦٨٥ ـ ٦٨٦م) ، وينتهي المجلد الثاني الى نهاية حركة بابك الخرمي سنة (٢٢٢هـ/٨٣٦م) ووفاة المعتصم العباسي (٢١٨ ـ ٢٢٧هـ/

---

(١) الدوري ، المصدر السابق ، ص٥٥ .

(٢) نفس المصدر ، ص٥٢ .

(٣) تاريخ اليعقوبي: ٢/٢١٣-١٤ ، وانظر : Dixon. Op-Cit.P.6. الترجمة العربية، ص١٢

(٤) نشرت هذه المخطوطة ترجمة فارسية ، طبعت على الحجر في بومباي ، الهند سنة (١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م) وذكر المترجم (محمد بن احمد المستوفي الهروي) ان ابن اعثم الف كتابه هذا سنة (٢٠٤هـ / ٨١٩ م) انظر : مخلص « تاريخ ابن اعثم الكوفي » مجلة المجمع العلمي العربي ، ج٣ ، م٦ ، ١٩٢٦ ، ص ١٤٢ – ٤٣ . وقد طبع من هذه المخطوطة ثلاثة اجزاء من المجلد الأول في حيدر آباد الدكن بالهند ١٩٦٨ – ١٩٧٠ باعتناء الدكتور محمد عبد المعيد خان .

م/٢/ع.ح

٨٣٣ — ٨٤١م) . لقد اعتمد ابن اعثم على رواة متعددين ، من امثال ، المدائني ، والواقدي (ت٢٠٧هـ/٨٢٣م)، والزهري (ت١٢٤هـ/٧٤١م) وابي مخنف ، وهشام الكلبي وغيرهم وذكر انه جمع ماسمع من الرواة والف من رواياتهم حديثا على نسق واحد ، لهذا فهو لايذكر اسماء رواته اثناء سرده للاحداث . ويقدم لنا ابن اعثم معلومات كثيرة عن الاحداث التي يتكلم عليها ، كما يظهر شعورا مواليا للعلويين ، لذلك يجب قراءته بحذر عند البحث في الحجاج وسياسته ، وهو يزودنا بوسيلة للموازنة بين الروايات الاخرى . وبالنسبة للحجاج يظهر ابن اعثم عداءً ملحوظا له، ولكنه عند الكلام على حوادث ثورة ابن الاشعث يبين ان ابن الاشعث غدر بالحجاج ، وهنـاك عنده بعض الاخطاء التاريخية فمنها مثلا : ان عبد الملك كتب الى الحجاج بعد قتله سعيد بن جبير (١) كتابا يلومه فيه عـلى كثرة القتل والتبذير (٢) . ومن المعروف ان عبد الملك توفي قبل مقتل سعيد بن جبير .

اما كتاب « مروج الذهب ومعادن الجوهر » للمسعودي (ت ٣٤٦ هـ/ ٨٦٠م) ففيه تفصيلات كثيرة عن أخبار الحجاج ، لكن المسعودي يظهر تحاملا واضحاً على الحجاج ، ويصوره بصورة غير مستحبة جداً . كما يبدي شعوراً قوياً ومواليا للعلويين يضاف إلى ذلك أن معلوماته عنهـم يرويهـا عن بعض الرواة ذوي الميول الشيعية (٣). ويشير المسعودي إلى أنه قد فصل في سيرة الحجاج في كتبه الاخرى مثل « أخبار الزمان » و « الكتاب الأوسط» وان ماذكره في مروج الذهب ، ان هو إلا لمح من تلك الإخبار فقط(٤). وهناك معلومات إضافية أخرى عن هذه الفترة في كتابه الاخر «التنبيه والاشراف»

(١) انظر ترجمته في ص ٤٦ من هذا البحث.
(٢) ابن اعثم ، جـ٢ ، الورقة ١١٤ ب .
(٣) الترجمة العربية ، ص ١٧ . Dixon. Op. Cit.P. 9-10.
(٤) انظر : مروج الذهب : ٥٨/٣ ، ٩٥ ، ١٠٥ .

الذي هو بعض كتاب « مروج الذهب» مع زيادات ، كما يذكر الدكتور جواد علي (١).

وتأتي المصادر الأدبية ، بعد المصادر التاريخية من حيث المادة التي تقدمها عن هذا العهد ، ويستطرد الكثير من هذه المصادر في ذكر أخبار الحجاج وحكمه للعراق . ومن أهم هذه الكتب . كتاب « الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٦م) ، ومعظم كتب الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ/ ٨٦٨م) . وكتاب « العقد الفريد» لابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ/ ٩٣٩م) ، و«عيون الاخبار» لابن قتيبة، ودواوين بعض الشعراء الذين عاصروا الأحداث وسجلوها في أشعارهم وقصائدهم .ولكننا يجب ان نتحفظ من هذه المصادر لأن مؤلفيها أدباء ، وشعراء ، عاطفيون ، يغلب عليهم الخيال ، ولكن الباحث يضطر في بعض الأحيان إلى ذكر رواياتهم وأخبارهم . على الرغم من انفرادهم في نقل بعض هذه الأخبار ، ويتضح هذا الامر بصورة جلية عند بحثنا عن الأمور والتنظيمات الادارية في هذا العهد .

وكان لبعض كتب الجغرافية والبلدان أهمية خاصة في هذا البحث ، ويأتي في مقدمة هذه الكتب كتاب «معجم البلدان» لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ /١٢٢٩م)، وكتاب « البلدان» لليعقوبي و « المسالك والممالك» لابن خرداذبه (ت نحو ٣٠٠ هـ/ ٩١٢م) ، و « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» للمقدسي (ت ٣٨٧هـ / ٩٩٧م) ؛ وغيرها من الكتب الجغرافية الأخرى التي قدمت لنا معلومات على غاية من الأهمية : ساهمت في تأليف هذه الرسالة.

وفي كتب الفقه والأحكام معلومات كثيرة ساعدت على بحث بعض الأمور الادارية : خاصة ماتعلق منها بشؤون الجزية والخراج ، وبعض الاصلاحات الزراعية ، ومن أهم هذه الكتب ، كتاب « الخراج» لأبي يوسف الانصاري (ت ١٨٢هـ/ ٧٩٨م) ، وكتاب « الخراج» ليحيى أبن آدم (ت ٢٠٣هـ/ ٨١٨م) ، وكتاب « الأموال» لأبي عبيد (ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨م)

---

(١) موارد تاريخ المسعودي ، « مجلة سومر ، م ٢٠ ، ١٩٦٤ ، ص ١٩ .

وكتاب « اختلاف الفقهاء » للطبري ، وكتاب « الخراج » لقدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م) ، وكتاب « الأحكام السلطانية» للماوردي (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨ م) .

وعند بحث النقود استفدت من الكتب التي تبحث هذا الموضوع ، وبصورة خاصة ، الفصل الخاص بالنقود من كتاب « فتوح البلدان» للبلاذري و « كتاب النقود الاسلامية » للمقريزي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، ولكن المعلومات الرئيسة التي حصلت عليها انما جاءت من العملات والنقود ، التي تعود إلى ذلك العهد ، والمتوفرة في بعض المتاحف العالمية ، وخاصة المتحف العراقي ببغداد ، والنماذج التي منها ، تعتبر من أهم المصادر لدراسة تطور النقود العربية بصورة عامة ، والاصلاح النقدي الذي تم في ذلك العهد بصورة خاصة ، كما تعتبر مصادر تاريخية ، مادية، لايتطرق الشك إلى صحة المعلومات التي تقدمها ، خاصة اذا كانت هذه المعلومات موثقة بمصادر مكتوبة تؤيدها.

وبالنسبة للدراسات الحديثة التي تناولت هذه الفترة بالبحث ، نستطيع ان نعد المستشرق الفرنسي بيير في طليعة الذين كتبوا عن الحجاج، فقد نشر كتابه في باريس سنة ١٩٠٤ بعنوان (VLed'AL -- Hadjajadj Ibn-Yousof)ولكنه اقتصر فقط في الاعتماد على نصوص المصادر العربية، ونادراً ماحاول أن يحلل الروايات ، أو يبدي رأيه في الاحداث .

ومن الدراسات العلمية عن الحجاج ، مقالتي لامانس وديترج في دائرة المعارف الاسلامية ، حيث نشرت الأولى في الطبعة القديمة ، ونشرت الثانية في الطبعة الجديدة . وقد استطاع ديترج أن يقوم شخصية وسياسية الحجاج، ويعطيه مكانته كأمير من أعظم امراء الدولة الاسلامية .

وهناك دراستان جامعيتان باللغة العربية ، تناولتا تاريخ العراق في العهد الاموي ، الاولى رسالة دكتوراه للدكتور علي حسني الخربوطي (تاريخ العراق في ظل الحكم الاموي) ، والثانية رسالة ماجستير للسيد ثابت الرواي

(العراق في العصر الاموي). ولكن الملاحظ على هاتين الرسالتين ، هو اتساع الفترة الزمنية التي هي موضوع البحث ، لهذا فان ماجاء فيهما عن العراق في عهد الحجاج . لايمكن ان يكون دراسة متكاملة ، لما في هذه الفترة من أحداث وملابسات كثيرة تتطلب جهداً خاصاً وبحثاً منفرداً .

ولا يخفى على القارىء، أن الحجاج بن يوسف الثقفي نال شهرة واسعة في التاريخ ، ومكانة عظيمة بين ولاة الدولة الاسلامية ، لهذا نرى كثرة المؤلفات الحديثة التي تحدثت عنه ، ومعظم هذه المؤلفات ركزت على الناحية الأدبية والقصصية في الموضوع ، من ذلك مثلا ، ماكتبه علي صافي حسين، عن: (الحجاج حياته وخطابته)، ومحمود رزق سليم من : (الحجاج بن يوسف الثقفي) ، وجرجي زيدان عن: (الحجاج بن يوسف)، وعمر أبو النصر عن : (الحجاج بن يوسف حاكم العراقيين) . وفي هذه المؤلفات نرى الكاتب بين منصف ومقدر للحجاج ، وبين مادح وذام له ، يحاول ماشاء أن ينتقص منه ويظهر عيوبه . وأود في هذا المجال الا أغفل دراسة الدكتور رياض محمود رويحة الذي كتب عن (جبار ثقيف الحجاج بن يوسف)، وهو بصورة عامة يلتزم جانب الدفاع عن الحجاج ، ورد الروايات التي تصفه بالطغيان وسفك الدماء ، ولكن في نفس الوقت يفسر الكثير من الأحداث التي مرت بحياة الحجاج على ضوء روايات من المفروض انه لا يعتقد بصحتها . وتطغى على الكتاب الصفة الأدبية والاسلوب الجميل ، ولكن تنقصه الهوامش ، حيث انه لايذكر المصادر التي أخذ منها إلا فيما ندر . فيذكر اسم المؤلف او أسم الكتاب فقط .

واخيراً هناك كتاب عبداللطيف شرارة (الحجاج طاغية العرب) ، حاول فيه المؤلف أن يبين مثالب ونواقص الحجاج بن يوسف ، ولكنه غالى في هذا المجال ،بحيث أصبح كتابه كله تحاملاً واضحاً على الحجاج وحكمه في العراق . بعيداً كل البعد عن الانصاف ، والحفاظ على الحقائق التاريخية ، علماً انه ذكر في مقدمته ، انه « سيحاول الانصاف » (١).

(١) شرارة ، الحجاج طاغية العرب ، ص١٣ - ١٤ ، انظر ص ٤٨ من هذا البحث.

هذه بعض المراجع الحديثة التي كتبت عن جوانب مختلفة من هذا الموضوع ولقد حاولت أن أستفيد من هذه المراجع وذلك بتلافي النواقص التي جاءت في بعضها ، والابتعاد عن المغالاة في مدح أوذم الحجاج وسياسته في العراق من دون الاستناد إلى الحقائق التاريخية ، وسيرى القارىء الكريم، انني قد التزمت جانب الحجاج في بعض الاحيان ، وبخاصة عندما أستند إلى مايؤيد ذلك بما يتوفر عندي من نصوص وروايات تاريخية موثوقة .

وأود أن اذكر في ختام هذه المقدمة ، ان هذه الرسالة لاتمثل الا دراسة أولية لتاريخ العراق في عهد الحجاج بن يوسف . حاولت جهدي أن أتوصل بها إلى الحقيقة ، بغض النظر عن أي اعتبار آخر ، فان أصبت فلي أجران، وان اخطأت فلي أجر العامل المجتهد ، والله ولي التوفيق .

عبد الواحد ذنون طه

الفصل الأول

حياة الحجاج بن يوسف الثقفي

١ — عهد النشأة

٢ — صفات الحجاج وتقويم شخصيته

عهد النشأة

يرجع أصل الحجاج إلى ثقيف ، فهو الحجاج (١) بن يوسف بن الحكم ابن أبي عقيل ابن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعيد ابن عوف بن ثقيف (٢). ولد بالطائف سنة (٤١هـ/٦٦١م) (٣) . أو سنة (٤٢هـ/ ٦٦٢م) .(٤) وبموجب الروايات التي بين أيدينا ، فان أصل الحجاج ونسبه ، ونسب ثقيف بصورة عامة ، قد تعرض إلى حملة قوية، غرضها الحط من هذا النسب ورجع أصله إلى ثمود(٥). وقد تصدى الحجاج في مناسبات كثيرة للرد على هذه التهمة،محاولا نفيها والتقليل من أهميتها،(٦) وفي أحيان اخرى كان يفترض صحة هذه التهمة . مبيناً أنها مفخرة لا مثلبة من المثالب (٧).

وبالنسبة لوالدي الحجاج . فاننا نجد أخبارا قليلة — نسبياً — عن والده (يوسف بن الحكم) . على العكس من امه الفارعة بنت همام) ، التي

(١) الكلمة الحجاج اشتقاقان : « قولهم حجاج كثير الحج ، أي فعال من ذلك وقولهم ، حججت العظم احجه حجا .. » ابن دريد ، الاشتقاق ، ص ١٢٣ .

(٢) أنساب الأشراف جـ١١ ،الورقة ٣٦ ب ، الكامل في التاريخ : ٥٨٤/٤ . واسم ثقيف هو قسي بن منبه بن بكر بن هوازن : المبرد ، كتاب الأنساب ، الورقة ١٠ ، التنبيه والاشراف ص ٢٧١ ،وعن اصل ثقيف انظر:ابن الكلبي،جمهرة النسب الورقة ٢٤٤أ ؛ ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٩١ ، ابن حبيب ، المنمق ،في اخبار قريش ، ص ١٠٣

(٣) تاريخ خليفة : ١٨٩/١ .

(٤) الطبري : ١٦/٢، وفي تهذيب ابن عساكر : ٤٩/٤ : انه ولد سنة (٣٩) ، وقيل (٤٠) أو (٤١) . واعتقد ان رواية ابي المحاسن ، التي تقول : انه ولد في مصر وتربى بها ، ثم خرج به أبوه مع مروان بن الحكم الى الشام، لا تستند الى أي اساس تاريخي، ولا تؤكدها الروايات المتقدمة عن حياة الحجاج الاولى : ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة : ٢٣٠/١ — ٣١.

(٥) على اعتبار ان قسيا كان بالأصل عبداً من الذين نجوا من قوم ثمود ، ولذلك يقال ان ثقيفاً- وهو لقب قسي — بقية ثمود . أنساب الأشراف : ٢٥/١ .

(٦) البيان والتبيين : ١٩٧/١ ، المبرد ، الكامل ، وسوف نرمز له (المبرد) دائما ، الثعالبي ثمار القلوب ص ٦٢ ، القلقشندي ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ص ١٩٨ .

(٧) ابن ،بكار الاخبار الموفقيات ، ص ١٠٢،ابن الكلبي، المثالب،الورقة ٩٠، أنساب الاشراف : ٢٥/١ ، الأغاني : ٧٤/٤ ، تهذيب ابن عساكر : ٧١/٤ .

نالت نصيباً كبيراً من روايات المؤرخين . ولعل السبب في هذا يرجع إلى الظروف التي أحاطت بها . وكونها تزوجت اكثر من مرة ، مما فسح المجال واسعاً للروايات المناوئة للحجاج ، أن تتخذها مادة لها ، للحط من شخصيته وتشويه صورة أسرته .

ومن المعلومات القليلة المتوفرة عن والد الحجاج ، نعلم انه كان رجلا فاضلا . (١) فيذكر ابن خلدون (٢) (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) ، أنه كان من سادات ثقيف وأشرافهم . ولم أجد ماينقض هذا القول عند بقية المؤرخين اللهم الا في عيبهم عليه وعلى ابنه : الحجاج . يوم انهزما(٣) في معركة الربذة . (٤) وانهما كانا معلمين بالطائف (٥). وفيما عدا ذلك لايوجد مايشين سيرة يوسف بن الحكم : بل على العكس اننا نجد تقديراً له وثناءً عليه . يقول ابن كثير (٦) (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢ م) . أن ابا الحجاج كان ذا وجاهة عند الخليفة . وانه كان ذا فراسة صحيحة . ووصف أيضاً ، بأنه كان ، رجلا نبيلاً جليل القدر (٧) .

---

(١) الذهبي ، تاريخ الاسلام : ٣٥٠/٣ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ، ص ٣٠ .

(٣) أنساب الاشراف : ١٥١/٥ فما بعدها ، المعارف ، ص ٣٩٥ – ٩٦ . ، وانظر الطبري : ٥٧٩/٣ ، حيث يقول : انهما – أي يوسف وابنه – نجوا يومئذ على جمل واحد ، البياسي ج ٢ ، الورقة ٩١ أ .

(٤) معركة وقعت قرب المدينة سنة (٦٥هـ / ٦٨٤ م) بين جيش مروان بن الحكم بقيادة حبيش بن دلجة القيني ، وبين جيش عبدالله بن الزبير بقيادة الحنتف بن السجف الذي خرج من البصرة في سبعمئة مقاتل ، فالتقى في الربذة بحبيش بن دلجة الذي قتل وانهزم جيشه : المعارف ص ٤١٦ – ١٧ ، أنساب الاشراف : ١٥١/٥ ، تاريخ اليعقوبي : ٣٠٥/٢ ، الطبري ٥٧٩/٢

(٥) البيان والتبين : ٢٥٢/٢ ، التوحيدي ، البصائر والذخائر ، م٢ قسم١ ، ص ٤٥ .

(٦) البداية والنهاية : ١١٩/٩ .

(٧) العصامي ، سمط النجوم العوالي : ١٧٧/٣ .

ويذكر ابن عبدالحكم (١) (ت ٢٥٩ هـ/ ٨٧٠م): ان يوسف بن الحكم جاء إلى مصر هو وابنه ، مع مروان بن الحكم (ت ٦٥ هـ / ٦٨٤ م). ويقال: انه تولى بعض الولايات لعبد الملك بن مروان أيضاً (٢). وهذا يدل على ان الرجل لم يكن من الناس المغمورين ، وانما كان له نصيب في الحياة العامة ومشاركة فعلية فيها . ويمكننا أن نقدر أهمية الرجل وقيمته ، من الجائزة الكبيرة التي وضعها مصعب بن الزبير (ت ٧٢هـ / ٦٩١م) ، لمن جاءه بيوسف ابن الحكم وابنه أو أحدهما ، بعد دخوله المدينة إثر معركة الربذة (٣). وعلى الرغم من أهمية يوسف بن الحكم ومكانته وشرفه في ثقيف ، فانه كان لايملك ثروة ، فقد مات ولم يخلف شيئاً . وقد نعاه الحجاج ، عندما كان والياً على المدينة بقوله : « الحمد لله الذي مضى ولم يدع مالاً » (٤) .

وتختلف الروايات عن ام الحجاج ، فيسميها البلاذري (٥) الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود بن معتب ، بينما يطلق عليها ابن حزم (٦) فريعة ولا يقتصر الاختلاف في الاسم فقط ، بل يتعدى ذلك الى الاشخاص الذين تزوجتهم قبل يوسف بن الحكم . فيذكر الجاحظ (٧) ، والبلاذري (٨) ،

(١) فتوح مصر واخبارها ، ص١٠٩ ، تاريخ الاسلام : ٣٤٩،٩٤/٣.

(٢) المعارف ، ص ٣٩٥ ، العيون والحدائق ، ص١٠ (مجهول المؤلف) ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢١٤ (مجهول المؤلف).

(٣) أنساب الاشراف : ١٥٤/٥ ، البياسي ج٢ الورقة ٩٢ب .

(٤) أنساب الاشراف ، ج ١١ ، الورقة ٣٦ب ، الاشتقاق ، ص ٣٠٧ ، العيون والحدائق، ص ١٠ .

(٥) أنساب الأشراف ، ج ١١ الورقة ٣٦ ب .

(٦) جمهرة أنساب العرب ، ص٢٦٣ ، ويسميها ابن عبد ربة في (العقد الفريد) : ١٤/٥ . الفارعة بنت هبار » ولعل كلمة هبار تصحيف لكلمة همام التي أوردها البلاذري .

(٧) المحاسن والاضداد ص ١٥٨ .

(٨) أنساب الاشراف ، ج١١ الورقة ٣٦ ب .

وابو الفرج الاصبهاني (١) ، ان زوجها الاول كان المغيرة بن شعبة (٢) ، وقد طلقها لسبب تافه (٣) . فخلف عليها بعده يوسف ابو الحجاج ، فأولدها الحجاج (٤) . وتبين للمغيرة فيما بعد ، انه كان مخطئا في حقها ، لانـه لم يترو في امر طلاقها ، فندم على ذلك فقال لابي الحجاج : «اني نزلت الساعة عن سيدة نساء ثقيف ، فتزوجها فانها تنجب لك ،فتزوجها فولدت له الحجاج» (٥) اما الروايات المتأخرة نسبيا فتعكس واقع الامر ، وتجعل نصيحة المغيرة ليوسف بن الحكم على الشكل التالي : «تزوجها فانها لخليقة ان تأتي برجل سوء فتزوجها...» (٦) ومن الملاحظ ان آثار الوضع بادية على الرواية الاخيرة فمن غير المعقول ان ينصح رجل بان يتزوج امرأة لتأتي له «برجل سوء» فيتزوجها

واذا مارجعنا الى رواية المسعودي (٧) ، رأينا انها تختلف كثيرا عما سبق ذكره ، فالزوج الاول هو الحارث ابن كلدة (٨) ، ثم خلفه عليها يوسف بن الحكم ، ويصور لنا المسعودي ولادة الحجاج بصورة بشعة

(١) الأغاني : ٢٣/٦ .

(٢) المغيرة بن شعبة بن ابي عامر ، من ثقيف ، اسلم في عهد الرسول (ص) ، واشترك بالفتوحات وتولى البصرة لعمر بن الخطاب ، وكذلك الكوفة . ولاه معاوية الكوفة، ومات بها سنة خمسين للهجرة: طبقات ابن سعد: ١٢/٦ ، طبقات خليفة : ص٥٣ ، ١٣١ ، ١٨٣ ، أنساب الاشراف جـ ١١ الورقة ٣٥ب – ٣٩ آ .

(٣) عن سبب طلاقها انظر : المثالب ، الورقة ١٢٥ ، المحاسن والاضداد ، ص ١٥٨ ، مروج الذهب : ٦٧/٣، العقد الفريد : ١٣/٥، الأغاني : ٢٣/٦ ، تهذيب ابن عساكر : ٩٤/٤ .

(٤) المثالب ، الورقة ١٢٥ ، المحاسن والاضداد ، ص ١٥٨.

(٥) العقد الفريد : ١٣/٥ .

(٦) تهذيب ابن عساكر : ٤٩/٤ ، وانظر : البداية والنهاية : ١٨/٩ ، حيث يذكر ابن كثير هذه الرواية ، لكنه يضع عبارة : « بان تأتي برجل يسود » بدلا من « برجل سوء » .

(٧) مروج الذهب : ٦٧/٣.

(٨) الحارث بن كلده، اصله من ثقيف ، وهو طبيب العرب في زمانه، تعلم الطب بناحية فارس واليمن، وبقي الى عهد الرسول (ص) ثم توفي في ايام معاوية : ابن جلجل ، ص ٥٤ ، ابن ابي أصيبعة ، ص ١٦١ – ٦٧ ، القفطي ، ص ١٦١ – ٦٢ ، وفي الاشتقاق ، ص ٣٠٥ ، انه توفي في خلافة عمر ، ويضيف الآمدي ، ص ١٧٢ : بانه كان شاعراً ذا حكمة.

فيجعله والغا بالدماء منذ اليوم الاول لولادته . وانه لم يرض ان يرضع من ثدي امه الا بعدما لطخ بالدماء (١) . ان هذه الرواية خير مثال للروايات المعارضة للحجاج ، فقد وضعت لتظهره بمظهر المجرم الذي رضع الدماء منذ الصغر . ويبدو ان رواية المسعودي ، هي الوحيدة التي جعلت الحارث ابن كلدة هو الزوج الاول ، الامر الذي لم تؤيده بقية الروايات ، مما يدعو الى رفض هذه الرواية وعدم اخذها بنظر الاعتبار .

وباستثناء الامور التي ذكرت اعلاه ، فاننا لانجد مايفيدنا عن حياة الفارعة ولا التاريخ الذي توفيت فيه . وتنقل الروايات (٢) ، ان جد الفارعة لابيها كان عروة بن مسعود الثقفي (٣) . ولهذا فكثيرا ماكان الحجاج يمدح بانه ابن عظيم القريتين (٤) .

لاتوجد لدينا معلومات اكيدة عن حياة الحجاج الاولى ، وايام طفولته وصباه ، ولكن الروايات ، تشير الى بعض المهن التي كان يمتهنها آباء الحجاج واجداده . وقد استند بعض المؤرخين الى ماجاء على لسان الشعراء في ذم الحجاج ، واستنتجوا من شعرهم معلومات تفيدنا بعض الشيء عن حياته وعن المهن التي مارسها هو وآباؤه . فقد ذكر ، بانه كان دباغا وانه ، كان فقيرا مقترا ، استنادا الى ابيات هجاه بها كعب الاشقري (٥) . ويجوز

(١) مروج الذهب : ٦٧/٣ ، وانظر ، وفيات الأعيان : ٢٩/٢-٣٠ ، الدميري ، حياة الحيوان الكبرى : ١٨٩/١.

(٢) المبرد : ١٠٥/٢ ، العقد الفريد : ٢٥٤/١ ، الأغاني : ٥٧/١١ - ٥٨ .

(٣) عروة بن مسعود بن متعب الثقفي ، اسلم في عهد الرسول (ص) ، وقتله اهل الطائف عندما دعاهم الى الدخول في الاسلام ، طبقات ابن سعد : ٣٦٩/٥ - ٧٠ ، ابن الأثير ، اسد الغابة في معرفة الصحابة : ٤٠٥/٣ - ٤٠٦.

(٤) يعتبر عروة بن مسعود ، والوليد بن المغيرة المخزومي ، هما المقصودين بالآية الكريمة : « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » (الزخرف ، ٣١) ، والقريتان : الطائف ومكة : المبرد : ١٠٥/٢ ، اسد الغابة في معرفة الصحابة : ٤٠٦/٣.

(٥) الأغاني : ٥٨/١٣ ، ويشير المبرد : ٣٥٢/١ الى الحادثة ولكنه لا يذكر الأبيات ، ابن ابي الحديد : ٦٢/٢-٦٣ ، ابن نباته ، سرح العيون ، ص ١٧٠ - ٧١ .

ان الشاعر استغل اشتهار مدينة الطائف بانها «بلد الدباغ» (١) . فوصم الحجاج بانه كان دباغا على اعتباره من اهل تلك المدينة ، ولا يدل هذا بالضرورة على انه كان يمارس مهنة الدباغة فعلا . وهناك من يقول ، ان آباء الحجاج كانوا ينقلون الحجارة بالطائف ، ويحفرون الابار والمناهل بايديهم . استنادا الى رسالة بعث بها (٢) عبد الملك الى الحجاج ، على اثر المعاملة التي عامل بها الاخير انس بن مالك (٣) . وورد ما يشابه ذلك ايضا في الكتاب الذي نسبه ابن عبد ربه (٤) الى عبد الملك، عندما هم (بعزل الحجاج).

على ان اهم مايذكره المؤرخون عن حياة الحجاج انه كان يشتغل معلما بالطائف (٥) . ويرد ذكر عدد من الشعراء الذين عيروه بهذه المهنة ، منهم مالك ابن الريب (٦) الذي يقول :

فلولا بنو مروان كان ابن يوسف ... كما كان عبداً من عبيد أياد
زمانَ هو العبد المقر بذلةٍ ... يراوح صبيان القرى ويغادى (٧)

(١) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٠

(٢) العقد الفريد : ٥/٤٨ ، النهرواني ، الجليس الصالح ، الورقة ١٩٧ أ.

(٣) أنس بن مالك بن النضر ، خدم رسول الله (ص) وسكن في البصرة وتوفي بها سنة (٩٢ أو ٩٣ ﻫ / ٧١٠ أو ٧١١ م) : طبقات ابن سعد: ٩/١٠-١٦ .

(٤) العقد الفريد : ٥/٢٢ .

(٥) البيان والتبيين : ١/٢٥٢ ، أنساب الأشراف (نسخة اسطمبول) الورقة ٩٢٥ أ ، المبرد ١/١٠٤ ، البصائر والذخائر م٢ قسم١ ، ص٤٥ .

(٦) مالك بن الريب بن حوط ، وكان شاعرا فاتكا لصا ، ثم تاب وشارك في غزو خراسان في جيش سعيد بن عثمان بن عفان . منشؤه في بادية بني تميم بالبصرة ، من شعراء الاسلام في اول ايام بني امية ، مات بخراسان : ابن اعثم ج١ ، الورقة ١٩٩ أ ، الأغاني : ١٩/١٦٧ البغدادي ، خزانة الأدب : ١/ ٣٢١ .

(٧) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص٢٧١ ، المعارف ، ص ٥٤٨ ، وقد وردت هذه الأبيات مع اختلافات يسيرة في : ديوان الحماسة : ١/١٢٠ (ولكن ابا تمام ينسب الشعر للفرزدق) عيون الأخبار : ١/٢٣٦ ، المبرد : ١/ ١٠٤ .

ويضيف المبرد (١) (ت٢٨٥هـ/٨٩٨م) عند شرحه لهذه الابيات ، انها قيلت لان الحجاج كان هو واخوه معلمين بالطائف ، وكان لقبه كليبا (٢) وفي ذلك يقول القائل :

أينسى كليب زمان الهزال وتعليمه سورة الكوثر (٣)
رغيف له فلكة ما تُرى وآخر كالقمر الأزهر (٤)

ومن الجدير بالذكر انه لايجوز لنا التسليم بصحة ماجاء في هذه الاشعار دون الاخذ بنظر الاعتبار ، كثرة أعداء الحجاج . ومقدار ماوضع من الروايات ، التي غرضها الحط من شأنه . وقد ادرك بعض المؤرخين هذا الامر ، كأبن نباته (٥) (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م) ، فانه تكلم على موضوع هذه الاشعار ، كما تكلم على انكار بعض الرواة لممارسة الحجاج لمهنة التعليم وقال « .... وبعض الرواة ينكر هذا القول ويقول : هذه من اكاذيب الشعراء . ويزعم ان الحجاج لم يزل في كنف ابيه ، وكان ابوه رجلا نبيلا جليل القدر ...» ومن المؤرخين من يعد الحجاج بن يوسف من اشراف المعلمين وفقائهم (٦) . ومنهم من يعتبره ، هو واباه ، من سادات ثقيف واشرافهم ، وان تعليمهما القرآن لم يكن لهما حرفة للمعاش وكسب الرزق بل هو شرف لهما لانهما من اهل الانساب والعصبية ، يعلمان كتاب الله

---

(١) الكامل : ١٠٤/١ .

(٢) ذكر انه عند موت الحجاج سئل احد المنجمين ، هل يموت ملك اليوم ، قال : نعم ، ولكن اسمه كليب ، فذكر الحجاج ان امه سمته كليباً وهو صبي ، الحيوان : ١٥٨/١ ، المعارف ص٣٩٧ ، الاشتقاق ص٣٠٧ ، ولا يخفى ان هذه الرواية تبدو أشبه بالاسطورة منها بالحقيقة التاريخية.

(٣) وفي معجم البلدان : ٣١٦/٤ – ١٧ ، ان الحجاج كان معلما بقرية الكوثر القريبة من الطائف ، وروى (ياقوت) البيت بالشكل الآتي :
أينسى كليب زمان الهزال وتعليمه صبية الكوثر

(٤) يشير هنا الى أن سبب اختلاف الارغفة ، لكون خبز المعلمين يأتي من بيوت صبيان مختلفي الأحوال ، المعارف ص ٥٤٨ ، المبرد : ١٠٥/٢ ، تاريخ الخلفاء ، ص ٣٢٢ .

(٥) سرح العيون : ص ١٧٠ – ٧١.

(٦) ابن حبيب ، المحبر ، ص ٤٧٥ ، المثالب ، الورقة ٧١.

وسنة الرسول (ص) على معنى «التبليغ الخبري لا على وجه التعليم الصناعي» (١)
وهناك من يستند الى خلو كتب التاريخ والادب من اخبار تلاميذ للحجاج وانها لاتروي لنا شيئا عن اتصالهم به بعد ان صار اميرا فيخلص الى نتيجة مذهلة وهي : «ان الحجاج لم يكن معلم صبيان له كتابه الخاص به ، وانما كان مساعدا في كتاب لمعلم آخر ، وكانت شخصية ذلك المعلم قوية الى حد اختفت معه شخصية الحجاج مما اضطره الى اعتزالها والبحث عن عمل آخر يليق به» (٢) .

واظن انه كان من الاوفق للكاتب ان يخلص الى الشك في ممارسة الحجاج لهذه المهنة اصلا ، او ان يقول انه مارسها على الشكل الذي ذكره ابن خلدون (٣) ، فاستغلها بعض الشعراء للدعاية ضده .

وقبل أن نستعرض الوظائف التي تقلدها الحجاج ، قبل امرة العراق ، نرى من المناسب ، القاء بعض الضوء على حياة الحجاج الخاصة ، فقد تزوج الحجاج عددا من النساء . وكالعادة كثرت الروايات واختلفت عن هذا الموضوع . خاصة وانه تزوج امرأة من الطالبيين ، هي أم كلثوم بنت عبدالله بن جعفر بن أبي طالب (٤). ان هذه الحقيقة بحد ذاتها تكون دليلا قويا على ان العلاقة بينه وبين آل أبي طالب لم تكن سيئة إلى الحد الذي صورته لنا بعض الروايات المناوئة للحجاج (٥). وتختلف الروايات في الوقت الذي حصل فيه هذا الزواج ، وفي المدة التي استغرقها . فبينما تسكت معظم المصادر عن مكان الزواج ، يشير مصعب الزبيري (٦) (ت ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م) ، والاصبهاني

(١) مقدمة ابن خلدون ، ص ٣٠ .
(٢) ضرار ، الحجاج بن يوسف الثقفي ، ص ٢٧ .
(٣) المقدمة ، ص ٣٠ .
(٤) الزبيري ، نسب قريش ، ص ٨٢ – ٨٣ ، المعارف ، ص ٢٠٧ ، المبرد : ٣٤٩/١ ، العقد الفريد : ٧١/٢ – ٧٢ الأغاني : ١٠٢/١٢ .
(٥) انظر ، ص ٢١٥ – ٢١٦ من هذا البحث.
(٦) نسب قريش ، ص ٨٢ – ٨٣.

إلى (١) ان الحجاج تزوجها عندما كان واليا على المدينة . وتتفق معظم المصادر تقريباً على انها لم تبق عنده الا فترة قصيرة ؛ لان عبدالملك امره بطلاقها ، باستثناء التوحيدي (٢) (ت ٤١٤هـ / ١٠٢٣ م)، الذي ذكر : ان الحجاج قد اولدها بنتا ، بينما يؤكد ابن الكلبي (٣): ان أم كلثوم لم تنجب من الحجاج. وعلى أي حال ، فان علاقة الحجاج مع عبدالله بن جعفر لم تتغير بعد طلاق ابنته ، فقد كانت صلات الحجاج وهداياه تصل بانتظام في كل شهر إلى عبد الله وابنته ، حتى لحقا بربهما (٤). ومن النساء الاخريات اللاتي تزوجهن الحجاج هند بنت اسماء بن خارجة(٥). وهند بنت المهلب بن أبي صفرة،(٦) وأم الجلاس بنت عبد الرحمن بن اسيد (٧) ، وامة الله بنت عبدالرحمن ابن جرير بن عبدالله البجلي (٨) ، وأم ابان بنت النعمان (٩). ويقال : انه قد طلق هند بنت اسماء . وهند بنت المهلب . ولكن الروايات تختلف في اسباب هذا الطلاق وتاريخه .(١٠) وتظهر المعلومات المتوفرة لدينا بوضوح ان علاقة الحجاج مع نسائه ، كانت علاقة طبيعية جدا . وانها علاقة ود وتقدير، (١١) ويبدو انه كان يختار نساءه حسب مواصفات معينة . يغلب

(١) الأغاني : ١٣ /١٠٢

(٢) البصائر والذخائر م٢،قسم ٢، ص ٤٥٦ .

(٣) جمهرة النسب الورقة ١١٩ أ.

(٤) العقد الفريد : ٧٢/٢ .

(٥) المحاسن والاضداد، ص ١٦١ ، عيون الاخبار : ٦٩/٣، العقد الفريد: ١٠٤/٦، غرر السير ، الورقة ٢٦ أ. (مجهول المؤلف)

(٦) العقد الفريد: ١٠٤/٦، غرر السير ، الورقة ٢٦ أ.

(٧) العقد الفريد: ١٠٤/٦.

(٨) نفس المصدر والمكان، واسمها في انساب الأشراف جـ ١١ الورقة ٤٢ب (أم سلمة بنت عبدالرحمن) .

(٩) انساب الاشراف جـ ١١، الورقة ٤٢ب .

(١٠) المحاسن والاضداد، ص ١٦١، المبرد: ١٠٦/٢، الاغاني: ١٣٠/١٨، غرر السير، الورقة ٢٦ أ، وفيات الاعيان ٤٤/٢ .

(١١) رسائل الجاحظ ، ص ٢٦٩ (تحقيق السندوبي)، عيون الاخبار : ٨٠/٤، الاغاني: ١٢٨/١٨

عليها طابع الثقافة والتفقه ورواية الأشعار (١) . ولكن انساب بعض نسائه مثل أم كلثوم بنت عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، وهند بنت اسماء بن خارجة الفزاري وهند بنت المهلب بن أبي صفرة تجعلنا نرجح أنه قصد فيما قصد من اختياره لهؤلاء النسوة ، الأصهار إلى اسر شريفة وقوية لتقوية نفوذه ومركزه بين القبائل . وتركيز سلطته في البلاد (٢) .

ومن أبناء الحجاج . محمد ، وابان ، وعبد الملك ، وسليمان ، والوليد ويوسف (٣) . وقد توفي في حياته يوسف ومحمد (٤) .

ان اسم الحجاج يبرز لأول مرة في نصرته للأمويين ، عند اشتراكه بمعركة الحرّة (٥) . وقد اعترف بأشتراكه في هذه المعركة وفراره منها هو وأبوه (٦) . ثم شارك مع أنصار الأمويين في معركة الربذة (٦٥هـ/٦٨٤م) . ويبدو أن الحجاج ووالده كانا في ذلك الوقت موجودين بالشام ، أو في فلسطين . لأن الجيش الذي اعدّ لهذه المعركة انطلق من فلسطين (٧) . وبعد هذه المعركة التي انتهت بفشل الأمويين في السيطرة على المدينة (٨).

(١) العقد الفريد: ١٠٤/٦ – ١٠٥ .

(٢) عن أصهار الحجاج ، وبعض ابنائه إلى اسر قرشية عريقة، انظر: نسب قريش، ص ٣٠٩ – ١٠، ٣٦٣ .

(٣) انساب الاشراف ج ١١، الورقة ٤٢ ب، جمهرة انساب العرب، ص ٢٦٧.

(٤) الشعر والشعراء، ص ٣٤٤، المبرد: ١٠٦/٢. وعن اولاد الحجاج واعقابهم انظر: جمهرة انساب العرب، ص ٢٦٧ – ٦٨، البصائر والذخائر م ٣ قسم ٢، ص ٦٥٩.

(٥) وقعت سنة (٦٣هـ/٦٨٢م) بين الجيش الذي ارسله يزيد الاول بن معاوية الاول إلى المدينة، بقيادة مسلم بن عقبة المري، وبين اهل المدينة وقد انتصر جيش مسلم بن عقبة في موضع يدعى (حرة واقم)، وقد قتل من أهل المدينة مقتلة عظيمة، ونهبت ثلاثة ايام، نسب قريش، ص ١٢٧، الطبري: ٤١٢/٢ فما بعدها .

(٦) الاغاني: ٤١/١٦، تهذيب ابن عساكر: ٨٣/٥ .

(٧) انساب الاشراف: ١٥٠/٥ .

(٨) انساب الاشراف: ١٥١/٥، تاريخ اليعقوبي: ٣٠٥/٢ .

نجد اسم الحجاج ، ووالده أيضاً، يظهران بصفتهما مشاركين في الحملة التي قادها مروان بن الحكم الى مصر (١) لكننا لانعلم ماذا كانا قد رجعا مع مروان مباشرة أم انهما بقيا هناك فترة من الزمن . وكل مانعلمه أن اسم الحجاج بدأ بالظهور تدريجياً على مسرح الاحداث ، منذ تولي عبد الملك بن مروان الخلافة سنة (٦٥ هـ / ٦٨٤ م) . فقد ذكر أنه تولى شرطة ابان بن مروان (٢) في بعض ايامه ، عندما كان أبان والياً على فلسطين لاخيه عبد الملك (٣) ، ثم اتصل بروح بن زنباع (٤) الذي كان على شرطة الخليفة ، فصار الحجاج من جملة اتباعه وشرطه (٥) . ونتيجة لاشارة روح بن زنباع ، فقد ولى عبد الملك الحجاج امر العسكر ، ليقوم بمهام الاشراف على رحيل ونزول الجيش في أثناء قيام الخليفة بحملاته الحربية . وقد بدأ الحجاج بأعوان روح بن زنباع الذين كانوا يتأخرون ، فجلدهم بالسياط ، وطوفهم بالعسكر ، واحرق خيامهم . وعندما شكا روح الى الخليفة مافعله الحجاج برجاله ، أجاب الحجاج ، أنه لم يفعل شيئاً ، انما الخليفة هو الذي فعل ذلك ، لان يده وسوطه ، أنما هما يد الخليفة وسوطه . وطلب من الخليفة ، الا يمحو الأثر العظيم الذي تركه عمله في الجند ، وما عليه الا أن يعوض روحا عما اصابه من خسارة في غلمانه وخيامه (٦) . ومن تاريخ هذه الحادثة اكتسب الحجاج ثقة عبد الملك

(١) فتوح مصر واخبارها، ص ١٠٩ .

(٢) امه عائشة بنت عثمان بن عفان، ولي فلسطين لاخيه عبدالملك، انساب الاشراف: ١٦٦/٥، الطبري: ٤٠٩/٢، جمهرة انساب العرب، ص ٨٧ .

(٣) المعارف، ص ٣٥٤، ٣٩٦، انساب الاشراف (نسخة اسطمبول)، الورقة ٦٠٤ ب، العيون والحدائق، ص ١١ .

(٤) روح بن زنباع بن سلامة الجذامي، ويقال ابو زنباع الدمشقي، وهو تابعي جليل، وكانت منزلته عند عبدالملك، كالوزير لا يكاد يفارقه، تو في بالاردن سنة (٨٤هـ/٧٠٣م)، وقيل، انه بقي إلى ايام هشام بن عبدالملك: اسد الغابة: ١٨٩/٢، البداية والنهاية: ٥٤/٩ — ٥٥.

(٥) العقد الفريد: ١٤/٥ .

(٦) العقد الفريد: ١٤/٥، وفيات الاعيان: ٣٠/٢ — ٣١، سرح العيون، ص ١٧٢ — ١٧٣، حياة الحيوان الكبرى: ١٨٩/١ — ٩٠ .

بن مروان وكذلك كانت الدليل الاول المعروف على قدرته العسكرية (١) . أن الكفاءة الفائقة التي اظهرها الحجاج في أثناء قيامه بهذه المهمة جعلت الخليفة لايتردد في استخدامه في مهمة أخرى تحمل طابعا دبلوماسياً (٢) . فقد ارسله (٣) هو ورجاء بن حيوة الكندي (٤) . بكتاب الى زفر بن الحارث الكلابي (٥) ، يدعوه فيه الى الطاعة . وقد رفض الحجاج أن يصلي وراء زفر، عندما حان وقت الصلاة (٦)، على اعتبار أن الاخير كان من الخارجين على الخليفة ويقال ان الخليفة قد كافأه على أخلاصه هذا، وعلى ماظهر من كفاءته بأن ولاه ولاية تبالة (٧) . وتردد معظم المصادر تعيين الحجاج لولاية هذه البلدة ، وكيف أنه أبى أن يليها لكونها صغيرة، فقيل في المثل «اهون من تبالة على الحجاج» (٨) أن هذه المصادر لاتحدد تاريخاً معيناً لهذا الحدث ، لكنها تجعله ضمنيا خلال الفترة التي كان فيها عبد الملك مشغولا بقتال زفر بن الحارث ، وتوطيد

(١) J.Perier, Vie D'Al-Hadjdjadj Ibn Yousof , pp. 31–32

(٢) Dixon, The Umayyed Caliphate, P. 64 .

(٣) انساب الاشراف: ٣٠٥/٥، سمط النجوم العوالي: ١٧٨/٢ .

(٤) رجاء بن حيوة الكندي، من اهل الاردن، كان عالماً فاضلا، مشهوراً بالتقوى والتعبد والوقار. اتخذه بعض خلفاء بني امية بمثابة وزير أو مستشار، ابن عبدالحكم، سيرة عمر بن عبدالعزيز، ص ١٣٩، طبقات ابن سعد ج ٧ قسم ٢، ص ١٦١، وفي وفيات الاعيان: ٣٠٣/٢ أنه توفي سنة (١١٢هـ/٧٣٠م) .

(٥) زفر بن الحارث الكلابي، كان من انصار ابن الزبير ، وقد تحصن في مدينة قرقيسياء (على الفرات والخابور) فحاول مروان بن الحكم ومن بعده عبدالملك ان يفتحها، فحاصره عبدالملك، ثم تمكن من مصالحته، وذلك قبل ان يتوجه لحرب مصعب بن الزبير في العراق، انساب الاشراف: ٢٩٨/٥ – ٩٩ .

(٦) انساب الاشراف: ٣٠٥/٥، سمط النجوم العوالي: ١٧٨/٢ .

(٧) بلدة مشهورة من ارض تهامة في طريق اليمن، تقع على مسيرة سبع ليال من مكة، وتنصب اليها من الطائف اودية ومياه جارية. وتعتبر تبالة احدى قراها، وتبعد عنها مسيرة ليلتين، ابن الكلبي، الاصنام ، ص ٣٤ – ٣٥ ، ابن الاصبغ، اسماء جبال تهامة وسكانها ، ص ٤٢٠ – ٢١، معجم البلدان : ٨١٦/١ .

(٨) الحيوان: ١٥٧/١، عيون الاخبار: ٢٢٣/١، المعارف، ص ٣٩٦، انساب الاشراف (اسطنبول) الورقة ٦٠٤ ب، معجم البلدان: ٨١٦/١ – ١٧ .

سلطته في بلاد الشام والجزيرة . وهذا يعني حتما قبل استيلائه على العراق ، وقتل مصعب بن الزبير ، وقبل أن يرسل حملة الحجاج الى الحجاز عام (٧٢ هـ / ٦٩١ م) . وبما أن تباله تقع في موقع قريب جداً من مركز حكم وسلطة ابن الزبير في الحجاز فليس من المعقول أن تكون هذه البلدة خاضعة لحكم عبد الملك ، وهو في بلاد الشام ، حتى يولي الحجاج عليها ، خاصة وأنه كان مشغولا بقضايا أهم ، وولايات ومدن اكبر من تباله لم تكن قد خضعت لسلطته بعد ، كبعض مناطق الجزيرة ، وولاية العراق ، اضافة الى الحجاز نفسه ، حيث تعتبر تبالة أحدى المدن التابعة له ، وكذلك معظم الجزيرة العربية . لهذا كله فأن موضوع تعيين الحجاج لولاية تبالة ، يجب أن ينظر اليه بكثير من الشك والحذر لكونه لا يتفق مع الوقائع التاريخية .

لقد كان الحجاج على ساقة جيش عبد الملك في حملته على مصعب بن الزبير في العراق سنة (٧٢ هـ / ٦٩١ م) ، وكان دوره كبيراً في المحافظة على الطاعة والضبط في أثناء حل الجيش وترحاله . يضاف الى ذلك جهوده في حمل أهل الشام على التأهب والاسراع للالتحاق بجيش الخليفة ، فقد كان الحجاج لايمر على باب رجل من أهل الشام قد تخلف عن الخروج الا أحرق عليه داره ، فلما رأى أهل الشام ذلك سارعوا بالخروج (١) . وبعد مقتل مصعب ابن الزبير ، بعث عبد الملك الحجاج ، على رأس جيش يتكون معظمه من أهل الشام ، لمحاربة عبد الله بن الزبير في الحجاز ، وكان ذلك في سنة (٧٢ هـ / ٦٩١ م)(٢) وتختلف الروايات في عدد جنود هذه الحملة ، فتتراوح الأرقام التي تذكرها بين سبعمئة (٣) الى عشرين الفا (٤) . ولكن الروايات المعتدلة

(١) الامامة والسياسة: ٢٢/٢، العقد الفريد: ٤١٠/٤، مروج الذهب: ٤٩/٣، البدء والتاريخ : ٢٥/٦ .

(٢) طبقات ابن سعد: ١٦٩/٥، تاريخ خليفة: ٢٦٦/١، الامامة والسياسة ٢٣/٢ – ٢٤، انساب الاشراف، ص ٣٨ (ط. اهلورت)؛ تاريخ اليعقوبي: ٣١٨/٢، الطبري: ٨٢٩/٢.

(٣) نسب قريش، ص ٢٩٣ .

(٤) تاريخ اليعقوبي: ٣١٨/٢ .

تقدر عددها بنحو الفين الى ستة الاف رجل (١) . ثم انجده عبد الملك بقوة أخرى ، فحاصروا أبن الزبير في مكة ، ونصبوا عليها المجانيق ، وانتهت الحملة بتغلب الحجاج ، ومقتل أبن الزبير سنة (٧٣ هـ / ٦٩٢ م)(٢) . ثم تولى الحجاج ولاية مكة والمدينة والطائف (٣) ، ولكن الطبري (٤) يقول ، أن ولايته على المدينة اضيفت سنة (٧٤ هـ / ٦٩٣ م) ، وأنه كان والياً على مكة واليمن واليمامة ، سنة (٧٣ هـ / ٦٩٢ م) . أما المسعودي (٥) ، فيذكر أنه أصبح والياً على مكة ، والمدينة ، والحجاز واليمن ، واليمامة ، ثلاث سنين .

وفي موضوع ولاية الحجاج على الحجاز ، امران جديران بالدراسة ، الاول ، قضية ضربه الكعبة بالمنجنيق ، ثم أعادة بنائها والثاني ، معاملة الحجاج لاهل المدينة . فبالنسبة للموضوع الاول يظهر لنا أن الحجاج أمر في أثناء حصار مكة ، أن تضرب الزيادة التي كان قد بناها ابن الزبير في الكعبة (٦) .

ولم يكن هذا الجزء من البناء قائماً في حياة الرسول (ص) ، بل استحدثه ابن الزبير (٧) ، فهو ليس مقدساً من الناحية التقليدية لانه بني من قبل منافسه

(١) الواقدي في «انساب الاشراف» ص ٣٨ (اهلورت)، طبقات ابن سعد: ١٩٩/٥، الطبري ٨٣٠/٢، ابن اعثم، جـ ٢ الورقة ٥١ ب.
(٢) طبقات ابن سعد: ١٦٩/٥، تاريخ خليفة: ٢٦٦/١، انساب الاشراف، ص ٥٧، (اهلورت)، ابن اعثم جـ ٢ الورقة ٥٢ أ فما بعدها .
(٣) تاريخ خليفة: ٢٩٤/١، الامامة والسياسة: ٢٥/٢، ويذكر البلاذري، ص ٦٧، ١٨٩، (اهلورت) توليه لمكة والمدينة فقط، وانه كان على مكة سنتين وفي «العبر في خبر من غبر للذهبي: ١١٢/١، انه تولى الحجاز سنتين .
(٤) تاريخ الرسل والملوك: ٨٥٤/٢ .
(٥) مروج الذهب: ٥٨/٣.
(٦) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص ٧٤ – ٧٥، معجم البلدان: ٢٨٤/٤، العمري، مسالك الابصار في ممالك الامصار، ص ٩٧ .
(٧) نقائض جرير والفرزدق: ٤٨٦/١، ابن رسته، ص ٣٠، الاحكام السلطانية ص ١٦١.

ابن الزبير . ولكن «الروايات التاريخية (١) المناوئة للامويين بصورة عامة . وللحجاج بصورة خاصة ، اهملت الحقيقة التي تقول . أن هذا الجزء المبني حديثاً من الكعبة هو الذي تعرض للضرب ، وأكدت فقط ، أن الحجاج وسيده عبد الملك انتهكا حرمة الحرم المقدس»(٢). ولهذا فقد سمي من قبل اعدائه بالمحل (٣) . لانه في رأيهم احل الكعبة . وقد أعاد الحجاج بناء الكعبة على ماكانت عليه قبل ابن الزبير ، (٤) محاولا أن يثبت باعماله الرسمية احترامه الدائم لتقاليد المسلمين (٥). ثم كساها بالديباج (٦)،فكان أول من فعل ذلك (٧) يضاف الى هذا أن الحجاج كان أول من أطاف الناس حول الكعبة للصلاة وكانوا يصلون صفا (٨) . ولم يكن تعمير الكعبة هو العمل العمراني الوحيد الذي قام به الحجاج في أثناء ولايته على الحجاز . كما ذكر عمر أبو النصر(٩)،بل قام بعمل سداد عديدة في بعض شعاب مكة ، واكبر هذه السداد

(١) (عوانه) و (المدائني) و (الواقدي) في «انساب الاشراف»: ٣٦٢/٥، و ص ٤٧ – ٤٩ (ط. أهلورت)، تاريخ اليعقوبي: ٣١٨/٢، (الواقدي) في (الطبري): ٨٤٤/٢ – ٨٤٥، تهذيب ابن عساكر: ٥٠/٤، الكامل في التاريخ ١١٣/٤، الفخري، ص ٩٨ – ٩٩ .

(٢) الترجمة العربية، ص ٢١٣. Dixon,Op.Cit.P.138

(٣) الاغاني: ٣٠/٦، كما لقب ايضاً بـ (المجاد) جاء ذلك في كتاب «الالقاب» للفرضي، انظر، فهرست المخطوطات المصورة، ج ٢ «التاريخ» قسم ١ ص ٣١ .

(٤) تاريخ خليفة: ٢٦٨/١، اخبار مكة وما جاء فيها من الآثار : ١٣٦/١ فما بعدهـا، وص ١٩٥ ،مختصر كتاب البلدان،ص ٢٠ ،ابن رستة، ص٣٠، العقد الفريد: ٢٥٦/٦، كتاب الاستبصار في عجائب الامصار (مجهول المؤلف) ص ١١، رحلة ابن جبير ، ص١٣٧.

(٥) سيديو، ص ١٧١ .

(٦) مختصر كتاب البلدان، ص ٢٠، اخبار مكة ١٦٨/١، فتوح البلدان: ٥٥/١، الاحكام السلطانية، ص ١٦٢. والديباج : من الدبج، وهو النقش والتزيين، وهو نوع من القماش الاخضر اللون: ابن سيده: ٧٦/٤.

(٧) سيرة ابن هشام: ١٢٦/١ .

(٨) العسكري، الاوائل، ص ٢٥٤ .

(٩) الحجاج بن يوسف حاكم العراقين، ص ٩٣ .

يدعى (أثال) الذي جعله حبسا على وادي مكة (١) . كما أعاد حفر بئر الياقوتة، التي كان أبو بكر الصديق قد حفرها بمنى ، وقد زاد في عمقها واحكمها بعد مقتل ابن الزبير (٢) . كما أنه بنى مسجداً في المدينة، في بني سلمة عرف بمسجد الحجاج (٣) .

تذكر الروايات (٤) ، أن معاملة الحجاج لاهل المدينة كانت ، معاملة قاسية، شديدة لانه اساء الى اهلها ،واستخف بهم ، كما أنه ختم على أيدي واعناق بعض الصحابة بالرصاص ، غير أن ذلك مما لاتؤيده الاختام التي وصل الينا منها مايشير الى ختم أهل الذمة عند دفعهم الجزية (٥) . ويجوز أن الحجاج عامل اهل المدينة بشدة ، وقسا على اهلها ،ولكن من الصعب جداً تصديق رواية الواقدي (٦) التي تذكر . بأنه قد أظهر الاحتقار والاستخفاف بقبر رسول الله (ص) ومنبره .

---

(١) اخبار مكة: ٢/٢٧٧ - ٢٨ .

(٢) نفس المصدر : ٢/١٨١ .

(٣) الطبري : ٢/٨٥٤، النجوم الزاهرة: ١/١٩١ .

(٤) أنساب الاشراف، ص ٦٧ (اهلورت) .
تاريخ اليعقوبي: ٢/٣٢٥ .
الطبري : ٢/٨٥٤ - ٥٥ .
الكامل في التاريخ : ٤/٣٥٩ .
النجوم الزاهرة: ١/١٩١ .

(٥) علق الدكتور عبدالرحمن فهمي، على النص الذي ذكره مؤلف « النجوم الزاهرة» عن هذا الموضوع: بانه قد وصلتنا نماذج من الأختام التي استعملت لغرض جمع الجزية من اهل الذمة فقط ولكن «لم يصلنا للآن نموذج واحد من اختام الحجاج التي يشير اليها ابو المحاسن وان القطع بصحة هذه الاجراءات التي اتبعها الحجاج مع بعض الصحابة سيظل موضع نظر إلى ان تثبت يقينا على يدي الباحثين في الآثار الاسلامية عامة وفي علم النميات بصفة خاصة»: «فجر السكة العربية»، ص ٧٩، «دراسة لبعض التحف الاسلامية» مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، م ٢٢، ج ١، ١٩٦٠، ص ١٧٨ - ٧٩ .

(٦) في «انساب الاشراف»، ص ٦٩ (اهلورت)، الكامل في التاريخ : ٤/٣٥٦ .

كانت مدة بقاء الحجاج في الحجاز نحو ثلاث سنوات (١) . نقل بعدها الى العراق حيث حكمه زهاء عشرين سنة (٢) . وتوفي بمدينة واسط في شهر رمضان سنة (٩٥ هـ / حزيران ٧١٤ م) وعمره ثلاث وخمسون سنة (٣) .

لقد أختلفت الروايات في أسباب وفاة الحجاج ، فذكرت اسباباً وعللا يصعب تصديق اكثرها ، لما يظهر عليها من التكلف واثار الوضع . فقد قيل أنه توفي بمرض «الآكلة» (٤) . وأن الطبيب استخرج الدود من بطنه ، وأنه أصيب بالبرد الشديد الذي لاينفع معه الاصطلاء بالنار (٥) . وذكر أنه توفي ، لأن خنفساء لسعت يده «فقتله الله بأضعف مخلوقاته وأهونها» (٦) وقيل أيضاً أنه توفي بمرض السل (٧) وهناك العديد من الروايات الاخرى (٨) التي تصور موت الحجاج وكأنه رواية مسرحية يتبارى فيها الشامتون بالحجاج عند ذمه وتذكيره ، بأن مايعانيه من سكرات الموت ، أنما هو جزاء من الله « على سوء

---

(١) المعارف، ص ٣٩٦ – ٩٧، الامامة والسياسة: ٢٥/٢، مروج الذهب ٥٨/٣ .

(٢) الواقدي (في الطبري): ١٢٦٨/٢، تاريخ اليعقوبي: ٣٤٨/٢، التنبيه والاشراف ، ص ٢٧٤ .

(٣) المعارف، ص ٣٥٩، انساب الاشراف ج ١١، الورقة ٣٦ ب، تاريخ اليعقوبي: ٣٤٨/٢ ويذكر ان سنه كان اربعة وخمسين عاماً ، الطبري: ١٢٦٨/٢، وذكر انه مات في شوال وعمره اربع وخمسون سنة، ويرجح ابن خلكان: ٥٣/٢ : ان عمره كان اربعة وخمسين عاماً .

(٤) ويبدو ان لامانس قد اعتمد على هذه الرواية، فذكر ان الحجاج توفي «بسرطان في المعدة»: دائرة المعارف الاسلامية، مادة (الحجاج) .

(٥) وفيات الاعيان: ٥٣/٢، وانظر: ابن مصرى: ٧٣/٢ .

(٦) محمد عبده، شرح نهج البلاغة: ٢٢٩/١.

(٧) البدء والتاريخ: ٣٩/٦، ابن العبري، ص ١١٣ .

(٨) القالي، ذيل الامالي والنوادر، ص ١٧٢ – ٧٣، غرر السير، الورقة ٥٥ ب، وفيات الاعيان: ٥٣/٢، وانظر ايضاً: التنوخي، الفرج بعد الشدة، ١١٤/١، البلوي : ٤٨٢/١ – ٨٣ .

سيرته » . أن هذه الروايات المتعددة المتباينة تدل على كثرة أعدائه ، الذين حالوا الانتقاص منه حتى في الطريقة التي توفي بها ، وكان سرورهم بيوم وفاته عظيماً ، بحيث اطلقوا عليه أسم « عرس العراق » (١) .

(٢) صفات الحجاج وتقويم شخصيته

ويبدو أن صفات الحجاج الجسمية لم تنج من الروايات المناوئة له ، فقد حاولت أن تنتقص من شخصيته ، وتشوه من منظاره وشكله ، كما حاولت أن تشوه سيرته وسياسته بصورة عامة ، فقد وصف الحجاج . أنه كان صغير الجثة ، دقيق الصوت (٢) ، قصير القامة ، صغير العينين تدمعان كثيراً (٣) . لهذا فقد ابرزت الروايات أن عينيه (٤) وساقيه (٥) ، غير طبيعية ، وأنه « اخفش » (٦) العينين . وحسب ماوصف نفسه لعبد الملك بن مروان : فأنه « حقود حسود وذو قسوة » (٧) . ويظهر لنا أن الافتعال يلوح على بعض الصفات التي تذكرها هذه الروايات . لاننا نرى في نفس الوقت صفات اخلاقية أخرى رائعة (٨) ، تذكرها هذه الروايات في مضامين كلامها

---

(١) سرح العيون، ص ١٨٥ .

(٢) المعارف، ص ٣٩٦: غرر السير، الورقة ١٢ آ، البدء والتاريخ: ٢٨/٦ .

(٣) انساب الاشراف، الورقة ٦١٣ أ (اسطمبول) .

(٤) البيان والتبيين: ٣٣١/١، ٣٩٢، المعارف، ص ٣٩٩، انساب الاشراف: ١٩٦/٥، وفي العقد الفريد: ٤٦/٥: ان ضعف نظر الحجاج هو نتيجة «لكثرة نظره في الدفاتر»، امالي المرتضى: ١٥٥/١ .

(٥) غرر السير، الورقة ١٢ أ، العقد الفريد: ٣٨/٥، البدء والتاريخ ٢٨/٦ .

(٦) الخفش دون العمش: البيان والتبيين: ٣٦٢/١ .

(٧) البيان والتبيين: ٢٢١/٣، الحيوان: ١٤٦/٣، ١٧١/٥، عيون الاخبار: ٨/٢، انساب الاشراف، ص ٢٥٠ (اهلورت)، امالي القالي : ١٠٧/٢ .

(٨) هناك مقارنة بين ما فعله يزيد بن المهلب بآل الحجاج، وقتله لهم ، وما فعله بنسائهم خاصة عندما تولى حكم العراق سنة (٩٦هـ/٧١٤م) وبين ما فعله الحجاج لامرأة من آل المهلب عند محاسبته لهم على ما اختانوه من اموال. فقد امر صاحب شرطته ان يقول لها: وأدي=

عن الحجاج ، مما يجعلنا ننظر بعين الشك الى بعض الصفات الاولى ، فقد كان شجاعاً مهيباً (١) ، يقوّم الشجاعة ويعفو عن الشجاع ويحسن اليه ، ولو كان عدوه ومن الخارجين عليه (٢) . وفي بعض الاحيان ، كان يظهر حلما نادراً ، فيعفو عمن شتمه وذمه (٣) . وقد ابدى العاملي (٤) (ت ١٠٠٣ هـ / ١٥٩٤ م) اعجابه بحلم الحجاج — في عفوه وصلته لرجل شتمه — وذلك حين يقول : « وهذا هو الغاية من حلمه عامله الله بالعدل في حكمه » . وكان الحجاج يقول : أنه يعطي على البلاء والظرف ، ويحرم على العجز والضعف (٥) . كما أنه كان صادقاً يكره الكذب ويحب الصدوق ويعفو عنه (٦) . وكان كريماً يعطي بسخاء لمن يقصده (٧) ، ويقيم موائد الطعام ، فيدعو اليها الناس ،

عمال لله الذي تحت ذيلك» فقال لها صاحب الشرطة» أدى مال الله الذي تحت استك» فقال له الحجاج : « سوأة لك لا تجمع عليها الفحش والاغرام خل سبيلها » تاريخ الخلفاء ، ص ٣٣٩ — ٣٤٠ ،وفي العقد الفريد: ١٦/٥ ، ٣١ ،أن المرأة هي زوجة عبدالرحمن بن محمد بن الاشعث .

(١) الديار بكري، تاريخ الخميس: ٣١٢/٢ .

(٢) المحاسن والاضداد، ص ٦٧ — ٦٨، ٧١ ، ٧٤، الشابشتي، الديارات ص ٢٤٥، مسالك الابصار في عالك الامصار، ص ٣٢٥ .

(٣) انساب الاشراف جـ ١١، الورقة ٣٩ ب، الوشاء، ص ٩٢، المستجاد من فعلات الاجواد ص ٣٤٥ — ٣٤٦، النيسابوري ، عقلاء المجانين، ص ٤١ — ٤٢، القيرواني، جمع الجواهر في الملح والنوادر، ص ١٨ .

(٤) الكشكول: ١٢٤/٢ .

(٥) انساب الاشراف، جـ ١١، الورقة ٤٢ أ .

(٦) عيون الاخبار: ١٠٤/١، انساب الاشراف جـ ١١، الورقة ٣٦ ب، الوزراء والكتاب، ص ٤٢، غرر السير، الورقة ٢٥ أ .

(٧) نقائض جرير والفرزدق: ٨١٩/٢ — ٨٢٠، فتوح البلدان: ص ٣٨٢، المبرد: ٣٠٦/١، مروج الذهب: ١٠٨/٣، الاغاني: ٧٦/١٠، ٧٧، ٧٨، الجليس الصالح، الورقة ٢٥ ب — ٢٦ أ، عقلاء المجانين، ص ١٣٣، الراغب الاصبهاني، محاضرات الادباء: ٢٦٦/١ .

ويجعل دعوته عامة لهم : «قد جعلت رسولي اليهم في كل يوم الشمس اذا طلعت فليحضروا» (١) .

وتذكر بعض الروايات أن الحجاج كان نهما أكولا ، ولايمكن تصديق ماتذهب اليه هذه الروايات(٢)،عن كميات الطعام غير المعقولة التي كان يتناولها ، خاصة وهناك نص ذكره ابن نباته (٣) ، يعتبر رداً على مايقال ، عن نهم الحجاج بالطعام والنساء . فقد دعاه عبد الملك الى شرب النبيذ فأبى ، فقال له عبد الملك : « أنه نبيذ الرمان يشهي الطعام ، ويزيد الباه فقال الحجاج : أما كونه يشهي الطعام ، فو الله لوددت أن هذه الأكلة تكفيني الى أن اموت ، واما كونه يزيد الباه ، فحسب الرجل أن يصرع في الشهر مرة» . فهذا يدل على عزوف الحجاج عن الطعام الكثير ، وعن التهالك على النساء ، لاكما تصوره لنا الروايات المناوئة له .

ومن الصفات الاخرى التي تميز بها الحجاج ، رجاحة العقل (٤) والفصاحة والبلاغة (٥) ، وكان يعتز بفصاحته وتجنبه للحن ، وكان يتذاكر مع النحاة

(١) المبرد، الفاضل، ص ٣٦ – ٣٧، الاوائل، ص ٢٥٦، سرح العيون ص ٧٩/١٧٨. ويذكر بعض المؤرخين، ان الحجاج كان يطعم اهل الشام خاصة: انساب الاشراف، ج ١١ الورقة ٣٨ ب، العقد الفريد: ١٥/٥. وحول اقامة الحجاج للموائد العامة، واطعام الناس انظر ايضا: المبرد: ٣٠٥/١، الجليس الصالح، الورقة ١٠٤ ب، الامتاع والمؤانسة ٦٤/٢، تاريخ الخلفاء ص ٢١٦، تهذيب ابن عساكر: ٦١/٤ .

(٢) تقول احدى هذه الروايات: ان الحجاج شوهد وهو يأكل نحو ثمانين لقمة، في كل لقمة سمكة، ثم اتبعها لحماً، وثريداً، وحلوى، وذلك في أكلة واحدة، انساب الاشراف، الورقة ٦١٠ ب (اسطمبول)، غرر السير الورقة ٢٥ أ – ب .

(٣) سرح العيون، ص ١٧٩ – ١٨٠ .

(٤) البيان والتبيين: ١١٣/١، اخبار القضاة: ٣٤٦/١ .

(٥) أمالي الزجاجي، ص ٢٠، الباقلاني، ص ١٥، ٢٩، القيرواني، زهر الآداب وثمر الالباب: ٤٩/٤، البلوى: ٤٥/١ .

في ذلك (١) . كما تميز بالجرأة (٢) ، والدهاء (٣) ، والاهتمام بمظاهر السلطان (٤). ويرى (ولها وزن، J. Wellhauson)(٥) : أنه لم يكن صبوراً على من يكلفه تنفيذ اوامره ، وانه كان غليظاً شديداً أحياناً « ولكنه لم يكن قاسياً ، ولا كان صغير القلب ولا محدود الافق ... » . وكان الحجاج يرى ، أن طاعته واجبة على الناس بحكم الشرع (٦) . وأن سياسة الشدة انفع معهم من اللين : لانهم « عبيد العصا » (٧) . وكان يكره أن يقوم بأمر نهى عنه أصحاب عمله ، فقد دعاه الوليد بن عبد الملك (٨) مرة الى تناول الشراب ، فرفض قائلا: أنه يمنع أهل عمله منه ، واستشهد بالاية : « وما اريد أن اخالفكم الى ما انهاكم عنه » (٩) ..

والى جانب هذه الصفات الفاضلة ، تطالعنا مواقف أخرى للحجاج تلقي بعض الضوء على شخصيته ، فقد كان فخورا بنفسه لايحب أن يرى احدا يتعالى أو يفخر بنفسه امامه (١٠) . اضافة الى انه كان يبني احكامه على

(١) الطبري: ١١٣٢/٢ ، الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ٢٢ ، السيرافي، اخبار النحويين البصريين، ص ٢٣ ، غرر السير ، الورقة ٣٧ أ .
(٢) العقد الفريد: ١٧٦/٢ ، ٣١/٥ .
(٣) نقائض جرير والاخطل، ص ٦٢ ، الامتاع والمؤانسة: ٤٧/١ .
(٤) الجاحظ، التاج في اخلاق الملوك، ص ٤٧ .
(٥) تاريخ الدولة العربية، ص ٢٤٧ ، وانظر :
E. I.2 -« AL - HADJDJADJ - B. Yusuf.
(٦) الحيوان ٥/٣ ، العقد الفريد: ١١٧/٤ – ١٨ .
(٧) العقد الفريد ٤٥/٥ .
(٨) المبرد ١٥٩/٢ ، محاضرات الادباء: ٣٢٣/١ ، تهذيب ابن عساكر : ٦٧/٤ ، النويري: ٨٥/٤ ، البداية والنهاية: ١٢٧/٩ . وفي غرر السير ، الورقة ٢٥ أ ، وسرح العيون ، ص ١٧٩ : ان الذي دعاه ، هو عبدالملك بن مروان ، وان الشراب ، كان نبيذ الرمان .
(٩) سورة هود ، الآية : ٨٨ .
(١٠) انساب الاشراف ، ص ٢٧٩ (اهلورت) ، امالي الزجاجي ، ص ٢١٩ – ٢٠ ، الاغاني: ٩٦/١١ ، خزانة الأدب: ٥٤/١ – ٥٥ .

الظن في بعض الاحيان ، خاصة فيما يتعلق بطاعة العراقيين وموقفهم منه . ولكنه كان يعترف بخطأه فوراً ، عندما يتبين له بأن ظنه لم يكن صائباً (١) . ويبدو أن الحجاج كان محقاً في موقفه هذا ،فقد مر بتجارب أثبتت له أن حسن ظنه لم يكن في محله مع بعض الشخصيات التي احسن اليها (٢) .

ومن صفات الحجاج الحسنة ، أنه لم يكن يحرص على اقتناء الاموال (٣) . فقد مات ولم يترك وراءه غير ثلاثمئة درهم (٤) وبعض الامتعة الشخصية ، من ضمنها مصحف وسيف ، كما أنه ترك خادماً وخادمة ، مع عدد من الدروع (٥) التي اوقفها في وصيته لمعونة من يجاهد العدو ، ومن يتصدى لقمع ماقد يحدث من ثورات في العراق (٦) . ولم يتطرق أحد من المؤرخين الى أية ثروة كونها الحجاج لنفسه خلال حكمه الطويل للعراق ، بينما نجدهم يستطردون في ذكر الثروات والاملاك الخاصة للولاة الذين سبقوه ، والذين اعقبوه (٧) .

---

(١) البيان والتبيين: ٣١٦/١، ٢٨٠/٢، انساب الاشراف، ص ٢٠٠ (اهلورت)، المبرد: ١٥٥/٣، العقد الفريد : ١٣٧/٢

(٢) من ذلك مثلا: ان الحجاج اكرم عروة بن المغيرة بن شعبة، عندما قدم العراق، فولاه الكوفة، نيابة عنه، فكتب الاخير إلى عبد الملك كتاباً ذم فيه الحجاج، ونسب اليه العجلة والتسرع في القتل. وكذلك فقد قدر الحجاج سعيد بن جبير، وجعله إماماً في الكوفة، كما جعله من جملة سماره، ثم وضعه على عطاء الجند المتوجه إلى سجستان مع ابن الاشعث، واعطاه مبلغاً كبيراً من المال لينفقه حسب ما يرى، ولم يسأله عن شيء منه، ومع ذلك، فقد ثار عليه مع ابن الاشعث، انظر: انساب الاشراف، ج ٦، الورقة ٣١ أ، ٣٣ ب، المبرد: ٩٦/٢، الكامل في التاريخ: ٥٧٩/٤ .

(٣) غرر السير، الورقة ١٢ أ .

(٤) تهذيب ابن عساكر: ٨١/٤، البداية والنهاية: ١٣٩/٩، وفي غرر السير الورقة ٥٥ب: انه ترك الفي درهم .

(٥) غرر السير، الورقة ٥٥ ب، تهذيب ابن عساكر: ٨١/٤ .

(٦) تهذيب ابن عساكر: ٦٨/٤، البداية والنهاية: ١٣٩/٩، تاريخ الخلفاء، ص ٢٢٠ .

(٧) الاخبار الموفقيات، ص ٢٨٩، أنساب الاشراف، الورقة ١٤٩ أ (اسطمبول)، اليعقوبي «مشاكلة الناس لزمانهم»، ص ١٧، غرر السير، الورقة ٩١ أ، ابن الزبير، كتاب الذخائر والتحف ص ٢٠٧ وما بعدها، دائرة المعارف الاسلامية، مادة: (خالد القسري) .

ويذكرون بأن الحجاج مات وترك الاموال « لبيت المال » . وقد قدر مقدار ماتركه في بيت المال عند موته بـ (١٧) مليون درهم ، وقدره اخرين بـ (٢٠٠) مليون درهم حملت الى الوليد بن عبد الملك (١). وهذا يدل على أن انتباه الحجاج كان موجها الى بيت المال ومصلحة الدولة ، لا الى مصلحته الشخصية . على العكس من الحكام الاخرين (٢) .

وفي موضوع دراسة شخصية الحجاج لابد لنا ان نبحث مسألة مهمة تطرق اليها المؤرخون الأولون ، وتناولها المحدثون منهم بكثير من البحث والتفصيل ، وهي مدى ايمان الحجاج او كفره ! . فقد نقل لنا المؤرخون الأولون، العديد من الروايات والآراء التي تكفر الحجاج ، مستندة الى بعض الأقوال التي نسبت اليه(٣) . على ان اهم مااخذوه على الحجاج ، هو القول الذي نسب اليه ؛ عندما رأى الناس يطوفون بقبر رسول الله (ص) ومنبره ، فقال : انما يطوفون باعواد ورمّة بالية(٤) . ولهذا فقد ابرزت الروايات(٥) آراء عديدة لبعض العلماء الذين اكدوا كفر الحجاج وعدم ايمانه ، ومنهم سعيد بن جبير(٦) . الذي

---

(١) الذخائر والتحف، ص ٢٠٨ – ٢٠٩، التذكرة الحمدونية جـ ١٢، الورقة ٥٢ أ .

(٢) أنظر :

A. AL-Adhami, The Role of the Arab Provincial Governors in Early Islam, P. 267 . (بحث غير منشور)

(٣) مروج الذهب : ١٠٥/٣ ، حياة الحيوان : ١٩٣/١ .

(٤) الواقدي « في أنساب الأشراف » ص ٦٩ (أهلورت) ، العقد الفريد : ٥١/٥ ، ابن أبي الحديد ٦٤٢/٤ ، وراجع ، ص ٣٩ من هذا البحث .

(٥) العقد الفريد : ٥٥/٥ ، تهذيب ابن عساكر : ٨١/٤ .

(٦) يكنى أبا عبد الله ، مولى بني والبه ، خرج مع القراء ، على الحجاج ، في ثورة ابن الأشعث ثم هرب الى مكة ، وقد أرسله واليها الى الحجاج الذي قتله سنة (٩٤ هـ – ٧١٢ م) : طبقات ابن سعد : ١٧٨/٦ – ٨٥ ، طبقات خليفة ، ص ٢٨٠ ، ويذكر أنه مات سنة (٩٥ هـ / ٧١٣ م) . المعارف ص ٤٤٥ – ٤٦ .

قال : « والله ماخرجت عليه حتى كفر(١) ، ومنهم الشعبي (٢) ، القائل بان الحجاج « مؤمن بالطاغوت كافر بالله العظيم (٣)» . وأرى ان الشعبي ذكر هذا القول بعد وفاة الحجاج ، لأن الشعبي يعترف انه : « كان ينال هو وجماعته من علي مقاربة للحجاج(٤) ». وهناك من ذهب ابعد من هؤلاء ، فقرر سلفا ان الحجاج من اهل النار (٥) . وقد اتهم الحجاج ايضاً انه كان يتعمد تأخير صلاة الجمعة، ويمنع من يحاول ان يؤديها قبله ، ويعاقب من يذكره بفوات وقتها (٦) . ولكن ابن عساكر (ت٥٧١هـ / ١١٧٥ م) ، يذكر رواية تنص على قول الحجاج ، ان صلاة الجمعة لايمكن تأخيرها (٧).

وفي الحقيقة ، ان المتتبع لدراسة حياة الحجاج بن يوسف ، يجد الكثير من الروايات التي تحاول ان تقنع القارىء بضعف ايمان الحجاج ، بل كفره ،

---

(١) تهذيب ابن عساكر : ٧٩/٤ ، البداية والنهاية : ١٣٦/٩ .

(٢) عامر بن شراحيل الشعبي ، تولى قضاء الكوفة ، لفترة من عهد الحجاج ، كذلك في زمن عمر بن عبد العزيز . توفي سنة (١٠٤ أو ١٠٥ هـ / ٧٢٢ أو ٧٢٣ م)، طبقات ابن سعد: ١٧١/٦ – ٧٨ ، طبقات خليفة ، ص ١٥٧ ، المعارف ص ٤٤٩– ٥١ ، أخبار القضاة: ٤١٣/٢ .

(٣) أنساب الأشراف ، ج ١١ ، الورقة ٤١ ب ، العقد الفريد : ٥٠/٥ ، البصائر والذخائر ٢ قسم ١ ، ص ٧٣ ، تهذيب أبن عساكر : ٧٥/٤ .

(٤) ابن أبي الحديد : ٢٢٧/٤ .

(٥) الحيوان : ١٤٠/٤ .

(٦) الأخبار الموفقيات ، ص ١٠٤ ، طبقات ابن سعد ، ج ٤ قسم ١ ، ص ١١٧ ، ورسالة للجاحظ في بني أمية ، ص ٩٧ ، أنساب الأشراف ، ج ١١ ، الورقة ٣٩ أ ، ٤١ ب ، ٤٢ ب (٦٠٨ أ اسطمبول) ، ابن أبي الحديد : ٦٤١/٤

(٧) « تأريخ مدينة دمشق » : ٣٥٢/١ ، وملخص الرواية : أن رجلا استغفل قاضي الحجاج الذي كان متوجهاً لأداء صلاة الجمعة ، قائلا له : « أما بلغك أن الأمير قد أخر صلاة الجمعة اليوم : فرجع القاضي الى بيته ، وفي اليوم التالي ، سأل الحجاج قاضيه ، عن عدم حضوره صلاة الجمعة فأخبره بما حصل ، فأجابه الحجاج : « أبا حمير ، أما علمت أن الجمعة لا تؤخر » .

لذلك اصبح من المألوف ان نجد اسم الحجاج في بعض المصادر مقرونا باللعنات والصفات القبيحة (١). ويبدو ان الحجاج لم يسلم حتى من اهل الشام — الذين احسن اليهم وقربهم اليه — فكان بعضهم يطعن به ويشتمه . وينتقص منه(٢). ولم تقتصر حملة التشهير والطعن به على المؤرخين الأولين ، بل انتقلت الى بعض المحدثين الذين كتبوا عن الحجاج ، آخذين بنظر الأعتبار صحة كل مانقلته الروايات المناوئة له عن كفره ، وضعف ايمانه . فنرى احدهم يكتب عنه العبارات التالية : « كان يكره الاسلام كدين (كذا) ويكره صاحب الرسالة الاسلامية ، ويكره انصار النبي محمد من العرب . ويكره الهاشمين ، ويكره كل ذي نعمة ، جمالا كانت او ثروة اوجاها . وهو لم يؤيد الامويين عامة والمروانيين خاصة . حباً بهم او اعجاباً بمزاياهم وفضائلهم . لا وانما هي كراهيته للروح الدينية الجديدة التي حملته على السير اتجاههم ودفعته دفعا في تيارهم السياسي والفكري ..» (٣) ومن الملاحظ. ان هذا المؤلف ، لم يذكر أي دليل يؤيد مايذهب اليه من اتهام الحجاج بهذة الصفات . ولايخفي ان هذه الأساليب . هي ابعد ماتكون عن الروح العلمية والنقد البناء . والانصاف في دراسة الشخصيات . ويبدو ان المؤلف قد نسي . ماكتبه في مقدمة كتابه ، من انه سيحاول الانصاف . لأنه يرى ان « على مؤرخي السيرة وكتابها خاصة ان يلتزموا جانب الانصاف كلما عرضوا لشخصية تاريخية (٤).. »فهل في نص المؤلف المذكور اعلاه . أي أثرمن آثار الانصاف ؟.

وعلى الرغم من هذه الاتهامات الكثيرة التي ذكرتها بعض الروايات : عن ضعف ايمانالحجاج ،ورددها الكثير من الذين كتبوا عنه،يظهر للباحث

(١) النجوم الزاهرة : ٢٣٠/١ – ٣١ ، السيوطي ، تأريخ الخلفاء ، ص ٢٢٠ ، المدور ، حضارة الأسلام في دار السلام ، ص ١٦ – ١٧ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق : ٣٥٠/١ – ٥١ .

(٣) شرارة ، الحجاج طاغية العرب ، ص ١٣١ .

(٤) نفس المرجع ، ص ١٣ – ١٤ .

أن الوضع والزيادة والتشويه لبعض افعال الحجاج واقواله قد أخذطريقه الى ما كتب وقيل عنه وقد فطن الى هذا الامر أحد مؤرخي القرن الثامن الهجري(الرابع عشر الميلادي) ، وهو أبن كثير ، فقال معلقا على هذا الموضوع : «... وقد روى عنه الفاظ بشعة شنيعة ظاهرها الكفر فأن كان قد تاب منها واقلع عنها ، والا فهو باق في عهدتها ، ولكن قد يخشى انها رويت عنه بنوع من زيادة عليه ، فأن الشيعة كانوا يبغضونه جداً لوجوه ، وربما حرفوا بعض الكلم وزادو فيما يحكونه عنه بشاعات وشناعات »(١) .على أن الشيعة لم يكونوا وحدهم هم مصدر الروايات الموضوعة . والمفتعلة عن الحجاج ، فقد ساهم في هذا الامر الخوارج . لانه قاومهم . والزبيريون لانه قوض ملكهم وكذلك أتباع ابن الاشعث ، لانه قضى على حركتهم . ويعلق ولها وزن (٢) على السبب الذي من اجله كثرت الروايات المفتعلة على الحجاج ، التي حاولت أن تنال من ايمانه خاصة . فيقول : أن الحجاج لم يكن كافرا بالله ولكن جرأته وقلة تيخرجه في القضاء على ابن الزبير في مكة . وعدم رضاه باتخاذ اهل الكوفة والبصرة سنداً من الدين . لتبرير مايقومون به من فتنة ، كان من الاسباب التي ادت الى اثبات قلة ايمانه عند الرأي العام في الحجاز والعراق . ولقد اتهم الحجاج بفظائع أخرى كثيرة ، وهي في الواقع موضوعة ولدّها بعض اعدائه ورموه بها .

وكان العامل المهم الذي يزيد من انتشار هذه الروايات المفتعلة ، هو تقبل المجتمع لها بدون تحفظ . وتصديقها على اعتبار انها حقائق واقعية ، طالما ذكرها العلماء ، او بعض الرواة الذين هم ثقات في نظر الناس . من ذلك ماذكره البيهقي (٣) (ت٤٧٠هـ/١٠٧٧م) من ان رجلا من الخوارج صعد

(١) البداية والنهاية : ١٣٢/٩ – ٣٣ .
(٢) تأريخ الدولة العربية ، ص ٢٤٨ .
(٣) المحاسن والمساوىء : ١٠٩/١ – ١١٠ .

على منبر احد المساجد ، فلعن الحجاج ، وذكر الكثير من المساوىء التي قام بها ، فتابعه الناس في لعنه . ولكنه لم يلبث ان ذكرهم بما قام به الحجاج من محاسن وانه كان غيورا على المسلمين عفيفاً عن اموالهم ، وطلب منهم ان يترحموا عليه ، ويدعوا له بالمغفرة ، ففعلوا وتعالت اصواتهم بالدعاء والاستغفار له . ويمكن ان نلاحظ مايشابههذه الظاهرة حتى في وقتنا الحاضر ، فنرى السيد محمد امين الخانجي (١)مثلا ،يعلق على بعض اعمال الظلم التي ذكر الجاحظ (٢) ، ان يوسف بن عمر (٣) ، قد قام بها ، فيقول : بانه وجدها «في الاصل مسندة الى يوسف بن عمر ... ولعلهامن اخبار الحجاج كما في غير هذا الكتاب» (٤) ولا يدل البحث الا على انها خاصة بيوسف بن عمر ، ولا علاقة للحجاج بها (٥) ، ولكن كثرة ما نسب من الاعمال السيئة للحجاج . هي التي حولت انتباه السيد الخانجي اليه بدلا من يوسف بن عمر .

ومما يجدر ملاحظته انه ليس من اهداف هذا البحث الدفاع عن ايمان الحجاج (٦) ، ولكن الغاية الاساسية التي نريدها ، هي بيان كل الجوانب

---

(١) محقق كتاب المحاسن والأضداد (الطبعة الأولى) .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٤ .

(٣) يوسف بن عمر محمد بن الحكم بن أبي عقيل ، كان قد تولى اليمن لهشام بن عبد الملك ، ثم ولاه العراق سنة (١٢٠ ﻫ/٧٣٧ م) وقد قتل سنة (١٢٧ ﻫ/٧٤٤ م) . تأريخ خليفة: ٣٨٦/٢ . أنساب الأشراف ج ١١ ، الورقة ٤٢ ب .

(٤) المحاسن والأضداد ، ص ٤٤ (حاشية المحقق) .

(٥) حول بعض تصرفات يوسف بن عمر أنظر : أنساب الأشراف ، الورقة ١٥٤ ب ، (اسطمبول) ، غرر السير ، الورقة ٩٢ ب - ٩٣ أ .

(٦) أنظر : رويحة ، جبار ثقيف الحجاج بن يوسف ، ص ٥٥ - ٦١ ، حيث عقد المؤلف فصلا بعنوان « العقيدة والأيمان عند الحجاج بن يوسف » دافع فيه عن عقيدة وايمان الحجاج مستشهداً بنصوص من أقواله وافعاله ، وفي رأيه أن اسراف الحجاج في سفك دم العاصين والثائرين ، وقسوته وشدته حملت الناس على أتهامه بدينه ، ص ٦١ .

المختلفة المتعلقة بشخصية الحجاج ، ومدى تأثيرها على حكمه للعراق ، واستخلاص صورة صحيحة او اقرب الى الصحة ، عن سيرة الحجاج فيما له وعليه . لهذا فان الروايات التي تظهر بعض الجوانب الايجابية من شخصيته ، ستحظى باهتمام ، كما حظيت الروايات المعارضة له . والى جانب مايذكر عن الحجاج من ضعف الايمان والكفر ، فان هنالك الكثير من الروايات التي تظهر الحجاج بمظهر التدين والورع ، فقد كان «يتدين بترك المسكر ، وكان يكثر من تلاوة القرآن ، ويتجنب المحارم ، ولم يشتهر عنه شيء من التلطخ بالفروج ، وان كان متسرعا في سفك الدماء... وكان حريصا على الجهاد وفتح البلاد ، وكان فيه سماحة باعطاء المال لاهل القرآن ، فكان يعطي على القرآن كثيرا (١) ...» وكان قد سمع الحديث ورواه عن عدد من الصحابة ، منهم عبد الله بن عباس (ت٦٨هـ/٦٨٧م) وانس بن مالك ، وسمرة بن جندب (٢) ، وعبد الله بن عمر (ت٦٤هـ او ٧٣هـ/ ٦٨٣او ٦٩٢م) واسماء بنت ابي بكر (ت٧٣هـ/٦٩٢م) ، وغيرهم. وكان الحجاج قد درس القرآن ، وروى غير واحد من ثقات الفقهاء والمؤرخين انه كان يقرأه كل ليلة (٣) . كما كان يدني ويقرب من يحفظ القرآن (٤) . ويقول ابن عون (٥): اذا سمعت قراءة الحجاج.

(١) البداية والنهاية : ١٢٣/٩ .

(٢) سمرة بن جندب بن هلال ، من الصحابة المشهورين ، روى عن الرسول أحاديث كثيرة وكان يتولى البصرة نيابة عن زياد بن أبي سفيان ، توفي بين سنة (٥٥ — ٦٠ هـ /٦٧٤ — ٦٧٩ م) طبقات ابن سعد ، ج ٧ ، قسم ١ ، ص ٣٣ — ٣٤ ، طبقات خليفة ، ص ٤٨

(٣) السجستاني ، كتاب المصاحف ، ص ١٢٠ ، تهذيب ابن عساكر : ٤٩/٤ ، البداية والنهاية : ١١٩/٩ ، ١٢٣ ، الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ٢٥٠/١ ، وفيه أن الحجاج كان يقرأ في كل ليلة ربع القرآن .

(٤) الحيوان : ١٩٥/٥ (تحقيق ، عبد السلام هارون) .

(٥) أبو عون ، محمد بن عبيد الله بن سعيد الثقفي ، راوية للحديث ، توفي سنة (١١٦ هـ / ٧٣٤ م) : تهذيب التهذيب : ٣٢٢/٩ .

علمت انه طالما قرأ كتاب الله (١) . وكان يجمع الحفاظ والقراء ، ويتذكر معهم في القرآن واجزائه (٢) ، ولهذا فقد ابدى عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١هـ/٧١٧ - ٧١٩م)حسده للحجاج على حبه للقرآن واعطائه أهله (٣) . وقد كان الحرص على اداء الصلاة في وقتها ، ومعرفة شرائع الاسلام ، في مقدمة الامور التي يجب ان يؤكدها مؤدب اولاد الحجاج لهذا فهو قد رفض مؤدبا نصرانيا ، على الرغم من علمه الغزير ، ودعا بمؤدب مسلم ، وقال له : الاترى ياهذا انا قد دللنا على نصراني وقد ذكروا انه اعلم منك غير اني كرهت ان اضم الى ولدي من لاينبههم للصلاة عند وقتها ولا يدلهم على شرائع الاسلام ومعالمه (٤)... ويبدو ان الحجاج كان حريصا على بقاء هذه التربية الدينية عند اولاده ، فعندما زوج ابنته اختار لها زوجا متدينا ناسكا هو مسرور ابن الخليفة الوليد الاول (٥) .

ولم يقتصر اهتمام الحجاج ، بالتربية الدينية ، على اهل بيته حسب ، أنما كان يستغل الفرص والمناسبات ، ليعبر للناس ، عن اهمية التقوى ، والدين في الحياة العامة . فقد كان ينتهز فرصة انتهاء شهر رمضان ، ليذكر الناس بوجوب استمرار الطاعة لله في الاشهر التالية ، وعدم الأكتفاء بها في هذا الشهر فقط (٦) . وعندما كانت تنقطع مراسلاته ، او تتأخر ، مع الجيوش الفاتحة في الشرق ، ويشعر ان المسلمين اصبحوا هناك في خطر ، كان يأمر الناس باقامة الصلوات في المساجد ، وان يكثروا من الدعاء لسلامة

(١) أنساب الأشراف ، الورقة ٦٢٣ أ (اسطنبول) .
(٢) كتاب المصاحف ، ص ١١٩ . وعن أكرام الحجاج للذين يقرأون القرآن ويروون الشعر ويعلمون السنة ، والفقهاء في ذلك العهد بصورة عامة : أنظر أنساب الأشراف ، ج ٦ ، الورقة ٣١ أ ، ج ١١ ، الورقة ٣٩ ب ، وعن مراسلاته ومناظرته مع الحسن البصري واكرامه له : أنظر ، ابن المرتضى ، طبقات المعتزلة ، ص ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ .
(٣) تهذيب ابن عساكر : ٨٢/٤ ، ابن الجوزي ، سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٨٩ .
(٤) الأغاني : ٧٨/١٨ .
(٥) العقد الفريد : ٤٢٢/٤ .
(٦) أخبار القضاة : ٦٦/٢ .

المسلمين (١) . وكان يوصي قواده ، ان يأمروا جنودهم بتلاوة القــرآن لانه امنع الحصون (٢) . ولم يكن يكتفي بالقول والخطب والوصايا ، انما كان معلما عمليا للامة ، ويستفاد مما ذكره مؤلف (غرر السير) (٣) ، ان الحجاج كان حريصا على تطبيق شعائر الصلاة بصورة مضبوطة . فقــد خطب على المنبر مبينا ذلك ، ثم رأى ان الطريقة العملية هي احسن الوسائل فطلب اناء وابريقا ، ونزل من على المنبر . وتوضأ امام المصلين شارحا لهم ، ومذكرا اياهم بالطريقة الصحيحة السليمة التي يتطلبها الشرع عند القيام بعملية الوضوء .

ان هذه الاخلاق الفاضلة ، وهذه الروح الدينية العظيمة ، لاتسمح للباحث ، بأي حال ، ان يتهم الحجاج بالكفر والالحاد ، فلقد كانت الروح الاسلامية قوية لدى الحجاج ، كما ادرك ذلك بيير J.perier (٤) وقــد وصفــه (لامانس) (٥) ، بانه مسلم غيور . كما وصفه مستشرق آخر بالــورع والتقوى (٦) . يضاف الى هذا ان هناك الكثير من خطب الحجاج ، التــي تطغى عليها صفة الوعظ والارشاد (٧) ، وقد اظهر فيها احتقار شديدا للحياة الدنيا واملا عظيما فيما يطمع فيه بعد الممات (٨) . واخيرا فــــان

(١) الطبرى : ١١٨٦/٢ ، النرشخي ، تأريخ بخارى ، ص ٧٢ ، الكامل في التأريخ ٥٢٨/٤ تأريخ الخلفاء ، ص ٣٠٦ .

(٢) العقد الفريد ، ٢١٨/٤ .

(٣) الورقة ٢٣ ب .

(٤) VIE D.AL-Hadjadj IBN Yousof.p.326

(٥) دائرة المعارف الأسلامية ، مادة : (الحجاج) .

(٦) E.I.,2 "Al-Hadjdjadj B. Yusuf "

(٧) عن خطب الحجاج و الوعظية ، أنظر : صفوت ، جمهرة خطب العرب : ٢٨٧/٢ – ٨٩

(٨) المحاسن والأضداد ، ص ١٠٨ ، البيان والتبيين : ١٤٢/٢ ، عيون الأخبار : ٢/ ٢٤٤ ، أنساب الأشراف ، ج ١١ الورقة ٣٦ ب ، ٣٩ أ ، الوفاء ، ص ٦٥ – ٦٦ ، مروج الذهب : ٨٣/٣ .

ماذكره الحجاج في وصيته التي ذكرها بعض المؤرخين ، تدحض كل ادعاء بكفر او الحاد عند الحجاج ،فقد ذكر في مقدمة ما اوصى به انه: «يشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله وانه يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ...» (١) .

(١) السجستاني ، المعمرون والوصايا ، ١٦١ وانظر أيضاً : تأريخ الخلفاء ص ٢٢٠ ، حيث ذكرها (المؤلف المجهول) مع أختلاف يسير في الألفاظ ، كذلك ، تهذيب ابن عساكر ٦٨/٤ ، البداية والنهاية : ١٣٩/٩ .

الفصل الثاني

اختيار الحجاج لولاية العراق

١ — حدود ولاية العراق .

٢ — الأسباب الموجبة لأختيار الحجاج لولاية العراق .

٣ — مدى نجاح الحجاج في انجاز ماانتدب له في العراق

(١) حدود العراق في عهد الحجاج

في حدود العراق (١) رأيان ، الاول جغرافي . وبموجبه فهو يمتد من الجزيرة شمالا الى عبادان جنوبا . ومن القادسية غربا الى حلوان شرقا . ولا يتفق الجغرافيون على النقطة التي تبدأ منها حدوده الشمالية . ففي رأي الاصطخري (٢) (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) ، وابن حوقل (٣) (ت٣٦٧هـ/٩٧٩م) انها تبدأ من تكريت . اما ابو الفداء (٤) (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م) فيعتبر مدينة حديثة (٥) على دجلة هي نقطة البداية في شمال العراق . وتعتبر الموصل النهاية الشمالية لحدود العراق عند الزبيدي (٦) (ت١٢٠٥هـ/١٧٩١م) . ويبدو انه كانت هناك حدود واضحة للعراق في العصر الاموي ، خاصة بينه وبين ارض الموصل التي تتبع الجزيرة (٧) .

---

(١) سمي العراق بهذا الأسم و لأستواء أرضه حين خلت من جبال تعلو واودية تنخفض ، والعراق في كلام العرب هو الأستواء : الأحكام السلطانية ص ١٧٣ ، وهناك من يرى أنه سمي بذلك لتواشج عروق النخل والشجر فيه ، أو لأنه سفل عن نجد ودنا من البحر ، فسموه عراقاً لقربه من البحر ، واهل الحجاز يسمون ما كان قريباً من البحر عراقاً . وقيل في تسميته أيضاً : العراق شاطيء البحر ، وبه سمي العراق ، لأنه على شاطيء دجلة والفرات حتى يتصل بالبحر . وقيل : العراق : معرب واصله (ايراق) فعربته العرب ، فقالوا : (عراق) ، أو هو معرب من (ايران شهر) ومعناه كثير النخل والشجر . والعراقان هما (الكوفة والبصرة) ، مختصر كتاب البلدان ، ص ١٦١ ، البلوى : ١/٢٨٠ لسان العرب / مادة : (عرق) تقويم البلدان ، ص ٢٩١ ، تاج العروس / مادة : (عرق)

(٢) مسالك الممالك ، ص ٧٨ .

(٣) صورة الأرض ، ص ٢٠٨ .

(٤) تقويم البلدان ، ص ٢٩١ .

(٥) المقصود بها حديثة الموصل ، وهي بليدة كانت على دجلة بالجانب الشرقي قرب الزاب الأعلى : معجم البلدان : ٢/٢٢٢ .

(٦) تاج العروس ، مادة : عرق

(٧) الطبرى : ٢/٧٠٧

ولا بوجد اختلاف كبير بين المنطقة التي يطلق عليها (السواد) (١) وبين العراق بحدوده التي ذكرناها آنفا . فقد اتسع مداول كلمة السواد حتى صارت هي والعراق لفظين مترادفين في الغالب (٢) . ويدل على هذا اننا نجد في كثير من الاحيان حدود السواد مشابهة تقريبا للحدود السابقة التي يذكرها الجغرافيون للعراق (٣) .

اما الرأي الثاني في حدود العراق ، فيتعلق بـ (عمل العراق) ، او بعبارة اخرى ، في المناطق التي تتبعه من الناحية الادارية ، فيذكر ابن الفقيه الهمداني (٤) (تنحو٢٨٩هـ/٩٠٢م) ،ان : «من لي العراق فقد ولي البصرة والكوفة والاهواز وفارس وكرمان والهند والسند وسجستان وطبرستان وجرجان ..» وهو في هذا يستند الى رواية المدائني الذي يقول : ان عمل العراق ، مـــن

---

(١) السواد : تعبير أدبي لأقليم العراق المزروع ، أي قراه وضياعه التي أفتتحها العرب المسلمون في عهد عمر بن الخطاب ، سمي بذلك لسواده بالزروع والنخيل لأن الخضرة تقارب السواد وسواد كل شيء كورة ماحوله من القرى والرساتيق ، وكان الفرس يسمونه (دل ايرانشهر ويشبهونه بالقلب ، لأن سائر الدنيا البدن ، وايرانشهر ، هو الأقليم المتوسط لجميع الأقاليم . وفي دائرة المعارف الأسلامية ، ان السواد أسم العراق ، والسواد أقدم أسم عربي للأرض الفرينية على دجلة والفرات اذا قورنت بالبادية العربية . ولقد مر اسم السواد بثلاثة أدوار تأريخية ، الأول : أنه ينسجم مع التقسيمات السياسية للعراق ، ومن ثم فهو يناظر أقليم أو منطقة (سورستان) الساسانية (ايران شهر) . والثاني ، أنه استخدم للدلالة على الأرض الزراعية في المنطقة المشار اليها ، وهي سواد العراق . والثالث : اذا وضعت كلمة سواد بجانب أسم مدينة ، فهي تعني الحقول المزروعة زرعاً كثيفاً حول تلك المدينة : المسالك والممالك ، ص ٥ – ٦ ، الأحكام السلطانية ، ص ١٧٢ – ٧٣ . معجم البلدان : ١٧٤/٣ ، ١٧٦ ، لسان العرب / مادة (سود) تاج العروس / مادة : (سود) E-I-I; SAWAD

(٢) لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤١ .

(٣) أنظر : أبو عبيد ، الأموال ، ص ٧٢ ، الصولي ، ص ٢١٩ ، الأحكام السلطانية ، ص ١٧٣ ، معجم البلدان : ١٧٤/٣ .

(٤) مختصر كتاب البلدان ، ص ١٩٢ .

هيت الى الصين والسند والهند ، يضاف الى ذلك الري وخراسان والديلم والجبال واصبهان ، التي هي سرة العراق (١) .

وبطبيعة الحال ، فان هذا الوصف لاينطبق على كل الولاة الذين حكموا العراق في العهد الاموي . وحتى بالنسبة الى الحجاج ، فانه لم يعين على جميع هذه المناطق في بداية ولايته للعراق . لان تعيينه كان يشمل العراقين فقط اي (الكوفة والبصرة) ، «دون خراسان وسجستان» (٢). وفي سنة (٧٨هـ/٦٩٧م) ضم عبد الملك ، خراسان وسجستان الى العراقين . فاصبحت هذه المناطق جميعا خاضعة لادارة الحجاج بن يوسف (٣) يضاف الى ذلك بقية المناطق الشرقية الاخرى التي الحقت بالدولة الاموية بنتيجة الفتوحات التي تمت في عهده . فقد ولى المهلب بن ابي صفرة (ت٨٣هـ/٧٠٢م) على خراسان فغزا مغازى كثيرة (٤) . وعندما تولاها قتيبة بن مسلم (٥) ، وسع من حدود الدولة الشرقية كثيرا . فغزا سمرقند ، وفتح بخارى (٦) ، ووصل الى حدود الصين (٧) ، كما ولى الحجاج ، محمد بن القاسم (٨) على ثغر السند ، ففتح السند والهند (٩) . وكانت النتيجة الطبيعية ، ان الحقت ادارة

(١) نفس المصدر ، ص ١٦١ — ٦٢ ، العقد الفريد : ٢٤٨/٦ .

(٢) الطبرى : ٨٦٣/٢ ، الكامل في التأريخ : ٣٧٤/٤ .

(٣) فتوح البلدان ص ٤٩١ ، ٥١٤ ، الطبرى : ١٠٣٢/٢ .

(٤) فتوح البلدان : ص ٥١٤ .

(٥) قتيبة بن مسلم الباهلي ، كان عاملا للحجاج على خراسان ، اشتهر بفتوحاته الواسعة فيما وراء النهر ، قتل بفرغانة سنة (٩٧ هـ / ٧١٥ م) . المعارف ص ٤٠٦ .

(٦) فتوح البلدان : ص ٥١٦ ، ٥١٨ ، الطبري : ١٢٠١/٢ .

(٧) البداية والنهاية : ٨٧/٩ — ٨٨ .

(٨) محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم الثقفي ، وهو ابن أخي الحجاج ، فتح بلاد السند والهند سجن بعد موت الحجاج ، ثم قتل في عهد سليمان بن عبد الملك ، الطبري : ١٢٠٠/٢ ، ١٢٧١ ، المرزباني ، معجم الشعراء ص ٤١٢ .

(٩) فتوح البلدان : ص ٥٣٤ فما بعدها ، الطبري : ١٢٧١/٢ .

هذه المناطق جميعا ، بولاية العراق التي كان يديرها الحجاج بن يوسف الثقفي .

يتضح مما تقدم ، أن المقصود بـ (عمل العراق) ، هو ولاية العراق والاقاليم التي تتبعها من الناحية الادارية . ولهذا فنحن أثناء كلامنا عن العراق — في هذا البحث — نقصد بالدرجة الاولى ولاية العراق بحدودها الجغرافية الاولى ، التي ذكرناها في أول الفصل ، كما اوردها الجغرافيون العرب .

(٢) الأسباب الموجبة لأختيار الحجاج لولاية العراق

لقد واجه العراق ظروفاً صعبة في السنوات القلائل التي سبقت ولاية الحجاج ، فقد أستطاع عبد الملك بن مروان ، أن يقتل مصعب بن الزبير سنة (٧٢ هـ /٦٩١ م) ويتمكن من استعادة العراق من أيدي الزبيريين . وبذلك ضمن سيطرة الامويين على هذا الجزء الحساس من الدولة العربية ، غير أنه كان للعراق ظروفه الخاصة ومشاكله الكثيرة التي كان يعاني منها ، فقد تتابعت فيه الفتن والحركات المتلاحقة ، التي ازدادت بعد استشهاد الحسين بن علي في سنة (٦١ هـ ٦٨٠ م) ، فقامت حركة التوابين (١) نتيجة لما شعر به أهل الكوفة

---

(١) قامت في الكوفة آخر سنة (٦١ هـ / ٦٨١ م) ، وقد ترأسها خمسة أشخاص بزعامة سليمان ابن صرد الخزاعي ، رأوا أنهم أخطأوا بتركهم نصرة الحسين فحاولوا مطاردة قتلته والأخذ بثأره . ولكن عبيد الله بن زياد ، استطاع أن يرسل اليهم ، الحصين بن نمير ، الذي أنتصر عليهم في عين الوردة ، وقتل منهم الكثير ، بما فيهم سليمان بن صرد ورجع الباقون الى الكوفة ، وكان ذلك في سنة (٦٥ هـ / ٦٨٤ م) . تأريخ خليفة : ٢٥٨/١ ، أنساب الأشراف : ٥/٢٠٤ – ٢٠٥، ٢١٠ ، الطبري : ٤٩٧/٢ ، ٥٣٨ ، ٥٦٠ فما بعدها البياسي جـ ٢ الورقة ٩٦ أ ، ١٠٠ أ فما بعدها ، واحدث من كتب عن التوابين ، الدكتور دكسن ، أنظر مقالته : « من حركات المعارضة الدينية السياسية في العصر الأموي » المجلة التأريخية ، العدد ٢ ، ١٩٧٢ ص ١٤١ – ٥١ .

من خذلانهم للحسين ، ومن بعدها أستطاع المختار الثقفي (١) ، أن يسيطر على العراق وأن يلاحق قتلة الحسين . ولكن مصعب بن الزبير استطاع أن يقضي على حركته ، ويخضع العراق لسلطان الزبيريين (٢) .

لقد راح بسبب هذه الحركات الكثير من الضحايا . اضافة الى ما سببته ن هياج في المشاعر وغليان سياسي ، استمر حتى مجيء عبد الملك الى العراق واذا ماأضفنا مشكلة الخوارج التي كان يعاني منها العراق، تبين لنا عظم الصعوبات التي كان على الامويين أن يواجهوها فيه .

لقد انشغل الولاة الامويون الذين عينهم عبد الملك على العراق، بمحاولة تثبيت السلطة الاموية فيه. ولكن القسم الاعظم من جهودهم كان موجها الى مكافحة الخوارج والتقليل من خطرهم . وفي هذه الفترة . كان الازارقة (٣) من الخوارج ، قد تجمعوا بالاهواز ، بقيادة قطري بن الفجاءة (٤) فعندما قدم خالد بن عبد الله (٥)

---

(١) المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي غلب على الكوفة ، في زمن مصعب ، وتتبع قتلة الحسين بن علي ، قاتله مصعب بالكوفة وانتصر عليه في سنة (٦٧ هـ / ٦٨٦ م) . تأريخ خليفة : ٢٦٠/١ ، المعارف ، ص ٤٠٠ – ٤٠١ ، أنساب الأشراف : ٢١٤/٥ فما بعدها ، الأخبار الطوال ص ٣١٤ ، الطبري : ٥٩٨/٢ فما بعدها ، البياسي ج ٢ ، الورقة ١٢٠ ب ، ١٣٨ أ–ب ، وقد كتب الدكتور دكسن فصلا وافيا عن المختار بعنوان « المعارضة العلوية » أنظر : الترجمة العربية ، ص ٥٥ – ١١٦
The Umayyad Caliphate P. 25 - 83.

(٢) تأريخ خليفة : ٢٦٠/١ ، أنساب الأشراف ، ٢٦٢/٥ ، الأخبار الطوال ، ص ٣١٤ الطبري : ٧٤٩/٢ ، البياسي ، ج ٢ الورقة ١٤٨ ب .

(٣) وهم أصحاب أبي راشد نافع بن الأزرق ، سموا بأسمه ، وكانوا من أكثر الفرق عدداً واشدهم شوكة . ومن مبادئهم : اباحة دم أطفال ونساء أعدائهم ، وان كل كبيرة كفر ودار مخالفيهم دار كفر ، وقد برئوا ممن قعد عن الخروج لضعف أو غيره: الأشعري : ١٥٩/١ ، الفرق بين الفرق ص ٨٢ – ٨٤ ، ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل: ١٨٩/٤ ، الملل والنحل : ٨٩/١ .

(٤) أحد زعماء الأزارقة ، وكان خطيباً شاعراً فارساً ، هزمه سفيان بن الأبرد الكلبي ، قتل سنة (٧٧ هـ / ٦٩٦ م) : البيان والتبيين ، ٢٢٦/٣ – ٢٧ . المعارف ، ص ٤١١ ، حياة الحيوان ، ٣١٢/٢ .

(٥) خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، ولاه عبد الملك البصرة لفترة قصيرة ثم عزله توفي سنه (١٢٦ هـ / ٧٤٣ م) ، تأريخ خليفة : ٢٩٥/١ .

والياً على البصرة سنة (٧٢ هـ / ٦٩١ م) خرج اليهم في نحو من تسعين الفا من أهل البصرة والكوفة ، ممن امده بهم بشر بن مروان (١) . ولكن الخوارج ، هزموه كما هزموا أخاه أمية بن عبد الله (٢) شر هزيمة وفضحوه (٣)، فعزله عبد الملك وولى البصرة والكوفة أخاه بشر بن مروان سنة (٧٤ هـ / ٦٩٣ م) (٤)

نشط بشر بن مروان بعد تعيينه على البصرة . لمحاربة الخوارج بأمر من أخيه عبد الملك . فأرسل اليهم المهلب بن أبي صفرة على رأس جيش. من أهل البصرة ، كما أنجده بجيش اخر من أهل الكوفة (٥) . ولكن بشرا توفي قبل أن يشرع المهلب في حرب الخوارج .

أن المشكلة الكبيرة التي كانت تواجه الولاة الامويين في حربهم مع الخوارج ، هي تقاعس بعض أهل العراق عن الحرب ، ومما كان يزيد من هذا التقاعس موقف بعض الفقهاء من هذه الحرب ، فقد « أتى رجل الى الحسن [البصري ١١٠ هـ / ٧٢٨ م] فقال : ياأبا سعيد: أن هؤلاء استنفروني لاقاتل الخوارج فما ترى؟ فقال: أن هؤلاء اخرجتهم ذنوب هؤلاء، وأن هؤلاء يرسلونك تقاتل ذنوبهم فلا تكن القتيل منهم فأن القوم أهل خصومة يوم القيامة (٦) . لهذا فقد كثر عدد الرجال الذين كانوا يفرون من قتال الخوارج . ومن الجائز أيضاً أن يكون لعامل التعب من كثرة الحروب وكراهية العراقيين لحياة المعسكرات (٧) ؛

---

(١) بشر بن مروان بن الحكم ، ولي العراق سنة (٧٠ هـ / ٦٩٣ م) توفي سنة (٧٥ هـ / ٦٩٤م) تأريخ خليفة : ٢٧١/١ .

(٢) أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، أستعمله عبد الملك على خراسان ، توفي سنة (٨٧/٧٠٥م) الطبري : ٨٥٩/٢ ، تهذيب التهذيب ٣٧١/١ – ٧٢ .

(٣) أنساب الأشراف : ١٥٩/٤ ، تأريخ اليعقوبي : ٣٢٥/٢ ، الطبري : ٨٢٩/٢ – ٦١ .

(٤) تأريخ خليفة : ٢٩٥/١ ، أنساب الأشراف : ١٥٩/٤ ، الطبري : ٨٥٥/٢ .

(٥) المبرد : ٣٦٤/٣ ، الطبري : ٨٥٥/٢ فما بعدها .

(٦) الملطي ، ص ١٨١ .

(٧) Perier, Op. Cit., P. 68 .

أثر في هذا الموقف ، وكانت مسألة كثرة العصاة المهزومين قد الجأت بشر ابن مروان لان يتخذ اجراءات شديدة وقاسية بحقهم ، فكان اذا ظفر بالعاصي سمّر كفيه في الحائط بمسمار وتركه الى أن يموت (١) .

برزت هذه المشكلة على نطاق واسع جداً بعد موت بشر بن مروان ، فقد ترك قسم كبير من العراقيين جيش المهلب ورجعوا الى امصارهم عصاة مخالفين(٢). وكان اكثر هؤلاء من اهل الكوفة خاصة ، و عندما اراد اهل البصرة ان يفعلوا مثلهم ، توسل بهم المهلب مخاطباً اياهم : بأنهم لايقاتلون لبشر ولالخالد ، انما يقاتلون عن بلادهم وحرمهم ، ونهاهم ان يفعلوا مثل اهل الكوفة ، فأقام بعضهم ورجع آخرون (٣). ولم يبق مع عبد الرحمن ابن مخنف(٤) ، قائد جيش الكوفة سوى جماعة من اهل بيته . وفي هذا يقول الشاعر :

حتى اذا خلفوا الاهواز واجتمعوا   برام هرمز (٥) وافاهم بها الخبر
نعيُ بشر فجال القوم وانصدعوا   الا بقايا اذا ماذكّروا ذكروا(٦)

لقد حاول خالد بن عبدالله ، خليفة بشر ، ان يتدارك الأمر ، فوجه كتابا الى الجند يهددهم فيه بقوله : «...اقسم بالله لاأثقف عاصيا بعد كتابي هذا

(١) أمالي القالي : ٢٩/٢ ، تأريخ مدينة دمشق ، م ١٠ ، ص ١١٤ – ١٥ ، الكامل في التأريخ : ٣٨٠/٤ ، ابن أبي الحديد : ٧٨١/٣ ، سمط النجوم العوالي: ١٥٠/٣ .
(٢) أنساب الأشراف ، ص ٢٧١ ، ٢٧٤ (أهلورت) ، الطبرى : ٨٥٧/٢ .
(٣) أنساب الأشراف ، ج ٦ الورقة ٢٥ ب ، المبرد : ٣٦٥/٢ ، ابن أعثم ، ج ٢ ورقة ٦٦ ب .
(٤) عبد الرحمن بن مخنف بن سليم الأزدي ، أحد القادة المشهورين ،الذين حاربوا الأزارقة، قتل وهو يحاربهم سنة (٧٥ هـ / ٦٩٤ م) : الطبرى : ٨٧٥/٢ ، ٨٧٧ .
(٥) رام هرمز : ناحية من نواحي الأهواز ، تتاخم فارس ، المسالك والممالك ، ص ٤٢ ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٤٠٧ ، ٤١٣ .
(٦) الطبرى : ١٠١١/٢ .

الا قتلته ان شاء الله..»(١) ولكنهم لم يكترثوا له ودخلوا الكوفة مخالفين (٢)، تاركين المهلب في (رامهرمز) يواجه خطر الخوارج وحده مع عبد الرحمن ابن مخنف . اما في العراق فلم يبق هناك ظل بسيط للسلطة ولاللنظام (٣) مما حدا بالمهلب الى ان يكتب لعبد الملك يعلمه بجموع الخوارج ، وشدة خطرهم على العراق (٤)، ويحذره بقوله: « انه ليس عندي رجال اقاتل بهم ، فاما بعثت اليّ بالرجال ، واما خليت بينهم وبين البصرة »(٥) ، وظلت هذه المشكلة معلقة الى حين مجيء الحجاج بن يوسف الى العراق .

لقد اصبح العراق بعد موت بشر بن مروان ، مصدرا لاخطار جسيمة تشكل تهديدا واضحا للسلطة الاموية فيه . فكان على الخليفة ان يختار رجلا كفوءا يستطيع ان يعيد الأمن والنظام الى العراق خاصة ، وان يثبت الحكم الأموي في كافة انحاء المشرق بصورة عامة (٦). فقد تفاقم خطر الازارقة على العراق خاصة بعد ان ترك معظم الجيش العراقي مواقعه في القتال ، ورجع الجنود الى بيوتهم غير آبهين بالخطر المحدق بالبلاد (٧). ومما زاد في قلق الخليفة الأموي واشفاقه على الوضع ، خلو منصب الولاية ، الذي قد يؤدي الى وثوب الخوارج على العراق مستغلين الاضطراب ، وانعدام النظام ، وافتقار البلاد الى من يدير امورها ، ويسير رجالها ، وكان على عبدالملك بن مروان ، ان ينظر بعين الاعتبار ، وهو يفكر في اختيار رجل لولاية العراق ، الى ازدياد الشعور

---

(١) نفس المصدر : ٨٥٨/٢ .
(٢) المبرد : ٣٦٦/٣ ، الطبرى : ٨٥٩/٢ .
(٣) Perier, Op. Cit., p. 69.
(٤) ابن أعثم ، ج ٢ ، الورقة ٩٧ أ .
(٥) مروج الذهب : ٦٨/٣ .
(٦) التنظيمات الأجتماعية والأقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري ، ص ١٠٨ .
(٧) أنساب الأشراف ، ص ٢٧١ (اهلورت) ، الطبرى : ٨٥٧/٢ ،
W. Muir, The Caliphate its Rise, Decline,and Fall,P. 333
وأنظر : ص ٦٢ ، وص ٦٨ من هذا البحث .

المعادي للامويين في تلك الولاية ، والى طبيعة القبائل العربية العاملة على اثارة الاضطراب هناك وعدم الخضوع للدولة(١)، اضافة الى وجود الخوارج الذين كانوا لايرون شرعية الحكم القائم . لهذا فإن ولاية العراق « كانت اكثر مسؤولية واهمية من أي منصب آخر في جميع الامبراطورية»(٢).لـذلك فإن عبد الملك كان محقا في تفكيره وانشغاله في اختيار الشخصية المطلوبة(٣)، التي استقر عليها رأيه اخيرا . ويجب الا ننسى بأن سطوة الحجاج ومابداه من كفاءة في مناصبه السابقة(٤) . اضافة الى شدته وطريقته الفعالة في استعادة الأمن والنظام في الحجاز(٥) ، كل ذلك كان كافيا لترشيحه للمنصب الذي شغر بوفاة بشر أخي الخليفة في العراق .

هذه هي اهم الاسباب التي دفعت عبد الملك بن مروان الى تولية الحجاج على العراق . وليس ثمة ما يدفعنا الى الأخذ بالرواية التي تعزى عزل الحجاج عن الحجاز وتوليته العراق ، الى نصيحة بعض الشخصيات الحجازية(٦) .

اما الرواية التي تصور تعيين الحجاج ، وكأنه جاء عرضا ، وبطريقة مسرحية وانه عرض فيها نفسه على عبد الملك امام جمع من الناس الذين لم يتقدم احد

---

(١) الترجمة العربية ، ص ١٧٤ — Dixon , Op. Cit., P.115

(٢) الترجمة العربية ، ص ١٧٥ — Ibid., P.115

وكذلك مقالته : « ملاحظات حول سياسة عبد الملك بن مروان في أختيار عماله » مجلة كلية الاداب ، العدد ١٥ ، ١٩٧٢ ، ص ٥٠ – ٥٦ .

(٣) غرر السير ، الورقة ١١ ب .

(٤) راجع ص ٣٤ فما بعدها من هذا البحث .

(٥) البداية والنهاية : ٧/٩ .

Dixon, Op. Cit., P.115 .

الترجمة العربية ، ص ١٧٥

(٦) المحاسن والأضداد ، ص ٤١ – ٤٢ ، المعارف ، ص ٢٣٢ – ٢٣٩ ، العقد الفريد: ٧٩/٢ – ٨١ ، المستجاد من فعلات الأجواد ، ص ٤٤ – ٤٦ ، الجليس الصالح الكافي الورقة ٩ أ ، وفيات الأعيان : ٤١/٢ – ٤٢ .

منهم لاجابة طلب الخليفة في تولي العراق(١)، فهي اشبه بالاسطورة التي لايمكن تصديقها ، ومثلها ايضاً الرواية التي تذكر بان الحجاج كتب الى عبد الملك يقول « اني قد حزت الحجاز بشمالي ، وبقيت يميني فارغة.. فبعث اليه عهده على العراق» (٢).

ويذكر البلاذري روايتين عن كيفية تولي الحجاج للعراق . الاولى : انه كان بالحجاز فاتته ولاية العراق بعد وفاة بشر بن مروان . والثانية : انه كان في دمشق عندما اتى نعي بشر الى عبد الملك ، فولاه العراق(٣). ويميل كل من اليعقوبي(٤) ، والطبري(٥) ، وابن عساكر(٦) ، وابن الاثير(٧) (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) ، الى ترجيح الرواية الاولى ، التي تبدو مقبولة اكثر من الثانية ، لانها تتفق مع الاحداث التاريخية .

ويرد في بعض المصادر المدونة(٨) ، ان بشر بن مروان توفي سنة (٧٤هـ/ ٦٩٣م) فخلفه خالد بن عبدالله على البصرة . ولكن وجود عملة نقدية ضربت

---

(١) الأخبار الموفقيات ، ص ٩١ –٩٣ ، ابن أعثم ، ج ٢ الورقة ٩٧ أ – ٩٨ أ ، الوشاء ص ٥٥ – ٥٧ ، مروج الذهب : ٦٨/٢ ، غرر السير ، الورقة ١٢ ب ، البصائر و الذخائر ، م ١ ، ص ١٩٥ – ٢٠ ، الأوائل ، ص ٢٥٨ – ٥٩ ، الأبشيهي : ٦٣/١ – ٦٤ .

(٢) سرح العيون ، ص ١٧٣ – ٧٤ .

(٣) انساب الأشراف ، ص ٦٨ – ٦٩ (اهلورت) وفي ج ١١ الورقة ٤٢ ب يذكر البلاذري أن الحجاج كان في الحجاز عندما سمع بوفاة بشر وانه كان يتوقع ولاية العراق ويقول « لايرى للعراق غيري » .

(٤) التأريخ : ٥٣٢٦/٢

(٥) تأريخ الرسل والملوك : ٨٦٣/٢ .

(٦) التهذيب : ٥٢/٤ .

(٧) الكامل في التأريخ : ٣٧٤/٤ .

(٨) أنساب الأشراف ، ص ٢٦٦ (اهلورت) ، الطبري : ٨٥٢/٢ ، ٨٥٧ . وانظر نفس المصدر ص ٨٥٢ . حيث يذكر الواقدي بأن بشرا قد توفي سنة (٧٣ هـ / ٦٩٢ م) .

في البصرة سنة (٧٥هـ/٦٩٤م) تحمل اسم بشر بن مروان(١) لايشجع على أي افتراض يقول ان بشر توفي سنة (٧٤هـ / ٦٩٣م) . ان هذا الدليل المادي حسبما ذكر (مايلز Miles) (٢) ، يحدد ايضاً بان الحجاج قد خلف مباشرة بشر بن مروان حاكما على العراق سنة (٧٥هـ/٦٩٤م) ، ومعنى ذلك ان اسم خالد بن عبدالله يحذف من قائمة ولاية البصرة والكوفة . ولكن المعقول الذي نرجحه بموجب هذا الدليل المادي ، ان وفاة بشر كانت سنة (٧٥هـ /٦٩٤م) وان الحجاج خلفه على حكم العراق في نفس السنة ، وان هذا لا ينفي ان خالدا تولى منصب الولاية بين الاثنين فترة قصيرة ، ريثما يحضر الحجاج من الحجاز يضاف الى ذلك ان خليفة (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م) ، والبلاذري ، والطبري — على الرغم من اختلافهم في تعيين الوقت— قد نصوا على اشغال خالد منصب الولاية فترة ما.

٣ — مدى نجاح الحجاج في انجاز ما انتدب له في العراق .

وصل الحجاج الى العراق في شهر رجب سنة ٧٥هـ/٦٩٤ م (٣) واضعا

---

(١) J.Walker, A catalogue of the Arab-Sassanian Coins, P. Lix (See footnote); G. Miles, A byzantine BronzeWeight in the Name of Bisher ibn Marwan, PP. 117-18, Arabica, IX, 1962.

(٢) الترجمة العربية ، ص ١٧٥ Ibid., P. 118: Dixon, Op. Cit., P. 115. وانظر : تأريخ خليفه ٢٩٥/١، حيث يفهم أن بشرا توفي فيأول سنة (٧٥ هـ/ ٦٩٤م) وكذلك : التذكرة الحمدونية ، ج ١٢ الورقة ٤٧ ب .

(٣) تأريخ خليفة : ٢٩٥/١ ، انساب الأشراف ، ص ٢٧٠ (اهلوردت) ، ويذكر الطبرى بأن قدومه الى الكوفة كان في شهر رمضان : ٨٧٢/٢ ، ٨٧٦ ، واما (ولها وزن) ص٢٢٠ ، فيرجح بأنه تولى في أوائل سنة (٧٥ هـ /٦٩٤ م) .

نصب عينيه تحقيق الامور التي عين من اجلها في هذا المنصب ، وكان مزودا بنصائح عبد الملك بن مروان ، في الكيفية التي يجب ان يعامل بها العراقيين فقد كتب اليه ان يطأ اهل الكوفة وطأة يتضاءل منها اهل البصرة ، وبين له ان العراقيين يختلفون عن اهل الحجاز ، الذين يقولون كثيرا ولكنهم لايفعلون شيئاً(١) . وبطبيعة الحال فان الخليفة كان يقصد ان يلفت نظر الحجاج الى ان العراق بحاجة الى سياسة حازمة وقوية ، تتناسب مع مافيه من مشاكل وعقبات تواجهها الدولة . لهذا فان مؤلف كتاب « الامامة والسياسة» لايعطي الصورة الصحيحة لموقف عبد الملك عندما ، يذكر انه كتب للحجاج : « ان سر الى العراقيين واحتل لقتلهم(٢)...»

بدأ الحجاج بالكوفة ، فخطب فيها خطبة ، انتشرت شهرتها في الآفاق وحتى في وقتنا الحاضر ، فان الكثيرين يحفظون مقاطع منها ، يقولونها عندما يذكر اسم الحجاج(٣) . لقد ذكرت هذه الخطبة في العديد من المصادر(٤) ، مع بعض الاختلافات من زيادة ونقصان . ويحتمل ان بعض الفاظ هذه الخطبة قد تعرض للتغيير والتلاعب ، ولكنها مع ذلك يمكن ان تلقي ضوءا على السياسة التي نفذها الحجاج في العراق .

لقد اكد الحجاج في خطبته ، المشاكل الآنية التي يجب حلها بسرعة . فهدد بالقتل كل من وجد متخلفا عن جيش المهلب بن ابي صفرة بعد ثلاثة

(١) تأريخ اليعقوبي : ٣٢٦/٢ .

(٢) الأمامة والسياسة : ٢٥/٢ .

(٣) ان هذا يدل على عمق الأثر الذي تركته سياسة الحجاج في العراق . والذي لم يمسحه مضي ثلاثة عشر قرنا من الزمن .

(٤) البيان والتبيين ٣١٩/٢ - ٢١ ، الأخبار الموفقيات ، ص ٩٤ - ٩٧ ، انساب الأشراف ص ٢٩٧ فما بعدها (اهلورت) ، المبرد : ٣٨٠/١ - ٨٢ ، الطبري : ٨٦٤/٢ فما بعدها ، ابن أعثم ج ٢ الورقة ٦٨ ب - ٦٩ ب الوشاء ص ٥٨ - ٦١ ، العقد الفريد : ١٢٠/٤ - ٢٢ ، ١٧/٥ - ١٨ ، مروج الذهب : ٦٨/٣ - ٧٠ ، الأغاني : ٣٩/١٣ - ٤٠ ، الأوائل ، ص ٢٦٠ - ٦٢ .

ايام وذلك بقوله : « ..وقد بلغني رفضكم المهلب واقبالكم الى مصركم عصاة مخالفين واقسم بالله لااجد احدا بعد ثالثة ممن اخل بمركزه الا ضربت عنقه» (١). كما انه استعرض فيها سياسته العامة . وكيف ان الخليفة قد اختاره لما يتمتع به من صفات القوة والصلابة . ثم خاطبهم بقوله : « .. فانتم اهل بغي وخلاف وشقاق ونفاق طالما اوضعتم في الضلال وسننتم سنن الغي(*).»(٢) وقد اوضح بانه سينفذ كل مايقوله ، وسيتبع سياسة الشدة . ولن يعفو عن المسيء . وحذرهم من التجمع ومن القيل والقال . وطلب الى كل امرىء منهم أن يهتم بنفسه ، وان يستقيموا ويبايعوا .وهددهم بانه قد استل سيفه ولن يغمده «... حتى يقيم الله لأمير المؤمنين أودكم .ويذل به صعبكم»(٣) . ثم اخبرهم بان الخليفة ،قد امره باعطائهم اعطياتهم . وتجنيدهم لمحاربة الخوارج مع المهلب ؛ وقرأ عليهم كتاب الخليفة في ذلك.

وتنفيذاً لما قاله . فقد طلب من رئيس شرطته . ان يقتل من وجده عاصيا بعد ثلاثة ايام . وأمره ان يحشر الناس الى المهلب حتى يسترجع كل رجل تفرق عنه سابقا (٤) . لقد كان عمير بن ضابىء البرجمي (٥) اول من نفذ فيه أمر الحجاج . فقد جاء معتذرا عن الالتحاق بجيش المهلب لكبر سنه . طالبا ارسال ابنه بدله . وقد هم الحجاج بالقبول ، لولا ان ذكر له انه كان له

(١) انساب الأشراف : ص ٢٧١ (اهلورت) .

(*) في الأصل (الغي) .

(٢) انساب الأشراف : ص ٢٦٩ (اهلورت) .

(٣) مروج الذهب : ٦٩/٣ .

(٤) انساب الأشراف ، ص ٢٧٠ (اهلورت) ، المبرد : ٣٦٦/٣ ، ابن أعثم ، ج ٢ الورقة ٧١ أ .

(٥) نسبة الى البراجم ؟ هم أحياء من بني تميم ، والبراجم في اللغة ، مفاصل الأصابع ، وقد سموا بهذا الأسم ، لأن أباهم قبض أصابعه وقال كونوا كبراجم يدي هذه ، أي لا تفرقوا لسان العرب ، مادة : (برجم) .

دور في قتل الخليفة عثمان بن عفان . (١) فأمر بقتله(٢).

ونتيجة لذلك . فقد خاف العصاة ، والتحقوا بجيش المهلب وتزاحموا على عبور الجسر حتى لقد غرق بعضهم ، مما جعل الحجـــاج يأمر باقامة جسر آخر على الفرات لاستيعاب الفارين الذين رجعوا والتحقوا على وجه السرعة، طالبين الى اهاليهم أن يزودهم بمتاعهم وزادهم فيما بعد(٣) . وقد عبّر الشاعر عن لسان حال كل واحد منهم بقوله:

تخير فاما أن تزور ابن ضابيء   عميراً واما ان تزور المهلبا (٤)

لقد حاول الكوفيون أن يستعملوا مع الحجاج حال وصوله وسائل المعارضة التي كانوا يستعملونها مع الولاة السابقين. وفعلا حاول بعضهم أن يحصبه وأن يعارضه قبل أن يبدأ بالكلام(٥) . بل أن احدهم دعا الناس الى أعتراض الحجاج في الطريق وقتله قبل وصوله الى الكوفة (٦) ولكنهم اثروا التريث والنظر في سيرته . فاذا به يسكت كل معارضة ، واذا به

---

(١) عن دور عمير بن ضابيء في قتل الخليفة عثمان ، أنظر : طبقات الشعراء ، ص ٦٦ ، الأخبار الموفقيات ، ص ٩٩ ، الشعر والشعراء ، ص ٢٦٩ ، أنساب الأشراف ٥/٨٤ الأغاني ٤٠/١٣ ، الأوائل ، ص ٢٥٨ .

(٢) الأخبار الموفقايت ، ص ٩٩ ، الشعر والشعراء ص ٢٦٩ : انساب الأشراف ، ص ٢٧٥ (اهلورت) ، المبرد : ٣٨٣/١ ، الطبرى : ٨٦٩/٢ — ٧٠ ، ابن أعثم ج ٢ الورقة ٧٠ ب ، مروج الذهب : ٧١/٣ ، الأغاني : ٤٠/١٣ ، الأوائل ص ٢٦٣ .

(٣) أنساب الأشراف ، ص ٢٧٥ (اهلورت) ، المبرد : ٣٨٣/١ ، ٣٦٧/٣ ، مروج الذهب : ٧١/٣ — ٧٢ ، الأغاني : ٤٠/١٣ .

(٤) انساب الاشراف ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٥ (اهلورت) ، الطبري : ٨٧٢/٢ ، وفي جمهرة النسب ، الورقة ٧٦ب ، والاخبار الموفقيات ، ص ١٠٠ ، المبرد : ٣٨٣/١ ، ٣٦٧/٣ والاوائل ص ٢٦٤ ،فالبيت يبدأ : تجهز فإما ...

(٥) البيان والتبيين : ٣١٨/٢ ، انساب الاشراف ، ص ٢٦٧ (اهلورت) ، تاريخ اليعقوبي: ٣٢٦/٢ ، المبرد : ٣٨٠/١ ، ابن اعثم ، ج ٢ الورقة ٦٨ ب ، الوشاء ص ٥٨ ، العقد الفريد : ١٧/٥ ، مروج الذهب ٦٨/٣ .

(٦) مروج الذهب : ٨٨/٣ — ٨٩ .

يستعمل اساليب جديدة حملت العصاة الفارين على الالتحاق بجيش المهلب رغم انوفهم .

لقد كان للحجاج بن يوسف طريقته الخاصة في التعامل مع العصاة ، وكان يرى أن « العاصي يجمع خلتين أنه أخل بمركزه ووغر المسلمين (*) من نفسه وهو اجير لهم ليس له أن يأخذ الا بقدر ما عمل» (١) ، وبعد هذا فأن الوالي مخير فيه أن شاء قتل وأن شاء عفا (٢) . ولم ير الحجاج أي مبرر لعدم التحاق الجنود بجيشهم ، فكان يقول : «أن المعصية لو ساغت لاهلها ما قوتل عدو، ولا جبي فيء، ولا عز دين. ولو لم يغز المسلمون المشركين لغزاهم المشركون» (٣). والواقع أن الحجاج كان محقاً في قوله هذا وفي معاملته للجنود الفارين (العصاة) . لان منح الدولة العطاء للمقاتلة يخولها قانوناً حق فرض البعث (٤)عليهم والزامهم الاشتراك في القتال (٥) .

لقد استفسر الحجاج من بعض العراقيين . عما كان يفعله الولاة السابقون بالعصاة ، فذكروا له ، الضرب والحبس (٦) . ويحدثنا الشعبي عن تطور معاملة الدولة للفارين ، فكان الرجل اذا تخلف عن جيشه في عهد الراشدين نزعت عمامته وشهر امره امام الناس ، وعندما تولى مصعب بن الزبير

(*) وغر : امتلأ غيظا وحقدا ، والوغر : الحقد ، لسان العرب مادة (وغر) .

(١) انساب الاشراف جـ ٦ الورقة ٣٥ ب .

(٢) المبرد : ٣٦٨/٣ .

(٣) انساب الاشراف ، ص ٢٧٠ (اهلورت) ، المبرد : ٣٦٦/٣ .

(٤) البعث هو ان تطلب الدولة من السكان تقديم المقاتلة للمشاركة في الحروب ، فتضرب البعث عليهم ، وعليهم تلبية دعوة الدولة ، العلي ، « العطاء في الحجاز ، تطور تنظيمه في العهود الاسلامية الأولى » مجلة المجمع العلمي العراقي ، م ٢٠ ، ١٩٧٠ ، ص ٧٥ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٧٦ .

(٦) انساب الاشراف ، ص ٢٧٠ (اهلورت) .

العراق لاخيه عبد الله ، راى أن هذه العقوبة غير كافية . فأضاف اليها حلق الرؤوس واللحى(١).وفي ولاية بشر بن مروان،ازداد عدد العصاة الذين لم تعد تردعهم العقوبات السابقة، فزاد في عقوبتهم،وسمر كفي العاصي بمسمار وعلقه الى حائط وتركه الى أن يموت(٢).لقد أختلفت الامور اختلافاً كبيراً عند مجيء الحجاج للعراق . فهو قد عين للقضاء على مشكلة العصاة بالدرجة الاولى ، لهذا فقد رأى أن مافعله الولاة السابقون بالعصاة لم يكن رادعا لهم وهو لا يرى الا السيف حلا لهذه المشكلة (٣) . ولكن الحجاج مع هذا لم يشتط في استعمال هذه العقوبة ، صحيح أنه هدد بها ، وقتل بموجبها فعلا ، عمير ابن ضابيء البرجمي في الكوفة،وشريك بن عمرو اليشكري في البصرة (٤) ، الا أنه أخذ فيما بعد « يتفقد العصاة ويوجه الرجال ، فكان يحبسهم نهاراً ويفتح الحبس ليلا . فينسل الناس الى ناحية المهلب وكأن الحجاج لايعلم» (٥) .

أن هذه الحقيقة تدل دلالة واضحة ، على أن هدف الحجاج الاساسي لم يكن القتل ، أنما كان قصده دعم المهلب واسناده بأية وسيلة كانت ، وما كان قتله لعمير بن ضابيء، وشريك،اول الامر الا سياسة منه في تخويف العصاة وحملهم على الالتحاق لقتال الخوارج،مع ما كان في قتل عمير بن ضابيء من اخـــذ بثأر عثمان بن عفان . ان رواية المبرد المذكورة اعلاه تعطينـا

---

(١) الكامل في التاريخ : ٣٧٩/٤ – ٨٠ ، ابن أبي الحديد : ٧٨١/٣ ، سمط النجوم العوالي ١٥٠/٣ .

(٢) أمالي القالي : ٢٩/٢ ، تاريخ مدينة دمشق م ١٠ ، ص ١١٤ – ١٥ ، الكامل في التأريخ : ٣٨٠/٤ ، ابن أبي الحديد : ٧٨١/٣ ، سمط النجوم العوالي : ١٥٠/٣ .

(٣) انساب الاشراف ص ١٧٠ ، ٢٧٥ (اهلورت) ، ابن أبي الحديد : ٧٨١/٣ ، الكامل في التاريخ : ٣٧٩/٤ – ٨٠ .

(٤) انساب الاشراف ، ص ٢٧٦ (اهلورت) ، الطبري : ٨٧٣/٢ .

(٥) المبرد : ٣٦٩/٣ ، ابن ابي الحديد : ٤٢/٢ .

الدليل على نجاح هذه السياسة وتنفي في نفس الوقت تهمة القتل لاجل القتل التي تنسب للحجاج

لقد كانت مهمة الحجج في البصرة اسهل منها في الكوفة ، لأن الأخبار نقلت سياسته وما فعله بعصاة اهل الكوفة : ومع هذا فقد نفذ عقوبة الاعدام ايضا بأحد العاصين هناك(١) . مما ادى الى سرعة التحاق الجنود الفارين بجيش المهلب . ولكن الروايات المناوئة للحجاج ، المعارضة لسياسته ، لم تترك هذه المناسبة تمر دون ان تنسب اليه اعمالا وحشية في القتل : جعلت اسمه مقرونا بالدماء الى يومنا هذا . فيذكر مؤلف كتاب «الامامة والسياسة» رواية طويلة عن كيفية دخول الحجاج البصرة ومافعله بأهلها . ونظرا لاهمية هذه الرواية واستناد الكثيرين اليها للتدليل على وحشية الحجاج ، فقد رأينا أن نذكرها : لنرى مدى صحتها وامكان الأخذ بها او الاعتماد عليها: فقد كان اول دخول الحجاج البصرة في يوم الجمعة وقت الصلاة . وكان معه الفا رجل من اهل الشام . فوضع مئة جندي على كل باب من ابواب المسجد الثمانية عشر وامرهم ان يقتلوا كل من يخرج من الأبواب ، بعد سماعهم الجلبة في الداخل واخذ معه الى داخل المسجد مئتين من الرجال . وامرهم ان ينتظروا اشارته بقتل المصلين بعد ان يبدأ بخطبته ، لأنهم– أي المصلين – سيحصبونه . وفعلا بدأ بالخطبة فحصبه بعض الناس . فأشار الى جنوده : فابتدأوا بقتل المصلين في الجامع . وعندما حاول هؤلاء الخروج تلقاهم الجنود الواقفون على الابواب . وهكذا قتل منهم اكثر من سبعين الفا ، حتى سالت الدماء الى باب المسجد والى الطرق (٢).

اننا نجد ان من الصعوبة الأخذ بمثل هذه الرواية ، اذ لايعقل قتل هذا العدد الكبير من الناس في وقت واحد ، بالاضافة الى ان المسجد لايمكن ان يتسع لهذا العدد من الناس ، ثم كيف يستطيع الفان ان يقتلوا سبعين الفا؟

(١) انساب الاشراف ، ص ٢٧٦ (اهلورت) ، الطبري : ٨٧٣/٢ – ٧٤ .
(٢) الامامة والسياسة ، ٢٥/٢ – ٢٦ .

ان الوضع ظاهر عليها لايمكن ان تخطئه بصيرة أي مؤرخ ناقد(١) . ونحن اذا استثنينا المناقشة الجدلية ، فان جامع البصرة فعلا لايمكن ان يتسع لهذا العدد الكبير من المصلين ، ولم يكن له ثمانية عشر بابا . ذكر الدكتور عبد العزيز حميد(٢) ، ان البعثة الاثرية العراقية في البصرة ، توصلت الى ان مساحة جامع زياد في البصرة هي : ١٢٢م × ٨٨م . كما اثبتته الحفائر التي جرت في سنة ١٩٦٥ — ١٩٦٦ .

وحسبما نعلم ان جامع زياد ظل على حاله الى عهد الحجاج ، باستثناء بعض التعديل في عهد عبيد الله بن زياد(٣) . فالمساحة الكلية للجامع هي ١٠,٧٣٦م٢.

ان مثل هذه المساحة لايمكن ان تستوعب اكثر من عشرين الفا من المصلين باعتبار ان المتر المربع الواحد لايتسع لاكثر من اثنين من المصلين . وهكذا نرى ان الأرقام التي تذكرها بعض الروايات المناوئة للحجاج تتهافت امام النقـد ولايؤيدها المنطق ولاتوثقها البحوث العلمية الحديثة . لذلك يجب ان تستبعد من ذهن الباحث في تاريخ العراق في عهد الحجاج خاصة والعصر الاموي عامة .

لقد اثمرت سياسة الحجاج وجهوده في حمل اهل العراق على قتال الخوارج وبفضل شدته من جهة ، وأساليبه الفعالة من جهة اخرى استطاع ان يستعيد طاعة الجيش العربي في المشرق(٤). يضاف الى ذلك انه كتب للمهلب يبين

(١) ومع هذا فأننا نستغرب من احد المؤرخين المحدثين ان يذكر هذه الرواية وعدد القتلى الذي ذكرته ، يذكرها على انها حقيقة واقعة ، دون أي تعليق انظر : الخربوطلي ، تاريخ العراق في ظل الحكم الاموي ، ص ١٦٨ .

(٢) رئيس بعثة تنقيبات مديرية الآثار العام لعام ١٩٦٥ ، والأستاذ بقسم الآثار في كلية الآداب بجامعة بغداد . وقد أجرى معه كاتب هذا البحث مقابلة خاصة في ١٩٧٧/١١/١ .

(٣) فتوح البلدان : ص ٤٢٧ — ٢٨ .

(٤) Perier, Op. Cit. P. 80.

لــه عظم حاجته اليه و يطلب اليه مناهضة الخوارج ، مقسما له بانه سيحشر اليه الرجال حشرا ، حتى يكون قليل من يأتيه. ككثير من فارقه(١) .

وهكذا استطاع الحجاج في منصبه الجديد ان يخدم قضية الاسلام كثيرا، بحفاظه على وحدة ولايات الدولة(٢)، وضرب اعدائها . مما حدا بالمهلب ابن أبي صفرة ان يقول : قدم العراق اليوم رجل ذكر . اليوم قوتل العدو . فويل للعدو ان شاء الله تعالى (٣).

---

(١) أنساب الاشراف جـ ٦ الورقة ٣٥ ب ، المبرد : ٣٦٨/٣ ، وانظر الطبري: ٢ /٨٧٦ ، ابن اعثم جـ ٢ الورقة ٧١ أ .

(٢) سيديو ، ١٧١ – ٧٢ .

(٣) المبرد : ٣٦٩/٣ ، الطبري : ٨٧٠/٢ ، العقد الفريد : ١٢٢/٤ ، مروج الذهب : ٧٢/٣ .

الفصل الثالث

الثورات المحلية في عهد الحجاج

اسبابها ونتائجها

١ ـ ثورة ابن الجارود وثورة مُطرّف بن المغيرة وثورة ابن الأشعث

٢ ـ اسباب ثورات الخوارج .

٣ ـ أسباب ثورة الزنج .

٤ ـ نتائج الثورات وأسباب فشلها .

لـقد حدثت في فترة حكم الحجاج للعراق عدة ثورات تختلف في طبيعتها وفي اسبابها . فمنها ماحدث بسبب سياسة الحجاج بصورة خاصة ومنها ثورات لم يكن للحجاج يد في اثارتها ، فهي ثورات مستديمة مستعصية كثورات الخوارج ، وثورة الزنج . التي لم يكن للحجاج شأن بها . ولكن الظروف ساعدت على أن تحدث في عهده . وفي هذا الفصل تحليل للثورات الاتية مع ذكر اسبابها ونتائجها :

(١) ثورة ابن الجارود وثورة مُطرّف بن المغيرة وثورة ابن الأشعث

أن هذه المجموعة من الثورات ، هي التي سأركز اهتمامي في معرفة اسبابها ونتائجها بالدرجة الاولى . لعلاقتها الوثيقة بالسياسة التي نفذها الحجاج في العراق. وعلى الرغم من أن الحجاج كان العامل المباشر في اثارتها . لكنها مع ذلك، قامت نتيجة لاسباب أخرى كثيرة . وقد انضمت اليها جماعات من أهـل العراق ، وغيرهم . وكان لكل منهم سببه الخاص الذي دفعه للقيام عـلى الدولة في ذلك العهد .

أ ـ أثر سياسة الحجاج على قيام هذه الثورات :

أن المتتبع لسياسة الحجاج في العراق ، يرى أن الحجاج كان قليل الصبر في بعض الاحيان . ولعل ذلك يرجع الى شدة تلهفه للحصول على نتائج سريعة ومرضية من سياسته في العراق ، او لعلها طبيعة خاصة به . ومهما يكن فأن هذه الصفات قد اوقعته في بعض المآزق السياسية ، التي لم يخلص منها الا ببذل الكثير من التضحيات ، فهو بهذا قد ساعد في خلق السبب المباشر لبعض الثورات التي حدثت في عهده . من ذلك موقفه من أهل البصرة ، عندما أعلن لهم ، أنه لايرضى الزيادة التي كان مصعب بن الزبير قد منحها اياهم في العطاء (١) . فقد كانت الظروف التي اعلن فيها هذا الامر غير مناسبة تماماً ،

(١) انساب الاشراف ، ص ٢٨٠ (اهلورت)، الطبري : ٨٧٤/٢ ، الكامل في التاريخ . ٣٨١/٤ . وكان مصعب قد زاد اناس مئة مئة في العطاء ، ويقال انه كان يعطيهم عطائين في السنة واحداً في الشتاء، والآخر في الصيف،انساب الاشراف ، ص ٢٨٠ (اهلورت) . نفس المصدر : ٢٨٠/٥ .

لانه لم يمض على مجيئه للعراق سوى فترة قصيرة، لم يركز فيها وجوده بعد . يضاف الى ذلك ، أنه كان في موقف يتطلب منه التودد الى الناس بسبب حاجته اليهم في قتال الازارقة ، بل كان فعلا في حاجة اليهم عندما كان في معسكر من المعسكرات التي هيأها للحرب في (رُستقاباذ) (١) . ولعل الحاجة الى الاقتصاد لمواجهة نفقات الحرب هي التي دفعته الى عدم اقرار الزيادة التي زادها مصعب (٢) ، ولكن مع ذلك كان يجب عليه أن يضحي بالمال ويصبر الى أن تتهيأ الفرصة المناسبة لمثل هذا الاعلان. ويبدو انه شعر أن موقفه هذا غير سليم. خاصة بعد أن عارضه عبد الله بن الجارود (٣) ، فأغفل الموضوع لكنه رجع بعد عدة أشهر الى ماكان صرح به سابقاً (٤) . فواجه مقاومة فعلية من قبل أهل البصرة ، يتزعمهم عبد الله بن الجارود ، وذلك في ربيع الاخر سنة (٧٦ هـ / ٦٩٥ م) (٥) .

أن نفاذ صبر الحجاج واستعجاله ، يتجلى بصورة واضحة في بعض مواقفه من قواده الذين كان يرسلهم للحروب ، أو لقمع الثورات . فقد كتب عدة كتب وارسل وفوداً عديدة الى المهلب بن أبي صُفرة ، الذي

---

(١) من طساسيج (نواحي) السواد ، تقع في الجانب الشرقي من دجلة قرب الاهواز : المسالك والممالك ، ص ٦ ، معجم البلدان : ٨٣٤/٢ .

(٢) الترجمة العربية ، ص ٢٣٤ . Dixon,Op. Cit., P. 144 .

(٣) زعيم قبيلة عبدالقيس ، والجارود لقب ، اما اسم ابيه الحقيقي فهو : بشر بن عمرو بن حنش بن المعل العبدي ، سمي بذلك ، لانه فر إلى اخواله ، بني شيبان ، بابل له ، كانت مصابة بداء ، ففشا ذلك الداء في ابلهم واهلكها فقال الشاعر :

جردنا هم بالسيف من كل جانب　　　كما جرد الجارود بكر بن وائل

جمهرة النسب ، الورقة ٢٣٦ أ ، طبقات ابن سعد : ٤٠٧/٥ – ٤٠٩ ، المعارف ، ص ٣٣٨ – ٣٩ ، الاشتقاق ص ٣٢٦ – ٢٧ .

(٤) انساب الاشراف ، ص ٢٨٠ (اهلورت) ، الكامل في التاريخ : ٣٨١/٤ .

(٥) تاريخ خليفة : ٢٦٩/١ (وهو يعطي سنة ٧٥ هـ /٦٩٤ م) ، انساب الاشراف ، ص٢٨١ – ٨٢ (اهلورت) ، الكامل في التاريخ : ٣٨٢/٤ .

كان يقاتل الازارقة ، يستعجله في الحرب ، ويتهمه بالتسويف والتأخير لمصلحته الخاصة (١) . كما ارسل الى الجزل بن سعيد (٢) ، عندما كان يحارب شبيباً الخارجي ،رسالة بنفس المعنى،يستحثه فيها على السرعة في لقاء الاعداء(٣). لقد ادت سياسته هذه — التي كررها مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث ، عندما ارسله للحرب في سجستان — الى قيام ثورة عظيمة ، سببت خسائر جسيمة جداً ، واضرت باهل العراق وكل الذين شاركوا فيها ، كما اضرت بالحجاج نفسه .

لقد اراد الحجاج أن يعيد سيطرة الدولة الاسلامية على الاجزاء الشرقية من البلاد خاصة سجستان ، حيث استطاع (زُنبيل) (٤) ، أن يقهر جيشاً كان قد وجهه اليه الحجاج (٥). لهذا فقد اختار عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث

---

(١) البيان والتبيين : ٢٥٢/١ ، عيون الاخبار : ٣١/١ ، انساب الاشراف ، ج ٦ ، الورقة ٣٦ أ ، الاخبار الطوال ، ص ٢٨٧ ، المبرد : ٣٧٠/٣ ، ٣٧٢ ، ٣٧٧ ، ٣٧٩، ٣٨٥، ٣٩٥ ، الطبري : ١٠٠٤/٢ ، ابن اعثم ، ج ٢ ، الورقة ٧١ب فما بعدها ، الاغاني : ٥٧/١٣ ، غرر السير ، الورقة ١٦ ب ، وانظر : صفوت ، جمهرة رسائل العرب : ١٦٣/٢ — ٧٣ ، ١٨٥ فما بعدها .

(٢) الجزل بن سعيد ، وهو عثمان بن سعيد بن شراحيل بن عمرو الكندي ، احد القادة الذين استعان بهم الحجاج على حرب شبيب الخارجي : الطبري : ٩٠٢/٢ فما بعدها.

(٣) الطبري : ٩٠٧/٢

(٤) لقب ملك سجستان والرخج وبلاد الداور (وهما من مدن سجستان) : المسالك والممالك ص ٤٠ ، معجم البلدان ٤٣/٣ ، ويقال ايضا (رتبيل) ولكن (زنبيل) أصح ، وقد ذكر في الطبري باللفظتين : انظر : ١٠٤٢/٢ ، ١١٣٢، ١٦٥٢ ¸ ١٩٤/٣ ، ويذكره ابن اعثم (زنبيل) ج ٢ ، الورقة ١٠٠ ب ، ١١١ ب ، ١١٢ أ ، وقد ضبطه (ولها وزن) على أنه (زنبيل) ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٢٢٣ .

(٥) تاريخ خليفة : ٢٧٥/١ ، المعارف ، ص ٢٨٩ ، انساب الاشراف ، ص ٣١١ فما بعدها (اهلورت) ، الطبري : ١٠٣٦/٢ فما بعدها ، ابن اعثم ، ج ٢ ، الورقة ٩٩ أ.

لقيادة حملة جديدة قوية على (زُنبيل) . وجهزه بجيش قوي سمي جيش (الطواويس) (١) .

توجه أبن الاشعث الى مقر عمله.وفي طريقه قاتل هميان بن عدي السدوسي(٢) الذي كان عاصياً على الحجاج في فارس ، وهزمه هو واصحابه ، وارسل برؤوس بعضهم الى الحجاج (٣) . ثم دخل سجستان . واخذ يحارب (زُنبيل) ويتوغل في بلاده . ورفض أن يتفاوض أو يتهاون معه . لكنه اكتفى بما ناله من الاعداء . من اراضي وغنائم . واجل التوغل في الفتح الى العام المقبل (٤) ، ثم كتب الى الحجاج بذلك (٥) . ولكن الحجاج ساءته هذه الخطة ، وعدها من أبن الاشعث تسويفاً وموادعة ، وكتب اليه يلومه ويعنفه . ويقلل من قدره ، ويصفه ، أنه يحب الهدنة ، ويستريح الى الموادعة . وأن ماقرره بشأن التوقف عن التوغل في ارض الاعداء ، كان سببه الجبن . لاالمكيدة والحرب (٦) . ويبدو أن الحجاج لم يكن على صواب فيما فعله مع أبن الاشعث لان موقف الاخير يدل على أنه لم يكن ينوي العصيان . فهو قد حارب هميان بن عدي السدوسي بأمر من الحجاج . ثم أن موقفه المتصلب من (زُنبيل) ورفضه المساومة معه . لايدل على أنه « رجل يحب الهدنة »

(١) سمي بذلك لتكامل عدته ، وشجاعة افراده : انساب الاشراف ، ص ٣٢٠ (اهلورت). وهناك من يقول انه سمي بذلك بسبب جمال الفتيان الذين شاركوا فيه ، الحيوان : ٨٩/٢، عيون الاخبار : ٢٣/٤ ، ثمار القلوب ص ٣٨٠ .

(٢) هميان بن عدي السدوسي ، كان على شرطة البصرة سنة (٦٥هـ/٦٨٤م) في زمن عبدالله بن الحارث بن نوفل ، ارسله الحجاج إلى كرمان على رأس قوة لمساعدة عاملي سجستان والسند ، لكنه اعلن العصيان في فارس : الطبري : ٤٤٥/٢ ، ٤٤٧، ٤٦٤ ، ١٠٤٦ .

(٣) ابن اعثم ، جـ ٢ ، الورقة ١٠٠ أ ، وانظر رواية (ابي عبيدة) عن هذا الموضوع في انساب الاشراف ، ص ٣٢١ (اهلورت) ، الطبري : ١٠٤٦/٢ .

(٤) انساب الاشراف ، ص ٣٢١ – ٢٣ (اهلورت) ، الطبري : ١٠٤٥/٢ – ٤٦.

(٥) الطبري : ١٠٤٦/٢ .

(٦) انساب الاشراف ، ص ٣٢٣ – ٢٤ (اهلورت) ، الطبري : ١٠٥٢/٢ – ٥٣ ، ابن اعثم ، جـ ٢ ، الورقة ١٠٠ أ ، البداية والنهاية : ٣٥/٩ .

كما وصفه الحجاج في كتابه اليه . لهذا فأن الحجاج ايقظ بكتابه هذا روح التمرد عند أبن الاشعث . بل دفعه اليه دفعا . خاصة وأن هناك عوامل عديدة كانت تزين له القيام بالثورة والمطالبة بالسلطة (١) . أما جنوده . فكان من السهل عليه أن يحرضهم . فقد كان لقسم كبير منهم اسبابهم الخاصة التي تدفعهم الى تأييد أية حركة على الدولة . ولكن أبن الاشعث لم يعلن العصيان بتحريضهم كما يقول (سلكسون M. Seligsohn) (٢) بل هو الذي حرضهم على اعلان العصيان ويقال أنه كتب رسائل مزيفة فيها اوامر من الحجاج ، اليه بقتل بعض اشراف العراقيين . مما ادى الى نقمة هؤلاء على الحجاج ، واستجابتهم لتمرد أبن الاشعث (٣) . وهكذا بدأت اقوى حركة واجهها الحجاج نتيجة معاملته لابن الاشعث . الذي خلع الطاعة ، ورجع هو وجنوده الى العراق (٤) ، يبغون الاطاحة بالحجاج ، بقوة ساهم هو في تكوينها واعدادها . وكان ذلك في سنة (٨١ هـ / ٧٠٠ م) (٥) .

---

(١) انظر ص ٨٢ – ٨٤ من هذا الفصل .

(٢) E.I.,I "Abd-Al-Rahman B. Muhammed B. Al-Ashath".

(٣) انساب الاشراف ، ص ٣٢٥ (اهلورت) ، ابن اعثم ، جـ ٢ الورقة ١٠٠ ب – ١٠١أ .

(٤) تاريخ خليفة : ٢٧٩/١ ، الامامة والسياسة : ٢٦/٢ ، انساب الاشراف ، ص ٣٢٤ (اهلورت) ، تاريخ اليعقوبي : ٣٣٢/٢ ، الطبري : ١٠٥٥/٢ ، ابن اعثم جـ٢ ، الورقة ١٠١ أ ، التنبيه والاشراف ، ص ٢٧١ – ٧٢ .

(٥) تاريخ خليفة : ٢٨٤/١ ، الطبري : ١٠٦٢/٢ ، وهناك اختلاف في السنة التي ابتدأ فيها تمرد بن الاشعث ، وقد بحث (وطا وزن) ، ص ٢٣٣ – ٣٤ في هذه الناحية ، ورجح ان البداية هي سنة (٨١هـ/٧٠٠ م) . ويوجد في المتحف العراقي قطعة نقود برقم (٣٤٢٤ اس) عليها أسم ابن الاشعث ، ضربت في سجستان سنة (٨٠هـ/٦٩٩م) ، وهذا مايؤيد رواية البلاذري ، من انه قدم سجستان في آخر سنة (٧٩هـ/٦٩٨م) ، ص ٣٢٠ (اهلورت) . كما عثر على قطعة اخرى ، ضربت في فارس سنة (٨٢هـ/٧٠١م) ايضا باسم ابن الاشعث مما يدل على قوة سيطرته هناك حتى ذلك الوقت :
Walker, Op. Cit., PP. Lxiii-Lxiv, 117 .

وفي سياسة الحجاج ناحية أخرى شجعت على أثارة المشاكل عليه ، وهي أعتداده بنفسه ، وصراحته ، وعدم التفاته لما قد تسببه هذه الصراحة من مضاعفات ففي زيارته الاولى للبصرة ، رأى الهذيل بن عمران (١) ، وهو يجر ثوبه فقال له « ياهذيل ارفع ثوبك فقال : أن مثلي أيها الامير لايقال له هذا القول فقال الحجاج بلى والله وتضرب عنقه...» (٢) أن هذه الصراحة القاسية ، هي التي جعلت بعض الشخصيات تكره الحجاج ، وبالنسبة للهذيل ، فقد أصبح أحد قادة ابن الجارود المشهورين.أن هذا الامر يقودنا الى الاستنتاج الاتي ، وهو ، أن مسارعة الهذيل للاشتراك في التمرد ، كان بمثابة رد فعل لما واجهه به الحجاج من اهانة .

وأما ثقة الحجاج بنفسه ، واعتماده على رأيه ، فيظهر في موقفه من تعيين ابن الاشعث على سجستان ، وجعله قائداً لجيش الطواويس ، فقد نصحه أهل عبد الرحمن واخوته ، الا يوليه ، لانهم يخافون خلافه ، فأبى الحجاج ذلك معتقداً أن هيبته ستمنع أبن الاشعث من الخروج عليه (٣) ، واعتبر قول اخوته خاصة ، أنه حسد (٤) .

(١) الهذيل بن عمران بن الفضل البرجمي ، كان من اشراف اهل البصرة ، ونديما لبشر بن مروان ، قتل سنة (٧٦هـ/٦٩٥م) لاشتراكه في ثورة ابن الجارود . انساب الاشراف ، ص ٢٩١ (اهلورت) .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٧٩ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٣٢٠ ، الطبري : ١٠٤٤/٢ ، الكامل في التاريخ : ٤٥٥/٤ .

(٤) ابن اعثم ، جـ٢ ، الورقة ١٠٠ أ ، غرر السير ، الورقة ٣١ أ .

(ب) أثر العوامل المساعدة الأخرى : —

١ — عامل الطموح الشخصي :

لقد كان عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث يرجع في نسبه الى قبيلة كندة العربية (١) . ولهذا كان يعتز بنفسه . ويأنف من طاعة أي عربي اخر (٢) . كما كان يعتز برأيه في الحرب ولا يسمع نصيحة . حتى من مجرب . كالمهلب ابن أبي صفرة (٣) ، فكيف اذا كانت من الحجاج ، الذي لايصلح في رأيه أن يكون من بعض جنده وخدمه . كما كان يقول (٤) . ولذلك رفض عرضاً لرئاسة الشرطة عند أول مجيء الحجاج الى العراق ،لانه كان يرى ، أنه ارفع من أن يتقلد سيفاً ويمشي بين يدي الحجاج (٥) . وكان عبد الرحمن يقول : « مارأيت قط اميراً فوقي الا ظننت أني أحق بأمرته منه (٦) . ولقد اكثر المؤرخون في وصف موقف عبد الرحمن ،وطبيعة العداوة ،التي كانت بينه، وبين الحجاج (٧).

وهذا مادفع بعضهم الى الاستنتاج،أن الحجاج ارسله الى الحرب ليقتل هناك ولايعود (٨) . لكنني لااظن . أن الحجاج كان يريد أن يضحي بمصير جيش كامل في سبيل التخلص من رجل واحد ، كان بامكانه — لو أراد —

(١) جمهرة انساب العرب ، ص ٤٢٥ ، وكنده قبيلة قحطانية في عرف النسابين وقد عرفت عند الاخباريين بـ (كندة الملوك) لان الملك كان لهم على بادية الحجاز من بني عدنان ، ولانهم ملكوا اولادهم على القبائل ، وساسوا العباد وتمكنوا من البلاد : الطبري : ١٧٣٩/١ ، مروج الذهب : ٢١٦/٢ ، جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام :٣١٥/٣.

(٢) الحيوان : ٦٣/٥ .

(٣) ديوان سراقه البارقي ، ص ٤١ — ٤٢ ، المبرد ، ص ٢٤٥ ، العقد الفريد : ١٤٢/١.

(٤) البداية والنهاية : ٣٥/٩ .

(٥) ابن اعثم ، جـ ٢ ، الورقة ٩٨ أ .

(٦) انساب الاشراف ، ص ٣١٨ (اهلورت) : ابن اعثم ، جـ٢ ، الورقة ٩٨ أ .

(٧) الامامة والسياسة : ٣٠/٢ ، انساب الاشراف ، ص ٣١٨ — ١٩ (اهلورت) الاخبار الطوال ، ص ٣٢٢ ، الطبري : ١٠٤٣/٢ ، البداية والنهاية ٣٥/٩ .

(٨) البدء والتاريخ : ٣٥/٦ ، النصولي ، ص ١٥٥ ، شراره ، ص ١٦٥ .

أنيقتله وهو في العراق . كما أن صراحة الحجاج، وادارته الشديدة . لاتشجعان على مثل هذا الافتراض الذي يقول . أنه ولى عبد الرحمن ؛ وهو يكرهه ، ويعلم أنه سيثور عليه . لهذا فأن تضخيم العداء بين الاثنين ينبغي أن ينظر اليه بكثير من الحذر (١) .

ومما يبين بوضوح تلهف ابن الاشعث على السلطة ، الحوادث التي اعقبت أعلان الثورة . ففي اول الامر خلع الحجاج فقط (٢) ، ولكن عندما وصل الى فارس ورأى كثرة جموعه ، وازدياد تأييد الناس له . لم يكتف بخلع الحجاج ، بل وافق على خلع عبد الملك ايضاً (٣) .ثم سمى نفسه (القحطاني) و (ناصر المؤمنين) (٤) . كما لقب من قبل الشاعرة « بنت سهم بن غالب» بالمنصور عبد الرحمن (٥) . وقد ضرب اعشى همدان (٦) على وتر حساس

(١) انظر E.I.2 "Ibn-al-Ashath" : حيث تقول السيدة (M. me Vaccia Vaglieri) ان العلاقة بين الاثنين كانت ودية دائماً ، وانظر ايضا :
Dixon, Op. Cit. P. 156
الترجمة العربية ، ص ٢٤٤ ، ٢٥٧ .

(٢) تاريخ خليفة : ٢٧٩/١ ، انساب الاشراف ، ص ٣٢٦ . (اهلورت) .

(٣) انساب الاشراف ، ص ٣٣٤ (اهلورت) ، الطبري : ١٠٥٧/٢ ، التنبيه والاشراف ، ص ٢٧٢ .

(٤) التنبيه والاشراف ، ص ٢٧٢ ، البدء والتاريخ : ١٨٤/٢ . والقحطاني ، كما روى عن ابن سيرين : « رجل صالح وهو الذي يصلي خلفه عيسى وهو المهدي » البدء والتاريخ : ١٨٤/٢ ،وفي التنبيه والاشراف،ص ٢٧٢،انه الرجل الذي ينتظره اليمانية ليعيد الملك فيها . وعندما قيل لعبد الرحمن:«ان القحطاني على ثلاثة احرف. فقال: اسمي عبد واما الرحمن فليس من اسمي » ويرى Dixon . Op. Cit., P. 198 الترجمة العربية ، ص ٢٥٩ ان استعمال ابن الاشعث لهذا اللقب يعكس قوة النفوذ اليمني في ثورته . ولكن ينبغي ان يلاحظ ان قبيلة كندة التي ينتسب اليها ابن الاشعث ، لحطانية ، ولهذا نسب نفسه اليها .

(٥) انساب الاشراف ، ص ٣٣٣ - ٣٤ (اهلورت) .

(٦) هو عبدالرحمن بن عبدالله بن الحارث بن نظام ، شاعر كوفي فصيح من شعراء الدولة الاموية، شارك في ثورة عبدالرحمن بن الاشعث ، واسر فقتله الحجاج ، ابن حبيب « اسماء المغتالين من الاشراف » ص ٢٩٥ - ٢٦٧ ،الاغاني :١٢٨/٥ - ٣٩ ، ١٥٢ ، الامدي ، ص١١

حينما ذكر أبن الاشعث بامجاد اسرته . وما كان لهم من الملك السابق :

كم من أب لك كان يعقد تاجه   بجبين أبلج مقول صنديـــد (١)

لذلك فقد صرح أبن الاشعث بعد انتصاره على جيش الحجاج في تستر (٢) بقوله : « أما الحجاج فليس بشيء . لكننا نريد غزو عبد الملك (٣)» وأعلن في دير الجماجم (٤)، أنه اعز مكانة وشرفاً من ال مروان (٥) . فليس غريباً بعد ذلك أن يطمح بنظره لنيل منصب الخلافة . وقد ادرك عبد الملك ذلك فكتب الى الحجاج يقول : «... أسما عدو الرحمن لدعائم دين الله بهدمها أم رام الخلافة أن ينالها ... » (٦)

٢ — العوامل الدينية :

لقد كان للعوامل الدينية اثر كبير في تطور ثورة أبن الاشعث . فقد انضم اليها الكثير من القراء ، والزهاد ، والفقهاء ، مستحلين قتال الحجاج بسبب

---

(١) ديوان الاعشى ، ص ٣١٢ .

(٢) تستر : كورة في الاهواز ومن أهم مدنه : المسالك والممالك ، ص ٤٢ . وقد حدثت فيها اول موقعة حربية ، انتصر فيها ابن الاشعث على جيش الحجاج في ذي الحجة سنة (٨١هـ /٧٠٠ م) : تاريخ خليفة : ٢٨٤/١ ، الطبري : ١٠٦٢/٢ .

(٣) الطبري : ١٠٦٣/٢ ، ابن اعثم ، ج٢ ، الورقة ١٠٤ ب .

(٤) دير الجماجم : مكان يقع على سبعة فراسخ (نحو ٢١ ميلا) من الكوفة على طرف البر للسالك إلى البصرة ، معجم مااستعجم : ٥٧٣/٢ – ٧٤ ، معجم البلدان : ٦٥٢/٢ ، مراصد الاطلاع : ٤٢٧/١ . واما سبب ، التسمية فمختلف فيها : فقد ذكر ابن الكلبي في « جمهرة النسب» الورقة ٢٤٤ أ : ان بلال الرماح بن محرز الايادي ، قتل قوما من الفرس ونصب رؤوسهم عند الدير ، فسمي بدير الجماجم . وفي النقائض : ٤١٢/١ يذكر أبو عبيدة ، انه سمي بذلك ، لانه كانت تعمل فيه الاقداح ، والجمجمة : هي القدح . وقد حدثت في هذا المكان اعظم مجابهة حربيـة بين الحجاج وابن الاشعث في سنة (٨٢هـ/٧٠١م) استمرت مئة يوما تقريباً ، وانتهت بهزيمة ابن الاشعث وانصاره : تاريخ خليفة : ٢٨٤/١ انساب الاشراف ، ج٦ ، الورقة ٢٩ أ ، الطبري : ١٠٧٠/٢ ، ١٠٩٤ .

(٥) الطبري : ١٠٧٥/٢ ، ابن اعثم ، ج ٢ ، الورقة ١٠٧ أ .

(٦) الاغاني : ١٤٠/١٩ .

مانسب اليه من أعمال(١)أو افعال، كانت بنظرهم تؤدي بصاحبها الى الكفر(٢). فقد شاركت المرجئة (٣) في هــذه الثورة لهــذا السبب أيضاً (٤) . وهناك أختلاف كبير في العدد الذي يذكره المؤرخين لهؤلاء القراء الذين اشتركوا مع أبن الاشعث في دير الجماجم، فيذكر خليفة (٥) ، أنهم كانوا خمسمئة ، ويذكر ابن أعثم (٦). أنهم كانوا ثمانية الاف ، بينما يقول أبن الكلبي (٧) ، أنهم كانوا أثني عشر الفا . وكان شعارهم يومئذ : «يالثارات الصلاة » (٨)

ويمكننا أن نفهم وجهة نظرهم بصورة دقيقة من استعراض بعض الخطب التي القاها زعماؤهم في معركة دير الجماجم ، وكان من رأي سعيد بن جبير ، أنهم يقاتلون الحجاج وجيشه بسبب : الجور في الحكم ، والخروج من الدين ،والتجبر على عباد الله، والاستئثار بالفيء، واماتته الصلاة ، واستذلال المسلمين (٩).وفي رأي عبد الرحمن بن أبي ليلى (١٠)، أنهم يجب أن يقاتلوا

(١) انساب الاشراف ، ج ١١ ، الورقة ٣٧ ب ، ٣٩ أ ، ٤١ب ، الاشتقاق ، ص ١٨٨، تهذيب ابن عساكر : ٩٩/٤ ، النزاع والتخاصم فيما بين بني امية وبني هاشم ،ص ٤٣ .

(٢) راجع الفصل الاول من هذا البحث ، ص ٤٦ – ٤٨ .

(٣) المرجئة : احدى الفرق التي نشأت في العصر الاموي ، سموا بذلك لانهم أخروا العمل عن الايمان ، والارجاء بمعنى التأخير ، ولأنهم يرجئون أمر اهل الكبائر من المسلمين إلى الله تعالى: الفرق بين الفرق، ص ٢٠٢، الحميري، الحور العين، ص ٢٠٣

(٤) طبقات ابن سعد : ٢٠٥/٦ ، الحور العين ، ص ٢٠٤ .

(٥) التاريخ : ٢٨٨/١ .

(٦) الفتوح ، ج ٢ الورقة ١٠٧ أ .

(٧) جمهرة النسب ، الورقة ٤٢٩ (اسكوريال) ، وانظر : نقائض جرير والفرزدق : ٤١٢/١ (الحاشية) .

(٨) انساب الاشراف ، الورقة ٦١٥ب (اسطمبول) ، تاريخ الاسلام : ٢٢٩/٣ ، شذرات الذهب : ٩٢/١ .

(٩) طبقات ابن سعد : ١٨٥/٦ ، انساب الاشراف ، ج ٦ ، الورقة ٢٨ ب ، ج ١١ ، الورقة ٣٨ أ ، الطبري : ١٠٨٧/٢ .

(١٠) عبدالرحمن بن أبي ليل من قراء الكوفة ،تولى فيها القضاء فترة من عهد الحجاج ، اشترك في ثورة ابن الاشعث ، وفقد أو ، قتل بدير الجماجم أو ، بدجيل : طبقات ابن سعد:=

المحلين المحدثين المبتدعين الذين يعملون بالعدوان . وأن من تصدى للعدوان بالسيف ، فذاك الذي اصاب سبيل الهدى . وقال الشعبي : أنه لايعرف أمة اظلم ولا اجور في الحكم منهم . لهذا يجب الا يأخذهم الحرج في قتالهم (١) . امـــا ابو البختري الطائي (٢) ، فيرى أن قتالهم يجب أن يكون على الدين والدنيا ، لان عدم الانتصار في رأيه معنـــاه ، فساد دينهم وخسارة دنياهم (٣) . وهناك سبب اخر دفع قراء البصرة خاصة للخروج مع أبن الاشعث ، وهو قرار الحجاج باخراج الفلاحين من المدن وارجاعهم الى قراهم الاصلية ، لهذا فقد نال هؤلاء عطف القراء الذين خرجوا يبكون معهم ، وصادف مجيء أبن الاشعث في ذلك الوقت، فأنضموا اليه (٤).

ويمكننا ان نلاحظ أثر العوامل الدينية حتى في الساعات الاولى لقيام الثورة فقد كانت بيعة ابن الاشعث ، على كتاب الله ، وسنة نبيه ، وخلع ائمة الضلال وجهاد المحلين(٥). بل ان رواية الدينوري (٦) تصور الثورة وكأنها ثورة دينية ، حركها عبد الرحمن بن الاشعث في عبّاد اهل الكوفة وقرائهم . ولا يخفي ان هذه الرواية ناقصة ، ولاتقدم تفسيراً واضحاً للاحداث .

ومن جهة اخرى فاننا نجد مايناقض هذا الاتجاه الديني . فقد ذكر ابن اعثم (٧) مثلا ، ان ابن الاشعث نفسه يعترف بعد هزيمة دير الجماجم انه لم يكن سوى طالب دنيا لاطالب دين ، فهو يقول :

= ٦/٧٤ – ٧٧ ، تاريخ خليفة : ١/٢٨٧ ، انساب الاشراف ، ج٦، الورقة ٢٨ ب ، ج ١١ ، الورقة ٣٨أ ، اخبار القضاة : ٢/٤٠٦ – ٤٠٧ .

(١) انساب الاشراف ، ج ٦ ، الورقة ٢٨ ب ، ج ١١ ، الورقة ٣٨أ ، الطبري : ٢/١٠٨٦ .

(٢) هو سعيد بن فيروز ، شارك في ثورة بن الاشعث ، وقتل بدير الجماجم : تاريخ خليفة: ١/٢٨٧ ، وفي طبقات ابن سعد : ٦/٢٠٤ ، انه قتل بدجيل سنة (٨٣هـ/٧٠٢م).

(٣) انساب الاشراف ، ج ٦ ، الورقة ٢٨ب ، ج١١ ، الورقة ٣٨ أ ، الطبري : ٢/١٠٨٦.

(٤) انساب الاشراف ، ص ٣٣٦ – ٣٧ (اهلورت) ، الطبري : ٢/١١٢٢ – ٢٣ .

(٥) انساب الاشراف ، ص ٣٢٦ (اهلورت) ، الطبري : ٢/١٠٥٨ ، الكامل في التاريخ: ٤/٤٦٤ .

(٦) الاخبار الطوال ، ص ٣٢٢.

(٧) الفتوح ، ج ٢ ، الورقة ١٠٨ أ .

فما كنا اناسا اهل دين ... فنصبر للبلا إذا ابتلينا
ولكنا اناس اهل دنيا ... فتنصرنا وان لم نرج دينا

يضاف الى ذلك ، اننا نجد حتى بين القراء من رفض الاشتراك في الثورة واعتزل لعدم تأكده من انه لايكون آثماً بخروجه مع القراء(١) . فعندما طلب هؤلاء من الحسن البصري ، ان يبدي رأيه في الاشتراك بها قال : ارى انها فتنة صماء ذلك انكم لم تختلفوا في ريب ولانبي ولا كتاب ولا قبلة فرحم الله عبداً اتقى ربه ونظر ليوم معاده(٢). وقال لهم ايضاً : انما ابتليتم بالحجاج عقوبة ، فلن تستطيعوا ان تردوا عقوبة الله بأسيافكم(٣) . ومع ذلك فقد اكرهه ابن الاشعث على الانضمام اليه(٤).

وبعد فشل الثورة . أظهر الكثير من القراء ندمهم على الأشتراك فيها . وعندما سئل مالك بن دينار . (٥) وأعلى الكفر قوتل الحجاج قال ليتنا لم نشهد وليت من قتل منا نجوا.،(٦) وقال طلحة بن مصرف :(٧)وددت ان يدي قطعت ولم أشهد دير الجماجم . (٨) وذكر أنه يتمنى لو مات قبل دير

(١) انساب الاشراف ، ج ١١ ، الورقة ٤٠ ب .
(٢) ابن اعثم ، ج ٢ ، الورقة ، ١٠٩ أ .
(٣) طبقات ابن سعد ، ج ٧ ، قسم ١ ، ص ١١٩ ، انساب الاشراف ، ج ١١ ، الورقة ٣٧ أ .
(٤) طبقات ابن سعد ، ج ٧ ، قسم ١ ، ص ١١٨ – ١٩ ، تاريخ خليفة : ٢٨٧/١ ، انساب الاشراف ، ج١١ ، الورقة ٣٧ ب .
(٥) هو مولى بني سامة بن لؤي بن غالب ، يكنى ابا يحيى ، اشتهر برواية الحديث ، وثقه النسائي وابن حبان ، وابن سعد ، توفي سنة (١٣٠ أو ١٣١ هـ / ٧٤٧ أو ٧٤٨م) : طبقات خليفة ، ص ٢١٦ ، المعارف ص ٤٧٠ ، تهذيب التهذيب : ١٤/١٠ – ١٥ .
(٦) انساب الاشراف ، ج ١١ ، الورقة ٣٧ ب .
(٧) طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب من قبيلة همدان اليمانية ، راوية للحديث ، وهو من قراء اهل الكوفة وعيارهم ، وكان يسمى سيد القراء توفي سنة (١١٢ أو ١١٣ هـ /٧٣٠ أو ٧٣١ م) طبقات ابن سعد : ٦ /٢١٥ – ١٦ ، طبقات خليفة ، ص ١٦٢ ، المعارف ص ٥٢٩ ، تهذيب التهذيب : ٢٥/٥ – ٢٦ – ، شذرات الذهب : ١٤٥/١ .
(٨) تاريخ خليفة : ٢٨٧/١ انساب الاشراف ، ج١١ ، الورقة ٣٧ ب .

الجماجم بعشرين سنة . (١) أما الشعبي : فوصف الثورة انها «... فتنة لم تكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء ».(٢) وقد عفا عنه الحجاج بسبب هذا الأعتراف وقال : « صدق والله مابروا حيث خرجوا ولا قووا حيث فجروا أطلقوا عنه » (٣)

ويعتبر البلاذري (٤) ان الدوافع التي دفعت مطرف بن المغيرة بن شعبة للثورة على الحجاج تشابه الدوافع الدينية التي ثار من أجلها القراء، وهو في الوقت نفسه ينفي أن مطرفاً كان يرى رأي الخوارج . لقد كان مطرف عاملا للحجاج على المدائن ، واتصل بشبيب الخارجي (٥) عندما مر به ليتفقا على الخروج على الحجاج ، لكنهما اختلفا فيمن يؤمر على المسلمين، فجمع مطرف أهله واصحابه ، وخرج بهم ثائراً نحو الجبال سنة(٧٧هـ / ٦٩٦ م) وانضم اليه سويد بن سرحان الثقفي ، وبكير بن هارون البجلي، والحجاج ابن جارية الخثعمي . وقد كتب الحجاج الى عامله علي اصبهان ، البراء بن قبيصة . والى عدي بن وتاد الايادي : عامله على الري ،بالأستعداد لقتال

(١) نفس المصدر والمكان . وعن ندم بعض القراء الذين خرجوا على الحجاج بصورة عامة انظر : طبقات ابن سعد ، ج ٧ ، قسم ١ ، ص ١١٩، ١٩٤ انساب الاشراف ، ج ١١ ، الورقة ٣٧ ب .

(٢) تاريخ خليفة: ٢٨٨/١ ، وانظر ايضا : المحاسن والاضداد ، ص ٢٣، انساب الاشراف، ج ٦ ، الورقة ٣٠ ب ، الطبري : ١١١٢/٢ — ١٣ .

(٣) الجليس الصالح ، الورقة ١٧ أ .

(٤) انساب الأشراف ، ج٦ ، الورقة ٣٣ب — ٣٤ أ . وانظر ايضا : الورقة ٦١١ب (اسطنبول)

(٥) هو شبيب بن يزيد بن نعيم الشيباني — ويكنى ابا الصحارى ، ولد سنة (٢٥هـ/ ٦٤٥م). ثار هو وصالح بن مسرح في الجزيرة سنة (٧٦هـ/٦٩٥ م) ، وبعد مقتل صالح في السنة ذاتها ، تولى شبيب القيادة ، ووسع نطاق حركته إلى ولاية العراق ، حيث كانت له مع جيوش الحجاج مواقع كثيرة ، انتهت بموته غرقا في دجيل الاهواز سنة (٧٧ أو ٧٨هـ/ ٦٩٦ أ ٦٩٧م) : تاريخ خليفة : ٢٧٢/١ فما بعدها .؛ انساب الاشراف . ج٦، الورقة ٣٩ ب ؛ تاريخ اليعقوبي : ٣٢٨/٢ ؛ الطبري : ٩٧٤/٢ — ٩٧٧ ؛ مروج الذهب : ٨٠/٣ ؛ الملل والنحل : ٩٥/١ .

مطرف ، كما أرسل لهما بين خمسمئة الى الف رجل . وكانت النتيجة أن قتل مطرف بن المغيرة وبعض اصحابه ، وأسر الباقون. (١) ويعتبر (ويل Weil)(٢) أيضاً مطرفاً أحد أتباع شبيب الخارجي. ولكن(ولهاوزن) (٣) يقول : أن مطرفاً كانت له ميول خارجية قوية ، غير انه رفض أن يكون تابعاً لشبيب أو أن يحاربـــه ، وفي رأي (ديترج ، Dietrich) (٤) ، أن مطرفا استغل بحماقة اول فرصة ليثور تضامنا مـــع الخوارج . أمـــا (Van Vloten ،فأن فلوتن) (٥)،فيعتبر ثورة مطرف مشابهة لثورات الاشراف على الامويين . وقد ناقش الدكتور دكسن في رسالته (٦) ، معظم هذه الاراء . واتفق اخيراً مع رأي البلاذري ، في أن دوافع مطرف كانت بلا شك مماثلة لدوافع القراء ، وهو يتفق مع شبيب فقط في كونهما يعارضان النظام القائم . ويمكن أن نضيف في هذا الصدد — مع اقتناعنا بتشابه دوافع الأثنين — أن هناك اختلافاً بين اراء القراء واراء مطرف . وهو أن القراء لم يكن لهم في ثورة ابن الاشعث برنامج محدد شامل ، او فكرة سياسية يبتغون تنفيذها والسير بموجبها بعد الانتصار ، على العكس من مطرف ، الذي كانت له اراء سياسية كاملة فيما يريده أن يكون بعد انتصاره على الدولة ونستطيع أن نتبين ذلك من مناقشاته مع الوفد الذي ارسله اليه شبيب ، فهو قد اتفق معهم على الخروج وقتال « الظلمة العاصين بكل ما احدثوا ...» (٧)

---

(١) أنساب الاشراف ، ج ٦ ، الورقة ٣٤ أ ؛ الطبري : ٩٨٣/٢ فما بعدها .

(٢) History of the Islamic Peoples.translated by: Khuda Bukhsh p. 122 .

(٣) الخوارج والشيعة ، ص ١١٩ .

(٤) E.I2., "Al-Hadjdjadj B. Yusuf "

(٥) السيادة العربية ، ص ٥٧ .

The Umayyad Caliphate, PP. 194–95 .

(٦) الترجمة العربية ، ص ٢٩٩ – ٣٠٢

(٧) انساب الاشراف ، ج ٦ ، الورقة ٣٤أ ، الطبري : ٩٨٤/٢ .

لكنه كان يؤكـد ، أن الامر يجب أن يكون شورى بين المسلمين . يولون من ارتضوه على الحال التي تركهم عليها عمر بن الخطاب . فهو يرى الشورى التي يراد منها « الرضا من قريش » (١) . وقد اكد هذا الرأي مرة أخرى عندما خاطب اهله واصحابه . واعلن اليهم خلع الحجاج وعبد الملك ، فبايعوه على ذلك (٢) .

٣ ــ العصبية القبلية :

لم يكن للعصبية اثر كبير على هذه الثورات . باستثناء ثورة ابن الجارود . فقد اجتمعت مضر وربيعة واليمن مـــع ابن الجارود على الحجاج (٣) وفي رأي الزهيري (٤) . أن انقاص الحجاج للعطاء لم يكن هو الذي سبب هذه الثورة بل التعصب القبلي . والواقع أننا نلمس اثر العصبية في حوادث الثورة بعد قيامها . لا في اسبابها . ثم استمر هذا الاثر حتى حدد النتيجة النهائية للثورة . وجعلها في صالح الحجاج . ودليلنا على هذا . موقف قتيبة ابن مسلم الباهلي ، الذي ترك ابن الجارود . وتقدم لنصرة الحجاج بسبب تعصبة للقيسيه (٥) .

أما في ثورة أبن الاشعث . فلا نرى في اسباب قيامها اثراً للعصبية . أما قول السيدة(فاشية فاكليري) Mme Vaccia Vaglieri (٦) ، أن ابن الاشعث قد ترأس القحطانيين ،والهمدانيين ، ضد المضريين ،والثقفين ،فلا يسند الى الواقع ، وقد اساءتفهم بعض الابيات من شعر الاعشى (٧). لان شعر اعشى همدان

---

(١) نفس المصدرين والمكان .
(٢) انساب الاشراف ، جـ٦ ، الورقة ٣٤أ ، الطبري : ٢/٩٨٩ .
(٣) المحبر ، ص ٢٥٥.
(٤) نقائض جرير والفرزدق ، ص ١٧٨ .
(٥) انساب الاشراف ، ص ٢٨٧ (اهلورت)
(٦) E.I.2, "Ibn -al-Ashath".
(٧) كما لاحظ ذلك : Dixon, Op. Cit., P. 156 .
الترجمة العربية ، ص ٢٤٨

يدل على تحالف المضريين. واليمانيين(همدان ومذحج وقحطان) ، حيث يقول الاعشى :

انا سمونا للكفور الفتان حين طغى في الكفر بعد الايمان
بالسيد الغطريف عبد الرحمن سار يجمع كالدبى من قحطان
ومن معد قد اتى ابن عدنان بجحفل جم شديد الارنان
فقل لحجاج ولي الشيطان يثبت لجمع مذحج وهمدان (١)

كما يدل على هذا ايضاً شعر ابنة سهم بن غالب في «انساب الاشراف»(٢) فهي تقول :

يا أيها السائل عما قد كان أبشر اتاك الغوث من سجستان
ابنا نزار وسراة قحطان وفيهم المنصور عبد الرحمن

ويؤكد ذلك ايضاً ماجاء في «ديوان الفرزدق »(٣) ، حيث يقول :

عجبت لنوكي من نزار وحينهم ربيعة والاحزاب ممن تمضرا
ومن حين قحطاني سجستان اصبحوا على شيء من دينهم قد تغيرا

واخيراً فان ما قام به يزيد بن المهلب بن ابي صفرة ، والي خراسان ، من ارسال الاسرى المضريين الى الحجاج . واطلاقه سراح الاسرى اليمانيين (٤) ليدل دلالة واضحة على اشتراك الجميع بالثورة .

٤ — دور الموالي والعوامل الأقليمية وآراء المُحدثين :

لقد تناول المستشرقون ، وبعض المؤرخين المحدثين ، ثورة ابن الاشعث خاصة ، بالدراسة والبحث . وكانت النتيجة . أن اعتبرها بعضهم ثورة خاصة بالموالي . او أن الموالي كانوا يكونون الاغلبية الساحقة فيها . وذلك

(١) انظر ديوان الاعشى ، ص ٣٤٢ .
(٢) البلاذري ، ص ٣٣٤ (اهلورت) .
(٣) انظر الديوان : ٢٣٩/١ .
(٤) تاريخ خليفة : ٢٨٤/١ ؛ الطبري : ١١١٩/٢ — ١١٢١.

بسبب طموحهم للحصول على المساواة السياسية مع العرب (١) . وقد غالى احد الكتاب المعاصرين في هذا الشأن . بحيث جعلها ثورة الموالي وحدهم قاموا بها على أهل الشام (٢) . والحقيقة أن المؤلف المذكور يتكلم على سياسة الحجاج في العراق . وكأنه لايوجد فيه غير الموالي . فكل اعماله وخطبه موجهة اليهم (٣) . وهذا مايدعو الى التساؤل ، اين اذا كان عرب العراق

أما (ولها وزن) (٤) . فيصور الثورة ، على انها صراع أهل العراق . لطرح نير أهل الشام من على كاهلهم . كما يرجعها أيضاً الى أنفة الارستقراطية العربية من معاملة الحجاج . الذي لم يكن من اشراف العرب (٥) . ويقول: أن جند الشام كانوا يمثلون السيادة الاجنبية مجسمة . لانهم كانوا يأخذون عطاء اكثر من جند اهل العراق . الذين كان عليهم أن يتحملوا مؤونة جند الشام ، اضافة الى ارسالهم في حملات بعيدة على حين يبقى جند الشام عند اهلهم (٦) .

واذا كانت عوامل الثورة متعددة غير متجانسة . فأنها كانت تهدف الى امر واحد ، هو الثورة على الحجاج نظراً لبغضهم اياه وكرههم له(٧) :

---

(١) انظر رأي (فون كريمر) الذي نقله (ولها وزن) ص ٢٣٤ – ٣٥ ، وكذلك السيادة العربية ، ص ٤٣ .

(٢) الخربوطلي ، ص ١٧٤، ١٧٥ ، ١٧٧ .

(٣) انظر على سبيل المثال ، المرجع السابق ، ص ١٧٠ فما بعدها ، حيث يقول : « ولما دعا الحجاج الموالي إلى الخروج لقتال الخوارج تثاقلوا فخطب فيهم غاضبا : الا ان امير المؤمنين امرني باعطائكم واشخاصكم إلى محاربة عدوكم ... » ولا يخفى ان هذه الخطبة، هي خطبة الحجاج الأولى،التي وجهها إلى أهل الكوفة كافة،راجع صفحة ٦٧ – ٦٨. من الفصل الثاني من هذا البحث .

(٤) تاريخ الدولة العربية ، ص ٢٤٠ .

(٥) ان (ولها وزن) غير محق في هذا التعبير ، فالحجاج وابوه كانا من سادات ثقيف واشرافهم، انظر مقدمة ابن خلدون،ص ٣٠،وكذلك ، ص ٣٠–٣١ من الفصل الاول من هذا البحث.

(٦) تاريخ الدولة العربية ، ص ٢٣٩–٤٠ .

(٧) الطبري ، ١٠٧٢/٢ ، (الواقدي) في البداية والنهاية : ٤١/٩ .

ويظهر أن رجحان كفتهم اول الامر على الحجاج هو الذي اطمعهم بعدم الأكتفاء بخلع الحجاج . والتنازلات التي قدمها اليهم عبد الملك (١). وبعد انتصار الحجاج عليهم وقتله رؤوس الفتنة . اذعن الباقون له بالطاعة ، بين معتذر وبين نادم . وظل اميراً عليهم خلافة عبد الملك، والوليد بن عبد الملك ، ولذلك يمكن وصفها بأنها فتنة وقع فيها كثير من الناس من غير ترو ولا خطة مدروسة . كما سيتبين لنا ذلك في الصفحات الاتية .

لقد كان لكـــل مجموعة من المشاركين بالثورة اسبابهم الخاصة بهم ، فقد شارك فيها الموالي . لانهم كانوا يرافقون اسيادهم العرب في الحروب(٢) . من ذلك مشاركة الاساورة مثلا (٣). ومن الادلة التي تثبت أن هذه الثورة لم تكن خاصة بالموالي ، رفض أبي البختري الطائي ، زعامة القراء يوم دير الجماجم ، عندما عرضوا عليه ذلك ، وقوله لهم : « لاتفعلوا فأني رجل من الموالي فأمروا عليكم رجلا من العرب » (٤) . ودليل اخر . هو استغراب الحجاج ، وعجبه من مشاركة أحد كبار الموالي في الثورة وهو ، فيروز حصين (٥). فقد قال له بالحرف الواحد.عندما جيء به اسيراً: « ابا

---

(١) أنظر ، ص١٠٨-١٠٩ من هذا الفصل .

(٢) تاريخ الدولة العربية ، ص٢٢٧ .

(٣) فتوح البلدان : ٤٦٠/٢ . والأساورة : قوة عسكرية كانوا في جيش الفرس أثناء الفتح ، ثم دخلوا الاسلام على شروط أقرها عمر بن الخطاب ، منها : مقاتلة اعداء المسلمين وعدم التدخل في الحروب الأهلية التي قد تحصل بين العرب ، وان ينزلوا في أي مكان شاءوا من البلدان ، ويحالفوا من شاءوا من العرب ، وأن يلحقوا بشرف العطاء. فحالفوا بني سعد من تميم.ولهذا فقد عاقبهم الحجاج عندما أعانوا ابن الأشعث،وقال لهم: « كان في شرطكم أن لاتعينوا بعضنا على بعض» . نفس المصدر ، ص ٤٥٩-٦٠ ، الطبري : ٢٥٦٢/١-٦٣ .

(٤) طبقات ابن سعد : ٢٠٤/٦ ، تاريخ خليفة : ٢٨٢/١ .

(٥) وهو مولى حصين بن الحر العنبري من آل الخشخاش، وهو صاحب نهر فيروز بالبصرة كان من أعظم موالي العراق شجاعة ، وكرماً ، وغنى ، شارك في ثورة ابن الأشعث ، واسر . قتله الحجاج سنة (٨٣هـ/٧٠٢م) : المحبر ، ص٣٤٥ ، المعارف ،ص٣٣٧ ، المبرد ، ٣٥٢/٣-٥٣ ، الطبري : ١١١٩/٢ فما بعدها .

عثمانما اخرجك مع هولاء فوالله مالحمك من لحومهم ولا دمك من دمائهم...»(١)
أما بالنسبة لوجود جند الشام في العراق . فيجوز انه اثار استياء البعض من اهل العراق . وقد ادرك عبد الملك ذلك . فحينما ارسل ابنه عبد الله . واخاه محمد بن مروان لمفاوضة الثوار بدير الجماجم . طلب اليهما أن يعرضا على أهل العراق اخراج أهل الشام من ديارهم (٢). يضاف الى هذا أن ابن الاشعث نفسه ، كان يدرك مدى اهمية هذا الامر . لذلك أمر كميل بن زياد النخعي . أن يخطب ويحرض الناس في دير الجماجم : فكان من جملة ما قاله : أن ذكر أهل الكوفة . أنهم قد غلبوا على فيئهم. لانهم فتحوا الفتوحات العظيمة . بينما يتمتع اهل الشام بخراجها (٣). ولكن هذا لا يعني بالضرورة أن نفسر الثورة : أنها كانت. استمراراً للعداوة بين ملوك غسان . وملوك الحيرة . كما فسرها (Muir . ميور) (٤). لاننا في نفس الوقت نجد اشتراك بعض الشاميين في الثورة بجانب ابن الاشعث. فقد انضم اليه رجل من أهل الشام يقال له نويرة الحميري (٥). كما شارك في الخروج معه ، احد الامويين . وهو عبد الله بن امية بن عبد الله بن خالد بن أسيد (٦) . يضاف الى هذا . العديد من اشراف الناس . من قريش . ومن سائر العرب (٧) . بينما نرى من جهة ثانية. أن اخوة عبد الرحمن، اسحق . والصباح . والمنذر . لم يشتركوا مع اخيهم في ثورته . بل

(١) الطبري : ١١٢٠/٢ ، الكامل في التاريخ : ٤٨٧/٤ .
(٢) ابن أعثم ، جـ٢ ، الورقة ١٠٦ ب .
(٣) انساب الأشراف ، جـ ٦ ، الورقة ٢٨ ب .
(٤) The Caliphate, P. 338.
(٥) انساب الأشراف ، ص ٣٤٤ (اهلورت)
(٦) نفس المصدر : ١٥٣/٥ .
(٧) الطبرى : ١٠٧٢/٢ ، ١٠٧٦ ، ابن أعثم ، جـ ٢ ، الورقة ١٠٥ أ ، تأريخ الخلفاء ، ص ٢٨٦ .

انضموا الى الحجاج (١) . وهذا يدل على اهمية المصالح الشخصية في اسباب الثورة .

لقد ارتبطت مسألة العطاء بوجود اهل الشام ايضاً . ويبدو ان اهل العراق كانوا محقين في المطالبة بمساواتهم بالعطاء مع اهل الشام . ولقد ادرك الخليفة ذلك . فعندما حاول وفده ان يقنع الثوار بالتخلي عن الثورة . عرض عليهم مساواتهم بالعطاء مع اهل الشام . لكنهم رفضوا ذلك(٢). ومن هذا يتبين لنا ان موضوع وجود جند الشام في العراق. وزيادة اعطياتهم. كان ينفذ من قبل الخليفة. أي السلطة المركزية للدولة ، ولايمكن أن نحمل الحجاج وزر هذه الامور(٣) .

ومما ساعد على قيام الثورة . وانضمام الكثير من الجند اليها ، ما كان يعانيه هؤلاء من البعد عن اوطانهم . وقد زاد في تفاقم هذه الحالة ، ورود . كتاب من الحجاج ، يأمر فيه المسلمين ان يحرثوا ويقيموا في الأرض . فانها دارهم حتى يفتحها الله عليهم (٤). ويدل على تأثير هذا العامل ايضاماقاله عبد المؤمن ابن شبث بن ربعي (٥). حينما ايد ابن الاشعث . وخطب في الجند قائلا لهم : ان الحجاج ينوي ان يبقيهم في تلك البلاد . ويجعلها بلادهم .ويمنعهم من رؤية الأحبة(٦) . وقد ادرك المهلب بن ابي صفرة أثر هذا العامل على اهل العراق . فكتب الى الحجاج ينصحه . الا يتعرض لهم . او يحاربهم الا بعد ما يلاقون اهلهم . فترق قلوبهم . ويتفرقون عن ابن الاشعث(٧).

(١) انساب الأشراف ، ص ٣٢٧ – ٢٨ . (اهلورت) .
(٢) نفس المصدر ، ج ٦ ، الورقة ٢٨ ب ، الطبري : ١٠٧٢/٢ .
(٣) أنظر ، ص ٢٠٤ من هذا البحث .
(٤) الطبري : ١٠٥٣/٢ .
(٥) عبد المؤمن بن شبث بن ربعي التميمي ، كان هو وابوه من مؤيدي المختار الثقفي بالكوفة ، وقد عينه ابن الأشعث على شرطة حينما أقبل من سجستان الطبري : ٦٥٤/٢ ، ١٠٥٤ .
(٦) انساب الأشراف ، ص ٣٢٥ (اهلورت) ، الطبري : ١٠٥٤/٢ .
(٧) انساب الأشراف ، ص ٣٣٦ (اهلورت) ، الطبري ١٠٥٩/٢ .

٥ ـ المصالح الشخصية :

ومما لاشك فيه انه كان للمصالح الشخصية اثر كبير في انضمام بعض العناصر الى الثورة . فقد نقمت طبقة الموظفين الأعاجم على الحجاج بسبب ضربه لمصالحها وتعريب الدواوين(١) ، كما ايد الدهاقين(٢) ابن الاشعث . وصاروا عيونا له على الحجاج . وذلك بسبب اصلاحاته النقدية(٣). وثارت بعض العشائر بسبب معاقبة بعض زعمائها.يضاف الى ذلك.سياسة الحجاج في اخراج الفلاحين واهل القرى والأرياف من الأمصار والمدن ، مما اثار معارضة الأوساط الدينية ، وبعض ذوي المصالح ، فدفعهم الى الانضمام للثورة ، وتأييد ابن الاشعث (٤) وقد اعترف الهلقام بن نعيم(٥) . احد المشتركين في الثورة ، انه كان يرجو ان يصبح ابن الاشعث خليفة . فيوليه العراق (٦) . ويبدو من بعض مواقف اعشى همدان . انه كان يطمع في الأموال التي كانت بيد ابن الاشعث ، فيطلب منه ان يعطيهم بسخاء . بسبب تأييدهم له(٧). كما نجد بين المشاركين في الثورة ايضا ، احد الذين انقص الحجاج عطاءهم عندما قدم

(١) أنظر الفصل الرابع من هذا البحث ، الجزء الخاص بتعريب الدواوين .

(٢) جمع دهقان ، ويعني التاجر ، أو زعيم فلاحي العجم ، أو رئيس الأقليم ، أو مقدم القرية وهو تعريب (دهگان) ، وقيل أن أصل (دهگان) هو (ده خان) أي رئيس القرية ، وقد يكون الدهقان من العرب أيضاً : أبو يوسف ، ص ١٤٦ ، لسان العرب ، مادة : (دهقن) ، تاج العروس ، مادة (دهقن) ، ادي شير ، ص ٦٨ .

(٣) أنظر الفصل الخامس من هذا البحث ، الجزء الخاص بالنقود .

(٤) انساب الأشراف ، ص ٣٣٧ (اهلوورت) ، الطبرى : ١١٢٢/٢ — ٢٣ ، التنظيمات الأجتماعية والأقتصادية في البصرة ، ص ١٠٩ — ١١٠ ، وأنظر الفصل الخامس من هذا البحث ، الجزء الخاص بالجزية والخراج .

(٥) الهلقام بن نعيم بن القعقاع بن معبد بن زرارة ، شارك في ثورة ابن الأشعث وكان من جملة الاسرى الذين ارسلهم يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، من خراسان إلى العراق ، قتل سنة (٨٣/٧٠٢م) ، الطبري : ١١٠٩/٢ ، ١١١١ ، ١١٢١ .

(٦) نفس المصدر ، ١١١١/٢ ، ١١٢١ .

(٧) ديوان الأعشى ، ص ٣٢٤–٢٥ ، ابن أعثم ، جـ٢ ، الورقة ١٠١ ب.

العراق (١) ، ولهذا فيحتمل ان عامل الاضرار بالمصلحة المادية ، هو الذي دفع هذا الرجل للنقمة على الحجاج ، والانخراط في الثورة عليه . وقد استغل بعض المشتركين في الثورة الفرصة لتحقيق اطماع شخصية ، وتسلط على املاك الغير ، فاحرقوا الديوان الذي يضم سجلا ت الأراضي ، فاستولى كل قوم على مايجاورهم واضافوه الى اراضيهم(٢). وفي محاضرات الادباء(٣) ، وهو مصدر ادبي ، ان احد اتباع ابن الاشعث يعترف ، انه خرج معه لا لدين ولا لدنيا ، انما خرج بسبب حماقته فقط .

ان هذه الأسباب الكثيرة ، وهذا الخليط غير المتجانس من الأفراد الذين شاركوا في الثورة ، لايساعد الباحث على اصدار احكام محددة قاطعة في اسبابها ولقد اجاد احد الاسرى ، حينما وصف الثورة والثوار بقوله : «كانت فتنة شملت البّر والفاجر فدخلنا فيها ..(٤) » واغلب الظن ان كثرة من شارك في الثورة على اختلاف دوافعهم لم يكن لها قوة ، كما يجب ان نتوقع ، بل كان احد اسباب فشلها ، تضارب المصالح ، وتشتت الأهداف(٥).

(٢)

أسباب ثورات الخوارج

تعتبر ثورات الخوارج من الثورات المستديمة السابقة لعهد الحجاج ، ولهذا فهي لاتشكل في عهده ، الا امتداداً لما سبقها من ثورات ، قام بها الخوارج على الدولة . فقد كانوا يثورون باستمرار منذ ايام الامام علي واوائل ظهور دولة الامويين ، واستطاعوا ان يشغلوا ولاتها في العراق فترة طويلة بحركاتهم

(١) الهمداني ، الأكليل : ١٥٢/١٠ .

(٢) الأموال، ص٢٨٣ ، فتوح البلدان: ص٣٥،قدامة ، ص ١٢٤ (منشور مع كتاب): (Taxation in Islam, Vol. II .

(٣) الراغب الأصبهاني : ١١٤/١ .

(٤) الطبري : ١١١١/٢ .

(٥) انظر ص١٠٨ من هذا الفصل .

التي كانت تظهر الواحدة تلو الاخرى في اماكن مختلفة . وقد عرف الخوارج كيف يستغلون الظروف . فكثيرا ماكانت ثوراتهم تلي فترات التقلقل في الدولة (١) . ولم يكن الخوارج جماعة معينة ثابتة . ولم يجتمعوا على خلافة توحدهم وتجمع شملهم . وقد انضم اليهم كثير من الطبقات المعدمة التي راقتها ميولهم . واحتجاجاتهم على مظالم الحكام الولاة (٢) .

ان التفصيل في الاسباب العقائدية الخاصة . التي كانت تدفع الخوارج الى القيام على الدولة . لاتدخل في نطاق هذا البحث . غير انه بصورة عامة كان الخوارج يعتقدون بوجوب الخروج على الامام الجائر ، (٣) وهم بطبيعة الحال لايعترفون بشرعية الحكم الاموي . لهذا فقد كثرت ثوراتهم عليه . وعندما جاء الحجاج الى العراق . كانت ثورة الازارقة في الاهواز على قدم وساق . وقد انتشر خطرها بحيث اخذ يعم جنوب العراق كله فبدأ الحجاج عمله بمكافحتها . وتهيأة الناس للتصدي لها . كما ذكرنا ذلك في الفصل الثاني .

اما ثورة شبيب الخارجي . فانها حدثت اول الامر في الجزيرة . ثم امتدت الى حدود ولاية العراق . ولم تكن في بدايتها بقيادة شبيب ، بل كان يقودها صالح بن مسرح (٤) . ويروي ابو مخنف ، ان صالحا قال لاصحابه

---

(١) القلماوي ، أدب الخوارج في العصر الأموي ، ص٣٧ .

(٢) جولد تسهير ، ص١٧٢ .

(٣) الملل والنحل : ٨٦/١ ، الفرق بين الفرق ، ص٧٣ .

(٤) صالح بن مسرح من بني امريء القيس بن زيد بن مناة بن تميم ، خرج بناحية الجزيرة على محمد بن مروان بن الحكم ، وانضم اليه شبيب بن يزيد ، وقد قتل مجروحاً سنة (٧٦هـ/ ٦٩٥م) : تاريخ خليفة : ٢٧٢/١ . وهناك خلاف في الفرقة الخارجية التي ينتمي اليها كل من صالح وشبيب ، فيذكر الأشعري : ١٨٢/١ ، وابن الأثير : ٣٩١/٤ ،أن صالحاً كان يرى رأي الصفرية . أما الشهرستاني : ٩٥/١ ، فيقول : ان شبيباً كان يتبع المذهب البيهسي . ويجعل الملطي ، ص ٥١ شبيباً وأصحابه من أتباع فرقة خارجية قائمة بذاتها . والصفرية : هم أتباع زياد بن الأصفر ، وهم يختلفون عن الأزارقة في أمور منها ، انهم لا يرون قتل أطفال ونساء مخالفيهم، ولم يكفروا القعدة عن=

يحثهم على الخروج . «مادري ماذا تنتظرون وحتى متى انتم مقيمون ، هذا الجور قد فشا ، وهذا العدل قد عفا . ولا تزداد هذه الولاة على الناس الا غلوا وعتوا وتباعدا عن الحق وجرأة على الرب ، فأستعدوا وابعثوا الى اخوانكم الذين يريدون انكار الباطل والدعاء الى الحق (١) .. »وعندما التقى شبيب بصالح بن مسرح . اخذ الاول يحثه على الخروج ويقول له « فوالله ماتزداد السنة الا دروسا ولا يزداد المجرمون الا طغيانا (٢) ». وقد اكد رئيس الوفد الذي ارسله شبيب لمفاوضة مطرف بن المغيرة . هذه الاسباب . فذكر انهم يبتغون من ثورتهم الدعوة الى كتاب الله . وسنة نبيه (ص) ، وانهم نقموا على قومهم . الاستئثار بالفي . وتعطيل الحدود والتسلط بالجبرية (٣) .

وفي رواية اخرى : ان شبيبا قرر الخروج على الدولة الاموية . وعلى عبد الملك بصورة خاصة . بسبب منع الاخير لصرف العطاء والارزاق الى شبيب . وذلك عندما قصده في الشام . وقد علل عبد الملك رفضه هذا : ان شبيبا ينتمي الى احياء كثيرة الشر (٤) . وتذكر رواية اخرى انه قال : «اني لا افرض لمن لا اعرفه» فأثرت في نفس شبيب وقال : «سيعرفني عما

=القتال اذا كانوا موافقين في الدين والأعتقاد، الملل والنحل ١٠٢/١ ، الفرق بين الفرق ، ص ٩٠-٩١ ، الاسفرايني ، ص٤١ ، ويرى المبرد : ٢٧٥/٣ : انهم سموا بالصفرية لتأثير العبادة فيهم فأصفرت وجوههم . أما البيهسية : فهم أتباع أبي بيهس الهيصم بن جابر ، وهو أحد بني سعد بن ضبيعة ، ومن آرائه : انه لا يسلم أحد حتى يقر بمعرفة الله تعالى ، ومعرفة رسوله (ص) ، وقد تفرقت هذه الفرقة إلى فرق عديدة . الملل والنحل ٩٣/١-/٩٤ .

(١) الطبري : ٨٨٤/٢ .

(٢) أنساب الأشراف ، ج٦ ، الورقة ٣٩ب ، الطبري : ٨٨٥/٢ .

(٣) الطبري : ٩٨٤/٢ . ويقصد بالجبرية : أن الأفعال جبر ، على أساس أن الثواب والعقاب جبر أيضاً ، أنظر : أحمد أمين ، فجر الاسلام ، ص ٣٥١ .

(٤) أنساب الاشراف ، ج٦ ، الورقة ٤٠أ .

قليل »(١) . وكانت نتيجة ذلك ان خرج هو وصالح بن مسرح في الجزيرة وكان ذلك قبل ان يتوفى بشر بن مروان (٢) . اما عند خليفة ، (٣) والطبري (٤) ، فان خروجهما كان بعد موت بشر ، اي في سنة (٧٦هـ/٦٩٥م) . وعندما غادرا حدود الجزيرة ، ودخلا حدود ولاية العراق عند (الدسكرة) ، (٥) ابتدأ الحجاج فعلا بمقاومتهما ، وقد قتل صالح في نفس السنة (٦) . ولكن شبيبا استطاع ان يهزم جيش الحجاج (٧) ، وقد استمر الاخير في تجهيز الجيوش ، وارسالها لمحاربته الى ان تمكن من القضاء على حركته نهائيا (٨) .

لقد التحق بشبيب ، اضافة الى مؤيديه من الخوارج : كثير ممن يطلب الدنيا : او ممن كان الحجاج يطالبهم بمال . او يلاحقهم لسبب من الاسباب (٩) . ومع هذا فاننا لانستطيع ان نحمل سياسة الحجاج مسؤولية قيام ثورة شبيب ، او غيرها من ثورات الخوارج . دون ان نأخذ بنظر الاعتبار ، فترة الاضطراب السياسي من (٦٤ - ٧٣هـ/٦٨٣ - ٦٩٢م) . وهناك من يقول ان هذه الفترة سوية مع سياسات الحجاج القاسية في العراق كانتا بالتأكيد من بين الاسباب المشجعة للخوارج على تحدي الحكومة

(١) ابن أعثم ، ج ٢ ، الورقة ٩١ أ - ب ، غرر السير ٢٨ ب ، الفرق بين الفرق ، ص ١١١ الأسفرايني ، ص ٥١ .
(٢) انساب الأشراف ، ج ٦ ، الورقة ٣٩ ب ، ٤٠ أ - ب .
(٣) التأريخ : ٢٧٢/١ .
(٤) تأريخ الرسل والملوك : ٨٨٥/٢ .
(٥) الدسكرة في اللغة : الأرض المستوية ، وهي من طساسيج (نواحي) السواد ، تقع في الجانب الشرقي من دجلة : المسالك والممالك ، ص ٦ ، معجم البلدان : ٥٧٥/٢ .
(٦) الطبرى : ٨٩١/٢ .
(٧) نفس المصدر : ٨٩٢/٢ .
(٨) للأطلاع على تفاصيل المعارك ، وتهيئة الحجاج للجيوش ، أنظر : نفس المصدر : ٨٩٦/٢ ، ٨٩٩ ، ٩٠٢ ، ٩٠٧ ، ٩١١ .
(٩) نفس المصدر : ٩٤١/٢ .

المركزية (١) ، اي ان قوة سلطة الحجاج ، ادت الى عنف الثـــــورات الخارجية ، وازدياد تحديها للدولة . وقد يكون هذا صحيحا ، ولكننا عند بحث الاسباب الرئيسة لقيام هذه الثورات ، لانجد للحجاج يدا في اثارتها : خاصة الكبيرة منها ، كثورة الازارقة مثلا ، التي حدثت قبل تعيينه على العراق ، وثورة شبيب التي حدثت خارج حدود ولاية العراق ثم انتقلت اليه .

ان ثورات الخوارج في هذا العهد ، وتحديهم للسلطة ، كان استمرارا لتحديهم للحكومة المركزية قبل الحجاج ، وفي مناطق لاتخضع لحكمه ايضا وذلك ناتج عن سياسة الخوارج المعادية للدولة بصورة عامة . اما الثورات الصغيرة التي حدثت في مناطق متفرقة من العراق ، او في مناطق كانت تتبعه اداريا ، مثل البحرين ، وعمان ، والتي استطاع الحجاج ان يقضي عليها بسهولة (٢) ، فهي ايضا استمرار ، لما يشابهها من الثورات التي حدثت قبل مجيئه للعراق على الولاة السابقين (٣) .

(٣)
أسباب ثورة الزنج

ومن الثورات التي حدثت في عهد الحجاج ، ثورة الزنـــــج (٤) ، وباستثناء «انساب الاشراف» لانجد مصدرا اوليا آخر يذكر هذه الثورة

---

(١) الترجمة العربية ، ص ٢٧٧ Dixon, Op. Cit., P. 169.

(٢) مثل ثورة أبي زياد المرادي بجوخا ، وثورة أبي معبد داود بن النعمان من عبد القيس ، بنواحي البصرة والبحرين ، وثورات الخوارج الأخرى في البحرين وعمان ، أنظر : تاريخ خليفة : ٢٦٩/١ – ٧٠ ، ٢٧٦ – ٧٧ ، أنساب الأشراف ، ج ٦ ، الورقة ٤١ ب – ٤٢ أ ، تأريخ اليعقوبي : ٢٢٨/٢ – ٢٩ .

(٣) ومن هذه الثورات مثلا ، ثورة أبي فديك ، عبد الله بن ثور ، في البحرين ، زمن خالد بن عبد الله : انساب الأشراف ، ج ٦ ، الورقة ٣٧ ب – ٣٨ أ ، الطبري : ٨٢٩/٢ ، وكذلك خروج يزيد بن بعثر ، وهذبة بن عمرو الطائي ، بجوخا في عهد بشر بن مروان : انساب الأشراف ، ج ٦ ، الورقة ٣٩ ب .

(٤) الزنج أو الزنج ، هم العبيد الأفريقيون ، الذين جلبوا من أفريقية الشرقية ، خاصة من أجزائها الساحلية ، نتيجة لتجارة الرقيق : فيصل السامر ، ثورة الزنج ، ص ٢١ – ٢٢ .

بتفصيل كبير . وقد تحدث عنها بعض المؤرخين المتأخرين نسبيا . خاصة ابن الاثير (١) . مستندا الى ماذكره عنها البلاذري . كما ذكر ايضا ان الزنج كانوا قد ثاروا في فرات البصرة . اواخر ايام مصعب ابن الزبير . فأفسدوا . واحتلوا المزارع . وسيطروا على الثمار بالقوة رغم عددهم الضئيل آنذاك (٢) . وعندما اعاد عبد الملك سيطرة الامويين على العراق، ازداد تحرك الزنج ، وانزعج الناس منهم . فجمع لهم خالد بن عبد الله (والي البصرة) . جيشا كثيفا للقضاء على حركتهم . لكنهم تفرقوا . فعاقب بعضهم بالقتل والصلب (٣) .

وفي عهد الحجاج استغل الزنج ظروف الاضطراب التي سادت اثناء انشغاله بالقضاء على ثورة ابن الجارود سنة (٧٦هـ/٦٩٥م) . فنظموا أنفسهم، وتزعمهم رجل يقال له رياح شيرزنجي (اسد الزنج) .فاستطاعوا ان يقهروا جيشا وجهه اليهم زياد بن عمرو العتكي . رئيس شرطة البصرة وخليفة الحجاج بها . وبعد رجوع الحجاج من (رستقاباد) نظم عليهم جيشا آخر .استطاع ان يقتل زعيمهم .ولم يفلت منهم الا القليل (٤).

ان رواية البلاذري لاتقدم سببا للثورة . ولكننا نستطيع ان نعثر على رأي الحجاج فيها . وتفسيره لسببها . فقد خاطب اهل البصرة قائلا : «ياأهل البصرة ان عبيدكم وكساحيكم رأوا معصيتكم فتأسوا بكم(٥)...» وبطبيعة الحال لايمكن قبول مثل هذا التفسير من الحجاج . والا بماذا نعلل ثورتهم قبل الحجاج . وبعده ايضا في (القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي) لكننا في نفس الوقت . نؤكد انه لادخل للحجاج في اثارة هذه

---

(١) الكامل في التأريخ : ٣٨٨/٤ .

(٢) نفس المصدر والمكان .

(٣) انساب الأشراف ، ص ٣٠٤ (اهلورت) ، ويبدوا أن أسم خالد بن عبد الله سقط من الرواية ، أنظر : الكامل في التأريخ : ٣٨٨/٤ .

(٤) انساب الاشراف : ص ٣٠٤-٣٠٦ (اهلورت).

(٥) نفس المصدر ، ص ٣٠٥ .

الثورة . ومن المحتمل ان العوامل الاجتماعية ، والاقتصادية ، هي التي دفعت الزنج للثورة . كما يجب الا ننسى عامل الرغبة في تحسين اوضاعهم والتحرر من العبودية (١) .

ويذكر البلاذري (٢) . ان لفيفا من اهل الكلاّء ، وغيرهم من البيضان قد شاركوا في هذه الثورة ايضا . والكلاّء رصيف ترسو فيه السفن بالبصرة وهو مركز للتجار والباعة وغيرهم . وهذا مما يؤكد العامل الاقتصادي . ومن جهة اخرى . يبدو ان منزلة الزنج الاجتماعية لم تكن حسنة ، ويدل على ذلك قول جرير للأخطل عندما هجا بني تغلب .

لا تطلبنّ خؤولةً في تغلب   فالزّنجُ اكرمُ منهمُ أخوالا

وعلى الرغم من ان معنى هذا البيت يدل على ان الزنج افضل من تغلب ، ولكن يبدو ان هذا التفضيل جاء على سبيل الاستهزاء ، فقد اعتبره الزنج قدحا بهم . فأنبرى احد شعرائهم للرد على جرير ، مظهرا مفاخر الزنج ، وانهم لا يقلون عن غيرهم منزلة وشرفا (٣) ، وهذا يعكس بطبيعة الحال ، آثار الاضطراب وعدم الاستقرار الاجتماعي ، الذي ربما كان احد دوافعهم للثورة .

(٤)

نتائج الثورات واسباب فشلها

(آ) طبيعة الثورات وموقف اهل العراق :

لقد استطاع الحجاج ان يقضي على كل الثورات والحركات المناوئة التي قامت في العراق . وقد ساعده على هذا امران ، الاول : طبيعة الثورات

---

(١) الترجمة العربية ، ص ٢٣٩ Dixon, Op. Cit, p. 148 .

(٢) أنساب الأشراف ، ص ٣٠٥ (اهلورت) .

(٣) نقائض جرير والأخطل ، ص ٨٨ ، الجاحظ ، فخر السودان على البيضان ، ص ٦٤ — ٦٥ انساب الأشراف ، ص ٣٠٤ — ٣٠٥ (اهلورت) ، المبرد : ٢/٢٩٥ .

العراقية ، ومواقف العراقيين انفسهم منها ، والثاني : سياسة الحجاج وطريقته في التعامل مع هذه الثورات ، اضافة الى دعم الخليفة له .

فبالنسبة للامر الاول ، نرى ان هناك امورا عامة شملت معظم هذه الثورات - باستثناء ثورات الخوارج - منها شدة اندفاع اهل العراق الى الثورة في بداية الدعوة اليها ، وفي اول قيامها ، ولكنهم بعد ذلك يتخلون عن حماستهم الشديدة . ويبدو ان هذه الطبيعة ، كانت معروفة عن اهل العراق ، فقد سبق ان ذكرنا : ان المهلب بن ابي صفرة ، كان يدرك هذا الامر ، فكتب للحجاج ، عندما سمع بثورة ابن الاشعث ، ومن معه من اهل العراق . الا يقاومهم ، وان يتركهم حتى يدخلوا البصرة . فأذا رأوا اولادهم ، ونساءهم ، رقت قلوبهم ، وتخلوا عن الثورة (١) . ولقد تحقق فعلا صواب هذه النصيحة ، فبعد دخول الثوار الى البصرة ، تفرق قسم كبير منهم عن ابن الاشعث ، فارسل من ينادي في المدينة : «اين الذين بايعوا بالرخج» ، واخذ يخطب ويتوعد الذين تخلفوا عنه توعدا شديدا (٢) . ومن ذلك ايضا ما قاله ابن الاشعث لاصحابه ، في موقف آخر «... ان المؤمن لايلسع من جحر مرتين ، وقد والله لسعت بكم من جحر ثلاث مرات ... (٣) وقد عبر اعشى همدان ، عن موقف العراقيين هذا ، وعن نقضهم لما كانوا يؤكدونه من العهود والمواثيق

---

(١) انساب الأشراف ، ص ٣٣٦ (اهلورت) ، الطبري : ١٠٥٩/٢ ، ويذكر خليفة في « التأريخ » : ٢٨٠/١ ، والبلاذري في « المصدر السابق » ، ص ٣٤٣ : أن زاذان فروخ كاتب الحجاج ، قد نصحه بهذا أيضاً ، وانظر :

M. Sprengling, "From Persian to Arabic": in The American Journal of Semitic Languages and Literature, Vol. 56. 1939, p. 190.

(٢) تأريخ خليفة : ٢٨٠/١ .

(٣) البيان والتبيين : ١٦(٢ .

بقصيدة طويلة القاها امام الحجاج بعد اسره . مما يدل على عدم ايمانهم بما قاموا من اجله (١) .

ولم يكن الامر يقف عند حد التخلي عن الحماسة . ونقض العهود لكن بعضهم كان ينسحب من صف الثوار نهائيا ، وينحاز الى جانب الحجاج. من ذلك ما قام به بعض اهل العراق من الانضمام الى الحجاج اثناء ثورة ابن الجارود (٢) ، مما ادى الى فشل الثورة . وقد اعترف الحجاج بهذا قائلا ، عن كيفية قضائه على الثورة : «... فضربت بمقبلهم مدبرهم وبمطيعهم عاصيهم (٣)...» ونلمس الامر نفسه في ثورة ابن الاشعث، فقد حاربه الحجاج بأهل الشام ، ومن بقي معه يومئذ على الطاعة من اهل العراق (٤) .

ويمكن ان نعزي سبب هذه الطبيعة الخاصة بالعراقيين ، الى تكوين المجتمع العراقي في ذلك الوقت . وخاصة في الكوفة ، التي كانت مركزا مناسبا للثورة ، لما فيها من اجناس وعناصر مختلفة . كالعرب ، ومعظمهم من نزار واليمن، والفرس ، والسريان، والانباط، والمسيحيين، واليهود (٥).

(١) ديوان الأعشى ، ص ٣٢٠ - ٢١ ، الطبري : ١١١٣/٢ فما بعدها . وهناك أمثلة عديدة وسوابق كثيرة على مثل هذه المواقف لأهل العراق ، منها مثلا : موقف أهل الكوفة من الحسين ابن علي ، ودعوتهم اياه ، ثم خذلانهم له ولأبن عمه مسلم بن عقيل ، أنظر :تأريخ خليفة: ٢٢٦/١، ٢٢٤،مروج الذهب: ٤/٣ فما بعدها ، مقاتل الطالبيين ، ص ٦٨ ، ٧٣ فما بعدها الفخري ، ص ٩٤ . وكذلك فعل أهل العراق بمصعب ابن الزبير ، حيث خذلوه في حربه مع عبد الملك ، نتيجة لمراسلاتهم مع الأخير ، الذي مناهم ، واطمعهم ، مما أدى الى مقتل مصعب لوقوفه وحيداً في المعركة ، أنظر : انساب الأشراف ، ص ٦ - ٧ ، ١٤ (اهلورت) ، الأغاني : ١٦١/١٧ فما بعدها ، تأريخ الخلفاء ، ص ٢٦٠ .

(٢) انساب الأشراف ، ص ٢٨٤ (اهلورت) .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٩٤ .

(٤) الأمامة والسياسة : ٣٣/٢ ، ٣٥ .

(٥) فتوح البلدان : ٣٣٩ - ٤٠ ، ٣٤٣ - ٤٤ ، الملطي ، ص ١٥٦ - ٥٧ ، لسان العرب مادة ، (نبط) ، تاج العروس ، مادة : (نبط) .

وكان العرب انفسهم يختلفون عن بعضهم البعض . فمنهم من كانوا بدوا شديدي البداوة . كبني (دارم من تميم) . او اليمانيين القدماء الذين كانوا مجاورين لهم من قبل (طي) ، ومنهم من كانوا انصاف بدو ، مثل ربيعة (اسد وبكر) ، بينما (عبد القيس) كانوا متأثرين بالفرس ، اما العناصر العربية الجنوبية الذين نزحوا من اليمن وحضرموت فكانوا اكثر حضارة من غيرهم . خاصة (مذحج وحمير وهمدان) (١) . ويضاف الى هذه الاختلافات الحضارية . الاختلاف في العقائد . فالكل مضطرب ، مستاء ، يكره الحكومة ومؤيديها (٢) . فلا عجب ان تكون هذه المنطقة مرتعا خصبا لحركات العناصر المختلفة . المتطلعة دائما الى الثورة (٣) ، ولكنها سرعان ما تتخلى عنها ، وهذا طبيعي : لان اية ثورة لا يمكنها ان تلبي جميع مطالب واهداف هذا المجتمع غير المتجانس من الناس .

ومما لاشك فيه أنه كان للروح العصبية عند القبائل العربية الساكنة في العراق ، أثر كبير في هذا الامر . وهذا أدى الى أنعدام الثقة فيما بينهم . والنص الاتي يوضح هذ الفكرة تماماً : « ومر عباد بن الحصين الحبطي (٤) بابن الجارود والهذيل بن عمران وعبد الله بن حكيم (٥) وهم يتناجون فقال اشركونا في نجواكم فقالوا هيهات أن يدخل في نجوانا أحد من بني الحبط فغضب وصار الى الحجاج في مئة فقال له الحجاج اعلي أم لي فقال لك ايها

(١) ماسنيون ، خطط الكوفة ، ص ١٢ - ١٣ .

(٢) لويس ، اصول الأسماعيلية ، ص ٨٧ - ٨٨ .

(٣) الترجمة العربية ، ص ٧٨ Dixon, Op. Cit., P. 46 .

(٤) عباد بن الحصين الحبطي ، من بني تميم ، ولي شرطة البصرة أيام ابن الزبير ، وبعد ثورة ابن الأشعث فر الى كابل ، حيث قتل هناك : المعارف ، ص ٤١٤ ، الطبري : ٦٨١/٢ .

(٥) عبد الله بن حكيم بن زياد المجاشعي ، أحد الأشراف الذين بايعوا ابن الجارود للثورة على الحجاج ، وقد قتل في هذه الثورة : انساب الأشراف ، ص ٢٨١ ، ٢٩١ (اهلورت) .

الامير فقال الحجاج ما أبالي من تخلف بعدك (١) .» كما أيد القيسيون الحجاج على ابن الجارود تمشيا مع هذه العصبية القبلية (٢) .

(ب) عامل التفكك وعدم وحدة القوى المناهضة للحجاج :

ومن أهم عوامل فشل ثورة شبيب ، وثورة مطرف بن المغيرة ، عدم اتفاقهما (٣) وتوحيد ثورتيهما وجهودها على الحجاج ، رغم اتفاق الاثنين ، أنهما امام عدو مشترك. فكان أن تفرغ الحجاج للقضاء على كل واحد منهما على انفراد . ويظهر أيضاً أن مطرفا لم يكن على استعداد تام للثورة ،بل إنساق اليها رغم انفه ، بعد فشل مفاوضاته مع وفد شبيب، وهكذا اصبحت ثورته ارتجالية ، لم يكتب لها النجاح .

أن عامل التفكك وعدم وحدة القوى المناهضة للحجاج ، كان السبب الاساس في فشل ثورات الخوارج بصورة عامة ، ويرجع هذا الى عدم رغبتهم الاخذ بالحلول التوفيقية ، حتى مع بعضهم البعض ، بسبب تصلبهم في رأيهم، فلم يكونوا كتلة واحدة ، لان الطبيعة البدوية قد أثرت فيهم ، فسرعان ما كانوا يختلفون ، وينضمون تحت الوية مختلفة يضرب بعضهم بعضاً . ولو اتحدوا لكانوا قوة في منتهى الخطورة (٤) ، ولربما كان لهم شأن اخر مع الحجاج ، والدولة الاموية .

(ج) عدم التنظيم ، والتهاون والتردد :

أن عدم التنظيم ، والتهاون والتردد ، عامل أخر سبب اخفاق بعض الثورات العراقية في تحقيق أهدافها . ففي ثورة ابن الجارود مثلا ، نرى أن الامور كانت تسير سيراً مضطربا ، فقد كان من رأي الثوار اولا ،

---

(١) نفس المصدر ، ص ٢٨٧ .

(٢) نفس المصدر والمكان .

(٣) نفس المصدر ، ج ٦ الورقة ٢٤ أ ، الطبرى : ٩٨٦/٢ ، الكامل في التأريخ : ٤٣٤/٤ .

(٤) فجر الأسلام ، ص ٢١٨ ، ادب الخوارج ، ص ٣٦ .

أن يخرجوا الحجاج ولا يقاتلوه (١) ، لكننا نراهم ، لايلتزمون بهذا الرأي . فعندما وصلوا اليه . قام بعضهم بنهب ما في فسطاطه . وأخذ متاعه ودوابه، بل أن بعضهم قام بنهب نسائه أيضاً : ثم انصرفوا بعد ذلك عنه ، وبذلك تركوا له الوقت الكافي لان يعيد تنظيم قوته . وقد نصح ابن الجارود، أن يعاجل الحجاج قبل أن يكثر مناصروه : « تعش بالجدي قبل أن يتغدى بك فأجاب قد قرب المساء ولكننا نعاجله بالغداة» (٢) ، ولكن الغد كان يحمل نهاية الثورة لصالح الحجاج .

ويظهر أثر عدم التنظيم في ثورة ابن الاشعث بصورة خاصة ، فبعد رجوعه من سجستان ووصوله للعراق ، انضمت اليه عناصر عديدة مفككة ، لايجمعها الا كره الحجاج . وكان لكل عنصر من هذه العناصر هدفه الخاص ولهذا نرى أن ابن الاشعث نفسه يفقد السيطرة على الثورة، ويصبح مسيراً بارادة هذا الخليط غير المتجانس من الثوار ، ويظهر ذلك بوضوح في رفضهم طاعة ابن الاشعث ، والموافقة على ماعرضه الخليفة للصلح في دير الجماجم .

لقد كانت شروط الخليفة التي حملها الى أهل العراق ، ابنه عبد الله واخوه محمد بن مروان تتضمن مايلي :

(آ) عزل الحجاج عن العراق .

(ب) المساواة في العطاء بينهم وبين أهل الشام .

(ج) يكون عبد الرحمن بن الاشعث والياً على أي بلد يختاره من العراق ، مدى الحياة ، طالما كان عبد الملك خليفة (٣) .

---

(١) انساب الأشراف ، ص ٢٨٣ (اهلورت) .
(٢) نفس المصدر ، ص ٣٨٣ - ٨٤ (اهلورت) ، الكامل في التأريخ : ٣٨٢/٤ - ٨٣ .
(٣) انساب الأشراف ، جـ ٦ ، الورقة ٢٨ ب ، الطبرى : ١٠٧٣/٢ ، (الواقدى) في« البداية والنهاية » : ٤١/٩ .

ويضيف أبن اعثم (١) الى هذه الشروط : شرطين أخرين :

(آ) رجوع جند الشام من العراق الى ديارهم .

(ب) لايولى عليهم الا من يحبون .

لقد كان من رأي ابن الاشعث . أن عرض الخليفة فرصة يجب انتهازها والموافقة عليها : خاصة وانهم مازالوا اقوياء أعزة ، يقفون امام قوات الخليفة موقف الند للند ، لكنهم اجبروا ابن الاشعث على عدم الموافقة (٢) . وهذا على العكس مما ذكره (بروكلمان) (٣) (C.BrocKelman) و (سيلكسون) (٤) من أن ابن الاشعث ، هو الذي أصر على العصيان ، ولم يقبل عروض الخليفة .

د ــ الأخطاء العسكرية :

ويجب أن لانغفل أثر الاخطاء العسكرية التي حصلت في ثورة ابن الاشعث فلقد كان عباد بن الحصين، محقاً في لومه لابن الاشعث على بعض الاخطاء التي ارتكبها الاخير في بداية الثورة ، فقد كان المفروض أن يبدأ بخراسان ، فيستولي عليها ، فيكون بذلك قد سيطر على شرق الامبراطورية (٥) . وكان اصحابه قد سبق وطلبوا منه ذلك فرفض (٦) . وكان من المفروض ايضاً أن يستقر بالاهواز ، ثم يبعث الى البلاد ، فيستولي عليها ، لا أن يحارب الحجاج في تستر (٧) ، ولا يتعجل في دخول البصرة . ولو عمل بهذا لكان احتفظ بالكثير من اتباعه الذين تخلوا عنه عندما دخل البصرة .

(١) الفتوح ، جـ ٢ ، الورقة ١٠٦ ب .

(٢) أنساب الاشراف ، جـ٦ ، الورقة ٢٨ب ، الطبري : ١٠٧٤/٢-٧٥ ، (الواقدي) في «البداية والنهاية» : ٤٢/٩ ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢٨٦ .

(٣) تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص١٤٥ .

(٤) E.I.1., "Abd-Al-Rahman B. Muammed B. Al-Ashath".

(٥) ابن أعثم ، جـ٢ ، الورقة ١٠٥أ .

(٦) نفس المصدر ، الورقة ١٠٢أ .

(٧) نفس المصدر ، الورقة ١٠٥أ ، ويسميها «دستر» .

ومن اخطائه الاخرى ، انه ترك القتال يوم الزاوية(١) . وتوجه الى الكوفة(٢) وربما اختار ابن الاشعث الكوفة مركزا ثانيا بعد البصرة ، لأنها مدينته وفيها قبيلته واصدقاؤه الذين يعتمد عليهم في التأييد(٣)، ولكن مع ذلك فقد كان ماقام به ابن الاشعث ، هزيمة في رأي البلاذري(٤). لأن ترك ميدان القتال بصورة فجائية ، دفع الحجاج الى استغلال هذه الفرصة . فنادى اصحابه في الناس «... علام تقاتلون وقد ترك صاحبكم القتال ومضى فدخلوا في الأمان وتفرقوا...»(٥) لقد اصبح موقف الحجاج بعد هذا قويا : فقد ارسل اليه الخليفة امدادات كثيرة ، بقيادة ابنه عبدالله . وأخيه محمد بن مروان(٦). كان لها الأثر الواضح في رجحان كفة الحجاج في المعارك التالية بدير الجماجم.

هـ ــ موقف الحجاج الحازم وثباته وسرعته في العمل .

ان عوامل الضعف هذه التي توفرت في الثورات العراقية ، قابلها من الجهة الاخرى ، حزم وتنظيم ، وسرعة في العمل ، من قبل الحجاج ، يضاف

---

(١) الزاوية : المنطقة الشمالية الشرقية من البصرة التي فيها قصر أنس ونهر ابن عمر ، وموضعها معروف اليوم ، انظر : معجم البلدان : ٩١١/٢، «خطط البصرة» ، ص ٢٩٠ .
وقد حدثت في هذا المكان ، المعركة الثانية بين ابن الأشعث والحجاج ، وكان ذلك في أوائل سنة (٨٢هـ/٧٠١م) . وعندما تخلى ابن الأشعث عن القتال ، وتوجه إلى الكوفة، استمر أنصاره على المقاومة ، بقيادة عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، ولكنهم لم يثبتوا ، إلا بضعة أيام ، توجهوا بعدها إلى الكوفة : تاريخ خليفة ٢٨١/١ ، ٢٨٤ ، أنساب الأشراف ، ص ٣٤٤ فما بعدها (أهلورت) ، تاريخ اليعقوبي : ٣٣٢/٢ ، الطبري : ١٠٦٣/٢ فما بعدها .

(٢) تاريخ خليفة : ٢٨١/١ ، أنساب الاشراف ، ص ٣٤٨ (أهلورت) ، تاريخ اليعقوبي ، ٣٣٢/٢ ، الطبري : ١٠٦٤/٢ ، ابن أعثم ، جـ٢ ، الورقة ١٠٥ب ، التنبيه والأشراف ص٢٧١ .

(٣) الترجمة العربية ، ص٢٥٠ Dixon Op Cit.,p.159.

(٤) أنساب الاشراف ، ص٣٤٨ (أهلورت) .

(٥) نفس المصدر ، ص٣٤٩ .

(٦) نفس المصدر ، جـ٦ ، الورقة ٢٨ب ، الطبري : ١٠٧٣/٢ ، ابن أعثم ، جـ٢، الورقة ١٠٦ب .

الى ذلك تصميمه على الثبات . فعندما كان اهل العراق مشغولين بالتكتل مع ابن الجارود ، قام الحجاج باجراءات سريعة ، منها ، الفصل بين اهل البصرة وأهل الكوفة ، وحراسة الطرق ، واحراز بيت المال(١) . ويظهر ايضاً موقفه الدقيق ، وسرعته في العمل ، من معالجته لثورة مطرف بن المغيرة ، وكيف انه استطاع ان يقضي عليها بسهولة ، وذلك بواسطة التنسيق المنظم بين قواته وقوات عامليه في الري واصبهان (٢).

استعمل الحجاج في حربه مع اعدائه طرقاً كفيلة بالنصر وكسب الحرب منها : انه استخدم العيون والجواسيس(٣)، كما استخدم الطرق النفسية ،في حربه مع جيش ابن الاشعث بدير الجماجم (٤). واستخدم الشرطة ، اضافة الى الجنود في حربه مع شبيب بن يزيد(٥) . وعندما كان يعتقد ان المناداة بالامانتنفع في تشتيت الاعداء ، لم يكن يتردد في المناداة بها(٦) . ومع هذا فان هناك من المحدثين من يلوم الحجاج في عدم نجاحه بالقضاء على ثورة شبيب بسرعة(٧). ولكننا يجب ان لاننسى ، ان شبيباً كان يحارب الحجاج حرب العصابات ، بقوات صغيرة كان من الصعب التغلب عليها ، لتنقلها السريع من مكانالى آخر(٨). يضاف الى ذلك ان شبيبا كان على علاقة طيبة بسكان الأقاليم التي كان يتنقل فيها(٩) . ولا يمكننا ان نهمل في هذا المجال عدم تعاون العراقيين . بصورة مخلصة مع الحجاج . في سبيل القضاء على

(١) انساب الاشراف ، ص٢٨١ (اهلورت) .
(٢) نفس المصدر ، ج٦ ، الورقة ٣٤أ ، الطبري : ٩٩٤/٢ فما بعدها .
(٣) الجليس الصالح ، الورقة ١٠٤أ–ب .
(٤) الامامة والسياسة : ٣٦/٢–٣٧ .
(٥) تاريخ ابن خلدون ،م٣، قسم٢ ص٣٣٦ .
(٦) الطبري : ٩٦٩/٢
(٧) الريس ، «عبد الملك بن مروان» ، ص٢٤٠ .
(٨) الترجمة العربية ، ص٢٩٣ Dixon, Op. Cit., P. 185 .
(٩) الطبري : ٩٣٤/٢ ، الخوارج والشيعة ، ص ١٢٦–٢٧ ، دائرة المعارف الاسلامية، مادة : (شبيب بن يزيد) .

ثورة شبيب خاصة، والخوارج بصورة عامة(١)، علماً انهم كانوا يعترفون أن الخوارج ليسوا بشيء اذا اجتمع عليهم اهل المصرين(٢) .

لقد تميزت هذه الثورات بالعنف والقوة ، وبخاصة ثورة ابن الأشعث. فقد شغلت عبدالملك عن النوم(٣)، وامتنع في اثنائها عن النساء(٤)، بل شغلته حتى عن تولية رجل على الحج(٥). وكانت حروبها شديدة ، وقاسية ، وبخاصة حرب الجماجم(٦) ، ومع هذا فقد كان الحجاج مصمما على الثبات في هذه المعارك ، ولم يفكر بالفرار ابدا ، واضعا نصب عينيه موقف مصعب بن الزبير الذي فضل الموت على الفرار(٧)، وكان هذا موقفه ايضا عندما جوبه بثورة ابن الجارود في (رستقاباذ) (٨)، ولقد كان لثباته هذا ، مع ماتلقاه من دعم الخليفة ، واستخدام جند الشام ، الأثر الواضح في انتصاراته التي سجلها على معظم هذه الثورات .

انتهت ثورة ابن الأشعث سنة (٨٣هـ/٧٠٢م) وكانت هذه آخر الثورات التي قامت على الحجاج في العراق ، وبعدها تفرغ لاستكمال ماكان قد بدأ به من الاصلاحات الادارية ، والتوجه لسياسة الفتوحات في الشرق .

---

(١) الطبري : ٩٤٥/٢ ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ، ص١٠٩.
(٢) أنساب الأشراف ، ص٢٢٩ (أهلورت) .
(٣) ابن أعثم ، ج٢ ، الورقة١٠٣ب .
(٤) التاج في اخلاق الملوك ، ص١٧٥ ، المبرد ، ٢٧٤/١ ، العيون والحدائق ، ص٢٤٧-٤٨ .
(٥) الأغاني : ١٠٤/٣ ، ١٠٧ .
(٦) طبقات ابن سعد : ١٩٤/٦ ، أنساب الأشراف ، ج١١ ، الورقة ٣٧ب ، بحشل ص٢١٩ .
(٧) الطبري : ١٠٦٤/٢ ، الأغاني : ١٦٦/١٧ .
(٨) انساب الأشراف ، ص ٢٨٤ - ٨٥ (اهلورت) .

وتختلف الروايات بخصوص معاملة الحجاج للعراقيين بعد هذه الثورات فيذكر المدائني(١) مثلا ، رواية تقول : ان الحجاج حرم اهل العراق اعطياتهم بسبب تأييدهم لابن الاشعث ، وقد كتب اليه عبدالملك ، يعارضه في ذلك، ولكننا نجد في نفس الوقت رواية اخرى للبلاذري(٢) ، ينعكس فيها هذا الأمر ، فالخليفة هو الذي امر بمنع العطاء عن اهل العراق لمدة سنتين والحجاج يكتب اليه ، ان يسمح له باعطائهم حقوقهم فيقول : « وان لهم في هذا الفيء حقا ونصيبا واني اخاف ان حبسناه عنهم(*) ان ينصروا علينا فان رأى امير المؤمنين أن يأمر لهم بحقوقهم فليفعل ... » فوافقه عبد الملك على ذلك، فصرف لهم الحجاج عطاءين للسنة الاولى والثانية. وفي الطبري(٣) ، مايؤيد قيام الحجاج بتوزيع العطاء على اهل العراق بعد معركة دير الجماجم مباشرة ، وهذا يجعلنا لانميل الى رواية المدائني الاولى ، ولانأخذ بها .

---

(١) في « انساب الأشراف » ج ٦ ، الورقة ٣٢ أ ، وأنظر : نفس المصدر ، ص ١٩٣ (اهلوت) ففيه مايشابه هذه الرواية أيضاً .

(٢) انساب الأشراف ، ج ٦ ، الورقة ٣٠ ب .

(*) وردت خطأ (عليهم) ولا يستقيم بها المعنى .

(٣) تأريخ الرسل والملوك : ٢٥٢٦/٣ .



الفصل الرابع

التنظيم الأداري

١ ــ المناصب الادارية واستخدام الموظفين .
٢ ــ تنظيم الجند .
٣ ــ ضبط الأمن .
٤ ــ تعريب الدواوين .
٥ ــ التنظيمات الثقافية والأجتماعية والصحية والأعمال الادارية الأخرى .
٦ــ بناء مدينة واسط .

(١) المناصب الادارية واستخدام الموظفين

ان هذا الفصل قد لايعطي الشكل الكامل للامور الادارية التي يتناولها البحث ولكنه يمثل تصويراً للوضع الاداري في حدود الأخبار والمعلومات المقتضبة، التي وردت عنه في كتب التاريخ والأدب .

أ ـ العمال :

لقد اضطر الحجاج ، بحكم سعة المناطق التي تولاها ، الى تعيين ولاة ينوبون عنه في حكم الأقاليم المتعددة الملحقة بالولاية . وكانت الثقة والاعتقاد بكفاءة الرجال ، هي الأساس في اختيارهم لشغل هذه المناصب (١). اما القرابة ، والعصبية ، فلم يكن لهما اثر في هذا التعيين ، وكان الحجاج على مستوى رجل الدولة ، لأنه كان يعين « على غير قرابة ولاداله ولا وسيلة(٢) » وكان ينصح عماله بعدم قبول الهدايا ، لأن صاحب الهدية ، لايرضى بعشر امثالها . كما كان يوصيهم بالحزم في معاملة الناس(٣) . ومع ذلك ، فقد كان يأخذ بنظر الاعتبار ، موقف سكان المناطق من الولاة الذين يحكمونهم ، ويستمع الى شكواهم على الولاة ويحاسبهم على ذلك اذا اتضح له صدق الشكوى المقدمة له (٤)، ولم يكن يتهاون معهم اذا قصروا بحق المحكومين، أو أساؤا اليهم، او اذا اخروا الخراج عن موعده المحدد (٥) . ويبدو انه كان لبعض الولاة صلاحيات واسعة ، تشمل ، تعيين وعزل العمال في المناطق التي تتبعهم(٦). ولكن الحجاج كان يراقب هذه التعيينات وكثيرا ماكان يبدي

(١) الترجمة العربية ، ص ١٧٥ Dixon, Op. Cit., P. 116 .

(٢) رسائل الجاحظ ، (تحقيق السندوبي) ، ص ١٥٦ .

(٣) محاضرات الأدباء : ١/٨٢ .

(٤) الجليس الصالح ، الورقة ٨٨ أ ، ديوان الفرزدق : ١/١٦٨ .

(٥) البصائر والذخائر ، م ٢ ، قسم ٢ ، ص ٧٥٩ — ٦٠ ؛ المافروخي ، محاسن اصفهان ، ص ٧ .

(٦) البخلاء ، ص ١٥١ — ٥٢ .

رأيه فيها ، فكان مثلا ، يؤنب الحكم بن ايوب الثقفي(١)، عامله على البصرة لعزله بعض العمال ، لاسباب لاتستوجب العزل(٢) ، كما انّبه ايضاً لأنه ولى اعرابياً جلفا على احدى المناطق(٣) . ولم يقتصر تدخل الحجاج في تعيين العمال وعزلهم حسب ، انما كان يراقب من يشغل بقية المناصب الحساسة الاخرى في الولايات . فعندما شعر بعدم كفاءة ولياقة رئيس شرطة قتيبة ابن مسلم في خراسان ، أمره ان يعزله، ويستبدل به غيره(٤). وفي احيان اخرى، كان الحجاج هو الذي يولي ويعزل صاحب الشرطة في المدن ، لذلك لم يكن باستطاعة العامل عزل صاحب الشرطة الذي يوليه الحجاج ، بل كل مايفعله، هو ان يشكوه اليه ان عمل مايستوجب ذلك(٥) وعلى الرغم من هذه المراقبة الشديدة ، من قبل الحجاج ، فاننا نجد بين عماله من كان يتعاطى الرشوه كالمغيرة بن عبيد الله الثقفي(٦)، الذي كان يقضي بين الناس ايضا ، فارتشى مرة ، بسراج وبغلة(٧). ولكن الحجاج لم يكن يتسامح مع المرتشين ، كما كان يعاقب الولاة الذين يستسيغون الخيانه ، او يجمعون الأموال بصورة غير مشروعة ، من ذلك مثلا ، انه ولى احدهم ولاية، وكان علي بن ابي طالب قد قطع اصابعه لخيانة ظهرت منه ، فقال له الحجاج : « والله لئن بلغتني

---

(١) الحكم بن ايوب الثقفي ، ابن عم الحجاج ، وزوج أخته ، ولاه البصرة أكثر من مرة ، قتل على يد صالح بن عبد الرحمن ، مع جماعة من آل الحجاج في العذاب بأمر سليمان بن عبد الملك : الطبرى : ٨٧٢/٢ ، ٩٧٢ – ٧٣ ، تهذيب ابن عساكر : ٣٨٩/٤ – ٩٢ .

(٢) انساب الأشراف ، ج ١١ ، الورقة ٤٠ أ (الورقة ٦١٨ ب اسطمبول) ، وفي « الأغاني» ٢٧/٦ ، ان الحجاج احتج على عامله في البصرة لتوليته اعرابياً « جافياً » على شرطته .

(٣) انساب الأشراف ، ج ١١ ، الورقة ٤٠ ب .

(٤) النويري : ٤٧/٦ .

(٥) البخلاء ، ص ١٤٩ .

(٦) اسمه في المصدر السابق ، ص ١٤٨ ، المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل الثقفي ، وكان يشتهر بالبخل ، ولاه الحجاج على الكوفة سنة (٧٨ هـ / ٦٩٧ م) ، أنظر : الطبرى : ١٠٣٢/٢ .

(٧) عيون الأخبار : ٥٢/١ .

عنك خيانة لاقطعن مابقى علي من يدك (١)» ، كما انه عزل احد عماله على البحرين ، وحبسه ، واغرمه اربعين الف درهم ، كان قد اختانها أثناء ولايته(٢). ولم يكن الحجاج يلتفت الى اهمية العامل او الوالي ، ولا درجة قرابته منه ، او من الخليفة . فقد حاول عند اول قدومه البصرة ، ان يحبس خالد بن عبدالله ، ويحاسبه ، لكن عبد الملك امره الا يتعرض له فتركه(٣). كما انه طالب المهلب بن ابي صفرة بمليون درهم عن خراج الأهواز ، التي كان قد ولاها اياه خالد بن عبدالله (٤) ، يضاف الى ذلك انه حبس مالك بن اسماء بن خارجة الفزاري ، مرتين وناله بكل مكروه ، وذلك بسبب خيانة ظهرت منه عند ولايته لاصبهان . وقد سأل مالك اباه ، في التوسط له عند الحجاج ، فرفض لعلمه بموقف الأمير المتصلب من قضايا الخيانة والشفاعات(٥). وقام الحجاج بعزل يزيد بن المهلب بن أبي صفرة عن ولاية خراسان، كما طالبه بستة ملايين درهم ، وحبسه هو واخوته(٦) .

لقد حاول بعض المؤرخين القدامى ، والمحدثين ، ان يصوروا عزل يزيد ابن المهلب ، وتغريمه ، بصور شتى ، لاتمت الى السبب الحقيقي بصلة(٧) .

---

(١) الأشتقاق ، ص ٢٧٢ .

(٢) معجم الشعراء ، ص ٣٩٤ ، وانظر : ابن الجوزي ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ١٥٩ ففيه أيضاً ، ان الحجاج أغرم أحد عماله على الكوفة ، لنفس السبب .

(٣) انساب الأشراف ، ١٥٩/٤ .

(٤) الطبرى : ١٠٣٤/٢ .

(٥) الأغاني : ٤٠/١٦ – ٤١ .

(٦) وكانت هذه الأموال ، هي ماتبقى عليه من خراج خراسان ، لهذا عندما هرب يزيد بن المهلب الى سليمان بن عبد الملك ، كتب الحجاج الى الوليد الأول يقول : « ياأمير المؤمنين ان آل المهلب خانوا مال الله ، ولحقوا بسليمان » انظر : المحبر ، ص ١٩١ ، الأخبار الموفقيات ص ٤٩٧ ، تأريخ اليعقوبي : ٣٤٤/٢ ، الطبرى : ١٢١٣/٢ ، ابن اعثم ، ج ٢ ، الورقة ١٣٠ أ – ب .

(٧) أنظر : رواية المدائني في « الطبرى » : ١١٣٨/٢ – ٣٩ ، « اسماء المغتالين من الأشراف ص ١٧٨ ، أبو النصر ، ص ١٨٤ ، الزهيري ، ص١٧٩.

ولكن واقع الأمر يختلف عن ذلك تماما؛ لأن طبيعة ادارة الدولة، اخذت تتطلب بعض التعديلات في مناصب ولاة القسم الشرقي من الدولة الأموية ، خاصة بعد تولي الوليد بن عبد الملك ، وكان القصد منها ، اضعاف الولاة ، وعدم فسح المجال لهم لأن يستقلوا في اماراتهم ، أي لتقوية سلطة الدولة(١) . ولقد رأى الحجاج من يزيد ماثبت له ان الأخير لم يكن ينظر الى مصلحة الدولة ، فعندما ارسل اليه الاسرى من جيش ابن الاشعث ، اطلق كثيرا من اهل اليمن ، وبعث بالمضرية الى الحجاج(٢) . ولقد كان من الواضح بالنسبة الى الحجاج ان الشيء الأساسي عنده هو توحيد العرب ثانية ، وهذا مستحيل طالما كان يزيد في الحكم(٣) . يضاف الى ذلك ، ان سياسة الحجاج كانت ترمي الى جعل حكامه يعتمدون عليه ، لهذا فقط اعتبر وجود يزيد في خراسان في غير صالح الدولة فعزله . ومما يدل على سلامة اجراءآت الحجاج مع يزيد ، ان عمر بن عبد العزيز ، طالب يزيد بن المهلب بالاضافة الى الأموال التي كتب بها الى سليمان في خراسان ، بما بقي عليه من المال الذي طالبه به الحجاج (٤).

يتضح لنا مما سبق ، اهمية توفر عامل الكفاءة ، والنزاهة ، وخدمة المصلحة العامة ؛ فيمن يتولى ادارة الأقاليم التابعة للعراق في عهد الحجاج . ولهذا فان حقيقة كون الحجاج لايتسامح مع الرشوة ، ويعاقب على جمع الثروات بصورة غير مشروعة ، كل ذلك جعله مكروها تماما من قبل موظفي الخدمة المدنية، التي كان يشيع فيها هذان الأمران(٥) .

---

(١) S.Miles, The Countries and Tribes of the Persian Gulf,P.55.

(٢) تأريخ خليفة ٢٨٤/١ ، الطبري : ١١١٩/٢ ، ١١٢١ .

(٣) H. Gibb, The Arab Conquests in Gentral Asia, P. 27 .

(٤) تأريخ الخلفاء ، ص ٢٧١ .

(٥) E.I.,2 "Al-Hadjdjadj B Yusuf ".

ب ـ الشرطة :

وكان للشرطة اهمية واضحة في هذا العهد ، وتظهر تلك الأهمية من الصفات التي يطلب الحجاج توفرها في صاحب الشرطة ، فقد كان يريده ، دائم العبوس ، طويل الجلوس ، امينا لايفكر بالخيانة ، ولايهتم الا بالحق ، يهون عليه رد شفاعات الاشراف(١)، كما كان يريده ، شديدا على اهل الريب والدعارة(٢). ومما يدل على اهتمام الأمير بهذا المنصب ايضا ، رغبته الجدية في توفير الجو الملائم لصاحب الشرطة في العمل. فقد امر بناء على طلب عبد الرحمن ابن عبيد(٣) ، صاحب شرطته ، ان ينادي في الناس : ان طلب الشفاعة الى صاحب الشرطة ، غير مسموح به ، خاصة من اولاد الأمير واهله وحاشيته ، ومن فعل ذلك منهم ، فقد برئت منه الذمة(٤) .

وقبل بناء واسط ، كان الحجاج يعين رجلا على شرطة الكوفة : فان رأى منه كفاءة ، ضم اليه شرطة البصرة ايضاً ، كما فعل بعبد الرحمن بن عبيد (٥). وفي هذه الحالة ، كان صاحب الشرطة ، يقضي فصل الصيف في الكوفة ، وفصل الشتاء في البصرة (٦) . وكان صاحب الشرطة ، هو الذي يعين نائبه

---

(١) عيون الأخبار : ١٦/١ ، ابن أعثم ، ج ٢ ، الورقة ٩٨ ب ، العقد الفريد : ١٩/٥ ، زهر الاداب وثمر الالباب : ١٤٢/٤ ، تأريخ الخلفاء ، ص ٢١٩ .

(٢) انساب الأشراف ، ج ١١ ، الورقة ٤١ ب .

(٣) عبد الرحمن بن عبيد بن طارق العبشمي ، كان على شرطة الحجاج ، ولاه شرطة الكوفة والبصرة جمهرة النسب ، الورقة ٨٤ أ ، أنساب الأشراف ، ج ١١ ، الورقة ٤١ ب ، واسمه في « عيون الأخبار » ١٦/١ ، (عبد الرحمن بن عبيد التميمي) ، وفي « تأريخ خليفة » : ٣١٢/١ ، وعند « ابن اعثم » ، ج ٢ ، الورقة ٩٨ ب ، (عبد الرحمن بن عبيد السعدي)

(٤) عيون الأخبار : ١٦/١ ، ابن اعثم ، ج ٢ ، الورقة ٩٨ ب ، العقد الفريد : ١٩/٥ ، زهر الاداب : ١٤٢/٤ ، تأريخ الخلفاء ، ص ٢١٩ .

(٥) جمهرة النسب ، الورقة ٨٤ أ ، تأريخ خليفة : ٣١٢/١ ، عيون الأخبار : ١٦/١ .

(٦) ابن اعثم ، ج ٢ ، الورقة ٩٨ ب .

عنه عندما يغادر احد المصرين الىالمصر الآخر (١). وبعد بناء واسط ابتدأ الحجاج باستخدام أهل الشام لتولي منصب رئيس الشرطة فيها ، فقدكان على شرطته بواسط ، اربعة من اهل الشام : موسى بن وجيه الحميري ، ومهاجر بن سحيم الطائي وعكرمة بن الأوصافي حميري ، وابو علاقة السكسكي ،ثم قفل ابو علاقة الى الشام وولى سفيان بن سليم الازدي . وقد ورد مايدل على ان اكثر منشخص واحد كان يشغل هذا المنصب في نفس الوقت ، فيروي خليفة (٢) : ان سفيان بن الأبرد (٣) ، ورجلا آخر ، كلاهما كانا على حربته في واسط ،ولكني لم اجد مايؤيد او يشابه هذا الخبر في المصادرالتاريخيةالاخرى .

لم يكن لبعض العمال في الأمصار سلطة فعلية على رئيس الشرطة هناك ، لأن الحجاج ، هو الذي كان يعين ويعزل صاحب شرطتها . ولم يكن باستطاعة العامل عزل صاحب الشرطة الذي يوليه الأمير . اما العلاقات بين العامل ، وصاحب الشرطة ، فلم تكن ودية دائما ، بل كثيراً ماتتدخل فيها العوامل الشخصية ، فيعرض احدهما بالآخر امام جمهور الناس ، الذين كانوا يدركون طبيعة تلك العلاقات(٤). ويبدو ان لرضا الناس وموافقتهم على تصرفات صاحب الشرطة ، اثرا في بقائه في منصبه ، فعندما شكا أهل ميسان(٥) صاحب الشرطة . الذي كان عاملهم في نفس الوقت، امر الحجاج بحبسه(٦) .

لقد كان المفروض فيمن يتولى الشرطة ، ان يسير في موكب الأمير مع الشرطة والوجوه . لهذا كان عليه ان يحافظ على لياقته العامة ومنظره ، وهيبته

(١) تأريخ خليفة : ٣١٢/١ ، ابن اعثم ، ج ٢ ، الورقة ٩٨ ب – ٩٩ أ .

(٢) التأريخ : ٣١٢/١ .

(٣) سفيان بن الأبرد الكلبي أحد قواد الشام الذين ساهموا في حرب شبيب الخارجي ، انظر الطبري : ٩٤٣/٢ ، ٩٥٤ ، ٩٥٦ – ٥٧ ، ٩٧٣ – ٧٤ .

(٤) البخلاء ، ص ١٤٩ .

(٥) ميسان : ناحية بين البصرة وواسط : معجم البلدان : ٧١٤/٤ .

(٦) ديوان الفرزدق : ١٦٨/١ .

بين الناس، لأن الحجاج لم يكن يتهاون في هذه الامور (١). ولذلك يمكن القول بوجه عام ، ان الشرطة في ذلك العهد ، كانت اداة فعالة في ضبط الأمن والنظام وكان لصاحبها بما يتخذه من اجراءات قوية (٢)، هيبة كبيرة في نفوس الناس ، جعلتهم يبتعدون عن الجرائم وتعكير الأمن ، وربما اقام صاحب الشرطة اربعين ليلة لايؤتى له بأحد يعاقبه(٣).

ولا نعلم بالضبط عدد افراد الشرطة في ذلك العهد ، ولكننا نرجح ، ان عددهم ربما زاد على اربعة آلاف شرطي ، وهو العدد الذي كانت عليه الشرطة في ايام زياد بن ابي سفيان(٤) . ومما يدل على ذلك استخدامهم في الحروب اضافة الى اعمال الأمن الداخلي ، فقد ارسل الحجاج الفا من الشرطة (٥) اضافة الى الجنود لمحاربة شبيب الخارجي كما ذكرنا ذلك سابقا .

(ج) القضاة :

وبالنسبة للقضاة في هذا العهد ، فقد كان يجري اختيارهم حسب الكفاءة والمقدرة بغض النظر عن الاعتبارات الاخرى وكان القاضي المثالي في نظر الحجاج هو الذي يتصف بالحلم ، ولايداخله الطمع بالاموال (٦) . لذلك عندما استقر رأيه على اختيار سعيد بن جبير لقضاء الكوفة ، لم يلتفت الى آراء بعض من كان يدعي بعدم صلاحية غير العرب للقضاء ، فعين ابا بردة بن ابي موسى الاشعري(٧) بصورة رسمية ، لكنه اوجب عليه الا يقطع

---

(١) رسائل الجاحظ ، كتاب البغال : (تحقيق عبد السلام هارون) : ٢/٢٩٥ ، ٢٩٩ .
(٢) عيون الأخبار : ١/١٦ ، ابن اعثم ، ج ٢ ، الورقة ٩٨ ب ، العقد الفريد : ٥/١٩ .
(٣) عيون الأخبار : ١/١٦ ، العقد الفريد : ٥/١٩ .
(٤) الطبرى : ٢/٧٧ .
(٥) تأريخ ابن خلدون ، م ٣ ، قسم ٢ ، ص ٣٣٦ .
(٦) محاضرات الأدباء : ١/٩٥ .
(٧) اسمه عامر بن عبد الله بن قيس ، ولي قضاء الكوفة بعد شريح بن الحارث ، توفي بالكوفة سنة (١٠٣ أو ١٠٤ هـ / ٧٢١ أو ٧٢٢ م) : طبقات بن سعد : ٦/١٨٧ ، طبقات خليفة ص ١٥٨ ، اخبار القضاة : ٢/٤٠٨ فما بعدها .

امرا دون سعيد بن جبير(١) . ومما يدل على اهتمام الحجاج بتولية الرجل المناسب للقضاء ، هو عدم موافقته على اعفاء شريح بن الحارث(٢) من هذا المنصب، عندما طلب اليه ذلك بسبب كبر سنه ن فشرط عليه مقابل هذه الموافقة ، ان يشير عليه برجل يصلح لهذا المنصب الحساس(٣).

وفي الأمصار التي كان عليها ولاة من قبل الحجاج ، كان العامل ، أو الوالي يعين القضاة ويعزلهم دون الرجوع الى الأمير ، ويمكن ملاحظة هذا الأمر بصورة خاصة في البصرة ، عندما كان عليها الحكم بن ايوب الثقفي(٤). ويحتمل ان يكون لقرابة الحكم من الأمير ؛ او لسلطته الواسعة اثر في ذلك، ولكننا نجد في نفس الوقت قيام الحجاج بتعيين احد القضاة على البصرة ، بعد فتنة ابن الاشعث(٥) ، ولعل هذا قد حصل نتيجة للأوضاع غير الطبيعية التي اعقبت تلك الثورة .

واضافة الى القضاة من اهل العراق ، كان للحجاج على واسط ، وعلى الكوفة ايضاً قضاة من اهل الشام(٦)،ولكنه كان يراقب قضاته دون استثناء ويلاحظ تصرفاتهم ويعلق عليها ، من ذلك مثلا انه قال لاحدهم : « انت اكثر كلاما من الخصم » فأجابه القاضي : « لأني اكلم الخصم والشاهدين(٧)» وكان الحجاج لايرى بأسا في استشارة من هو اعلم منه ومن القاضي ، في حل

(١) المبرد : ٩٦/٢ ،اخبار القضاة : ٤٠٨،٣٩٢/٢ .
(٢) شريح بن الحارث بن قيس الكندي ، ولاه عمر بن الخطاب على قضاء الكوفة واستمر في عمله بأستثناء فترة قصيرة — الى عهد الحجاج ، توفي في السنوات الأولى من حكم الحجاج ، طبقات ابن سعد : ٩٠/٦ — ٩٩ ، تأريخ خليفة : ١٢٩/١ ، المعارف ، ص ٤٣٣ ، أخبار القضاة : ١٨٩/٢ فما بعدها .
(٣) عيون الأخبار : ٦٢/١ ، محاضرات الأدباء : ٩٥/١ .
(٤) أخبار القضاة : ٣٠٣/١ .
(٥) نفس المصدر : ٣٠٤/١ .
(٦) البصائر والذخائر ، م ٤ ، ص ٨٩ ، تأريخ مدينة دمشق : ٣٥٢/١ .
(٧) أخبار القضاة : ٣٠٦/١ .

بعض القضايا التي يصعب ابداء الرأي فيها ، فكان مثلا يكتب الى عبد الملك ابن مروان ، يسأله عن التصرف في قضية ميراث فلما جاءه الرد ، أمر القاضي ان ينظر فيها استنادا الى فتوى الخليفة(١).

(د) استخدام الموالي :

وفي مجال استخدام الموالي في الوظائف ، ينسب الى الحجاج بصورة خاصة، والأمويين عامة ، انهم اقصوا الموالي عن المناصب العامة ، وذكر العديد من المستشرقين امثال (كريمر) (٢) و (فان فلوتن) (٣) و (سايكس) (٤) (Sykes) ان الحجاج اتخذ تجاه الموالي اجراءات شديدة قاسية ، وعمل على على عدم مساواتهم بالعرب ، وانه عمد الى اقصاء غير المسلمين والمسلمين من غير العرب عن المناصب العامة(٥) ، وفضل العرب عليهم ، ويرى احمد امين (٦) ، ان الحجاج ، كان «ينفذ هذه السياسة في شدة ودقة». غير انه يبدو لنا ان تشويه بعض الاجراءات التي كان يأمر بها ، وتفسيرها بما يخالف المقصود منها ، كان يحصل حتى في عهد الحجاج نفسه ، من ذلك مثلا : انه أمر بعدم امامة الموالي الذين لايحسنون القراءاة في الصلاة ، فاستغل هذا الأمر ، واسيء فهمه ، وطبقه الناس متعمدين على كثير من الموالي الاكفاء (٧). وعندما سمع الحجاج بهذا ، امر مناديه ، فنادى في الناس : « اننا لم نرد القراء انما اردنا كل مولى لايحسن القراءة»(٨) ، وكما يظهر ، فان الفرق شاسع بين الأمرين.

---

(١) نفس المصدر : ٣٠٥/١ .
(٢) الحضارة الأسلامية ، ص ٨٨ .
(٣) السيادة العربية ، ص ٤١ – ٤٢ .
A History of Persia, Vol. I, P. 556 .
(٤) سيد أمير علي ، ص ١٨٢ .
(٥) ضحى الأسلام : ٢٥/١ .
(٦) انساب الأشراف ، ج ١١ ، الورقة ٣٨ ب ، العقد الفريد : ٢٣٣/٢ – ٣٤ .
(٧) انساب الأشراف ، ج ١١ ، الورقة ٣٨ ب (الورقة ٦١١ ب . اسطمبول) .

وسوف لن نتعرض الى المناقشات الطويلة التي اثيرت بشأن الموالي في العصر الأموي عامة ن وفي عهد الحجاج خاصة(١)، ولكننا سنذكر فقط بعض الأمثلة التي تدل على استخدام الحجاج للموالي وغيرهم في مختلف وظائف الدولة. وهذا الأمر بحد ذاته يبين لنا ان ماقيل وكتب عن معاملة الحجاج السيئة للموالي ، او عن تمييزه بينهم وبين العرب في المناصب ماهو الا محض اتهام باطل :

الموظفون من الموالي والمجوس في عهد الحجاج	الوظيفة
وهزاذ بن يزداد الأنباري(٢)	ولاية اصبهان
عبدالله بن هرمز (٣)	ديوان الجند
سعيد بن جبير(٤)	القضاء وعلى عطاء الجند
زاذان فروخ(٥)	ديوان الخراج
مرد انشاه بن زاذان فروخ(٦)	ديوان الخراج
صالح بن عبدالرحمن(٧)	ديوان الخراج
داذويه (المقفع) بن المبارك(٨)	على خراج فارس

(١) أنظر : « مقدمة في تأريخ صدر الأسلام » ص ٨٦ – ٨٧ » الخلافة والدولة في العصر الأموي ص ٢٨٣ ، « الخراج في الدولة الأسلامية » ص ٢٥٢ فما بعدها ،« الأمويون والبيزنطيون» ص ٢٩٨ – ٩٩ .

(٢) الأصبهاني ، ذكر أخبار اصبهان : ٣٦/١ – ٣٧ ، البصائر والذخائر ، م ٢ ، قسم ٢ ص ٧٥٩ ، واسمه « وهرام بن يزداد » ، محاسن اصفهان ص ٩ – ٧ .

(٣) وهو من موالي آل ابي سفيان بن حرب ، ثم ولي ولده من بعده ، انساب الأشراف : ١٢٣/٤

(٤) المحبر ، ص ٣٧٨ ، الطبرى : ١٢٦١/٢ ، الكامل في التأريخ : ٥٧٩/٤ .

(٥) تأريخ خليفة : ٣١٣/١ ، فتوح البلدان : ٤٨٥/٢ ، الوزراء والكتاب ، ص ٣٨ .

(٦) انساب الأشراف ، ص ٣٥٢ (اهلورت) .

(٧) فتوح البلدان : ص ٤٨٥ ، الوزراء والكتاب ، ص ٣٨ .

(٨) وهو والد عبد الله بن المقفع الكاتب المشهور بالبلاغة : الفهرست ، ص ١١٨ ، وفيات الأعيان : ١٥٥/٢ ، البداية والنهاية : ٩٦/١٠ ، ويسميه (داروية) .

مكرم (مولى الحجاج)(١)	قيادة حملة عسكرية
ابو السكن(٢)	على حربته في واسط
يزيد بن ابي مسلم(٣)	ديوان الرسائل
حسان النبطي (٤)	كاتب الحجاج
عدد كبير من الموظفين والمستخدمين الأعاجم والموالي(٥)	في ديوان الخراج

(٢) تنظيم الجند

في مقدمة المهام التي كان على الحجاج تنفيذها في العراق ، أعادة تنظيم ديوان الجند ، فقد امره الخليفة عبد الملك بن مروان، أن يعرض الناس ويعيد تنظيم عطائهم حسب الكفاءة والمقدرة (٦) . فطلب أن يعرض عليه العرفاء (٧) السابقون . فلما رآهم أبدى عدم اقتناعه في قدرة هؤلاء

(١) معجم البلدان : ٦٧٦/٣ ، وفيات الأعيان : ١٥٥/١ .

(٢) وهو مولى خشين حي من قضاعة من حمير : تأريخ خليفة ٣١٢/١ – ١٣ .

(٣) وهو مولى الحجاج وكاتبه : نفس المصدر : ٣١٣/١ ، الوزراء والكتاب ، ص٤٢ .

(٤) وهو مولى بني ضبة ، وهو صاحب حوض حسان بالبصرة ، وتنسب اليه منارة وقناة حسان بالبطائح ، وقرية حسان بواسط ، وهو من أهل الذمة الذين اسلموا : العقد الفريد: ١٧٠/٤ ، فتوح البلدان : ٣٥٩/٢ ، الوزراء والكتاب ، ص ٦١–٦٢.

(٥) Sprengling, From Persian to Arabic, P. 196.

(٦) الأكليل : ١٥٢/١٠ .

(٧) جمع عريف ، وهو : رئيس الفصيلة الحربية ، ورئيس القسم في المدينة : «الخوارج والشيعة» ، ص ١٦٢ ، وقد عرفه «البلوي» : ٢٧٦/١ : انه القيم بامر القوم ، وهو النقيب ، وهو دون الرئيس . والراجح أن وظيفة العرافة وجدت في الأمصار منذ عهد عمر ، وهناك اشارة إلى وجودها في عهد علي . وقد اعيد تنظيم هذه الوظيفة في زمن زياد . وكان للعريف مهام كثيرة منها : انه المسؤول عن تقسيم العطاء بين قومه ، كما كان له علاقة قوية مع افراد عرافته ، وقد يتوفى عنهم ، او يتوكل بارزاقهم اذا خرجوا او سافروا لأمر ما . وكان العرفاء مسؤولين عن جمع الجند عند النفير ، كما كانوا مسؤولين=

على القيام بمهامهم على الوجه الصحيح ، لذلك امر بأقالتهم جميعاً .

ثم جمع القبائل (١) ، واختار منهم من رآه لائقاً للعمل عريفا ، او منكبا (٢) ، على القبائل . ويحدثنا الشعبي عن الطريقة التي اتبعها الحجاج في اختياره هذا ، فكان من جملة الامور التي يجب أن تتوفر فيمن يختاره لهذه الوظيفة : قراءته للقرآن ، ومعرفته باللغة العربية ، والشعر ، والحساب ، والفرائض ، ومغازي رسول الله (ص) (٣) .

= عن جلب البراءات بموافاتهم إلى مراكز البعوث التي ينتمون اليها . وكان المفروض بالعريف في عهد الحجاج ، أن يأتي بالمتهمين من قبيلته ، لأنه كان مسؤولا عن الأمن في عرافته ، فكان عليه أن يعرف بما يجري فيها ، ويستعد لاخبار الحجاج بذلك . وقد ورد ما يدل على مشاركة العرفاء في الحملات العسكرية ، وفي قيام بعضهم بجمع أموال الصدقة . ويمكن القول بصورة عامة ، ان العرفاء كانوا حلقة الوصل بين الناس والحكومة ، وكان تعيين العرفاء من حق الأمير وحده : ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص٥٤ ، الأموال ، ص ٤٤–٤٥، طبقات ابن سعد : ٦/٦٢–٦٣ ، ١٣٥ ، عيون الأخبار : ٤٤/٢ ، الطبري : ٢٤٩٦/١ ، ٨٦٦/٢ ، ٨٧٠ ، ٩٠٢ ، ١٤٦٩ ، تاريخ الموصل ، ص٢٣ الأغاني : ١٧٩/٢ ، ٢٥/٦ ، ٧٩/١٠ ، الكامل في التاريخ : ٣٧٧/٤ ، ٤١٥–٤١٦، التنظيمات الأجتماعية والأقتصادية في البصرة ، ص٩٨ ، ١٠٠ .

(١) الجليس الصالح ، الورقة ١٨أ ، تهذيب ابن عساكر : ١٤٩/٧ .

(٢) ان المعلومات المتوفرة عن هذا المنصب قليلة ، وهنالك من يرى أنه أقل أهمية من العريف ، وفي «الأوائل» ص ٢٤٣ ، ان المناكب فوق العرفاء ، وذلك استناداً إلى قول زياد بن أبي سفيان : «العرفاء كالأيدي والمناكب فوقها» . ومما يؤيد أن وظيفة المنكب اشمل من العريف ، تعيين الشعبي من قبل الحجاج «عريفاً على الشعبيين ، ومنكباً على جميع همدان» : الجليس الصالح ، الورقة ١٨أ ، تهذيب ابن عساكر : ١٤٩/٧ ، وورد عند ابن عبد الحكم ، «سيرة عمر بن عبد العزيز» ص٥٤ ، مايدل على أن المناكب كانوا مسؤولين مع العرفاء ، عن توزيع مايقسمه الخليفة على الأمصار ، وانظر : التنظيمات الأجتماعية والأقتصادية في البصرة ، ص ١٠١ –١٠٢ .

(٣) الجليس الصالح ، الورقة ١٨أ ، تهذيب ابن عساكر : ١٤٩/٧ .

ويعتبر جرجي زيدان (١) ، أن الحجاج ، كان اول من ادخل التجنيد الالزامي في عهد عبد الملك ، ولكنه يشرح ذلك على ضوء وظيفة الحجاج عندما تقلد امر عسكر الخليفة ، قبل توجهه لحرب مصعب بن الزبير في العراق . ولكن جهود الحجاج الحقيقية في تجنيد البعوث ، تظهر بصورة اوضح عندما تولى العراق ، وعمل على ارسال الجند الى المهلب بن أبي صفرة ، ثم عندما قام بتنفيذ الفتوحات في الجبهة الشرقية .

أن فرض البعوث ، وتجنيد الجنود ، وما يتعلق بها من انظمة والتزامات كل ذلك ، كان موجوداً ومعروفاً قبل الحجاج ، ولكن الحجاج طبق هذه الانظمة بصورة حازمة الامر الذي جعله يبرز في هذا الميدان . فقد كان لايسمح لاحد من الناس أن يتخلف عن البعث ، الا أن يكون مشغولا بعمل من اعمال الخليفة (٢) . يضاف الى ذلك أنه كان يجند المحتلمين والبالغين من الصبيان ، ويفرض عليهم البعث عند اللزوم (٣) . كما كان يسمح لولاته في أخذ من شاءوا من أهل الامصار ، لتجهيزهم وارسالهم للفتوحات في الشرق (٤) .

لقد كان الحجاج حريصاً على التنظيم الكامل لجنوده في العراق ، فكان لايخلط خيل الشام مع خيل العراق (٥) . كما كان يهتم بتفتيش الجند ومحاسبتهم على السلاح والقيافة الكاملة ، لذلك كان يكثر من استعراض الجند بنفسه ، خاصة قبل ارسالهم الى القتال ، فيسأل عن رجل رجل ، ويتعرف إلى هوياتهم فمن رضي به أقره في بعثه (٦) . وكان يرفض كسوة الجندي وفرسه ،

---

(١) تاريخ التمدن الاسلامي : ١/١٦٢-٦٣ .

(٢) ابن اعثم ، ج ٢ ، الورقة ٩٨ أ .

(٣) عيون الأخبار : ١/٢٧٤ ، الأغاني : ٢/١٥٠ .

(٤) المبرد : ٢/٨٧ ، المرصفي ، رغبة الامل من كتاب الكامل : ٤/٢٤٠-٤١ .

(٥) البيان والتبيين : ٢/١٤١ .

(٦) الأكليل : ١٠/٧٣ - ٧٤ ، الأغاني : ١٣/٤١ .

اذا رآهما لايتفقان مع ما يأخذه من عطاء كثير (١) . واذا ما رأى مخالفا أو رجلا لاسلاح عليه، كان لايتهاون معه ، خاصة اذا كان من أهل الشام ، فيأمر بضربه مئة سوط (٢) . وكان يشتد في معاملة جنوده ، حتى أنه حاسب أحدهم عن الخيول التي عقرت تحته اثناء القتال مع ابن الاشعث ، فأحتسبها من عطائه (٣) .

ويتضح من النص الذي ذكره ابو عبيدة (٤) (ت٢٠٩هـ/٨٢٤م) : ان العطاء الذي كان يفرضه الحجاج لغالبية الجند ، هو ثلاثمئة درهم (في السنة) ، ولكنه كان يطلب نظير ذلك : ان تكون عدة الجندي كاملـة . ويبدو ان هذا المبلغ لم يكن يفي بذلك ، لهذا فقد كان الجند يشكون مـن صعوبة التوفيق بين هذا العطاء ، وبين ما يطلبه الحجاج من عدة وســلاح ، لكنه كان يزيد من عطاء الجندي اذا ما أبلى في الحرب (٥) .

ومن جهة اخرى ، كان الحجاج كريما مع جنوده ، خاصة الشاميين منهم ، يداريهم ويتودد اليهم : ويحضر جنازة من يموت منهم ؛ ويصلي عليه (٦) . وكان ينفق عليهم بسخاء . فقد فرق على قواده مئة وخمسين مليون درهم بعد هزيمة جيشه في (تستر) امام ابن الاشعث (٧) . وكـــان

---

(١) ابن الكلبي ، انساب الخيل ، ص ١٨ - ١٩ .

(٢) انساب الأشراف ، ج ١١ ، الورقة ٤٢ أ (الورقة ٦٢٣ ب . اسطمبول) .

(٣) الأغاني : ٣٦/٩ .

(٤) في « انساب الأشراف » ، ص ٢٧٣ (اهلورت) .

(٥) عيون الأخبار : ٢١١/٢ .

(٦) عيون الأخبار : ٥٠/٢ ، الأغاني : ٣٥/٢ - ٣٦ ، جمع الجواهر في الملح والنوادر ، ص ٨٤ .

(٧) الطبري : ١٠٦٢/٢ ، الكامل في التأريخ : ٤٦٥/٤ ، البداية والنهاية : ٣٧/٩ ، وفي تاريخ الخلفاء ، ص ٢٨٣ ، ان المبلغ كان خمسين مليوناً من الدراهم ، ولكننا نشك في هذا الرقم ، وفي الرقم الذي ذكره الطبري أيضاً ، لضخامة المبلغين .

عطاء الجند الشامي في العراق مئة درهم لكل واحد منهم في الشهر (١) .

(٣) ضبط الأمن

لما كان الامير ممثلا للخليفة ، فلم يكن مجرد حاكم بين الناس ، بل كانت له سلطة عليا ، وكان بمقدوره ان يصدر الاوامر ، ويتمتع بسلطات تشريعية ملزمة للمجتمع كله (٢) . ولهذا فقد كان للاوامر التي يقوم باصدارها ، والاجراءات التي يأمر بتنفيذها ، قوة القانون الذي يجب على الناس اطاعته واحترامه . وفي هذا العهد ، كانت الاجراءات التي تؤدي الى تحقيق الامن خاصة ، قد نالت اهتماما كبيرا من قبل الحجاج ، فحاول جهده ان يوفر سلامة اموال المواطنين وارواحهم ، وان يوفر الامان للمسافرين ، ويمنع قطاع الطرق من ممارسة نشاطهم في هذا المجال . فكان اضافة الى تخويفه لهم بالعقاب المستمر ، يجعل اهل المنطقة مسؤولين بالتضامن عما يصيب القوافل التي تمر بأراضيهم (٣) . وكان من نتائج ذلك ان ساد الامن واطمأن الحجاج والقوافل التجارية . وفي هذا يقول الشاعر جرير مخاطبا الحجاج :

ولقد كسرت سنان كل منافق ولقد منعت حقائب الحجاج (٤)

وخشية وقوع الاضطرابات ، او الاخلال بالامن في المدن ، كان يأمر بمنع التجول ليلا . وللتأكد من سلامة تنفيذ اوامره ، كان يكلف حاجبه الخاص ، ان يخرج بنفسه الى الطريق ، ويرى مدى التزام الناس بالامر وان يأتيه بمن يجده في الطريق ، وكان المخالف ينال نصيبه من العفو او العقاب حسب مايقرره الامير (٥) .

---

(١) الطبري : ١١٣٤/٢—٣٥

(٢) التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ، ص ٩٤ .

(٣) البيان والتبيين : ٣٧٤/١ ، العقد الفريد : ٥١/١ .

(٤) ديوان جرير ، م ١ ، ج ١ ، ص ١٣٩ .

(٥) المحاسن والأضداد ، ص ٣٤ ، المحاسن والمساوئ : ١٦٥/٢ .

وفي الاقاليم كان يأمر بصلب من يكسر الخراج ، ويعبث بالامن من الدهاقين (١) . وكان الحكم بن ايوب الثقفي (عامل البصرة) ، يطلب من المشتبه بكونهم خارجين على الدولة . ان يأتوه بكفيل (٢) . لكنني لم اعثر على حالات اخرى مؤيدة او مشابهة لهذا الخبر ولعل من المرجح ، ان الحجاج وبقية عماله الاخرين . كانوا يفعلون ذلك . وفي واسط اتخذ الحجاج اجراءات عديدة . هدفها الحفاظ على امن المدينة وسلامتها ، فمنع الغرباء من الدخول اليها (٣) . وفي مجال محاسبة موظفي وجباة الخراج خاصة ، او ممن كانوا مطلوبين الى الدولة بأموال ، كانت تتبع اساليب عنيفة لاجبارهم على الاقرار بالاموال التي عليهم ، وكان يشرف على هذا العمل موظف خاص يدعى (صاحب العذاب) (٤) . ويبدو ان عيون الامير ، وجواسيسه كانوا منتشرين في المدن ، والاسواق ، لهذا فقد كان يعلم بسرعة عما يدور هناك من حوادث (٥) .

وبالنسبة الى الهاربين ، والخارجين على القانون ، كان الحجاج يلح في طلبهم اينما ساروا ورحلوا ، حتى ولو تخطوا حدود ولايته ، وكان يحظى بالكثير منهم ، فيعاقبهم ، او يعفو عنهم حسب ماارتكبوه من ذنوب (٦).

(١) انساب الأشراف ، ج ١١ ، الورقة ٤٢ أ .

(٢) البصائر والذخائر ، م ٣ ، قسم ٢ ، ص ٥٤١ .

(٣) انظر ص ١٧٥—١٥٨ من هذا البحث .

(٤) جمهرة النسب ، الورقة ٨٤ ب ، ١١٥ ب ، انساب الأشراف ، ج ١١ ، الورقة ٤٠ ب المبرد : ٣٠٤/١ ، العقد الفريد : ٢٩/٥ ، التنوخي ، نشوار المحاضرة : ١٣٦/١ ، الجليس الصالح ، الورقة ٦٢ ب ، جمهرة انساب العرب ، ص ٢٠٦ .

(٥) انساب الأشراف ، ج ١١ ، الورقة ٤٠ ب (الورقة ٦٢٢ ب . اسطمبول) ، المبرد : ٣٠٤/١ ، نشوار المحاضرة : ١٣٦/١ ، الجليس الصالح ، الورقة ٦٢ ب .

(٦) طبقات ابن سعد : ١٩٩/٦ ، الشعر والشعراء : ٣٢٥/١ — ٢٦ ، ادب الكاتب ، ص ٣٧٦ ، انساب الاشراف ، ج ١١ ، الورقة ٣٧ أ ، المبرد : ٩٩/٢ ، الأغاني : ٢٧/٦ ١٢/٢٠ — ١٣ ، العقد الفريد : ٣٢٤/٥ ، كتاب الأشباه والنظائر ، للخالديين : ٤١/٢ — ٤٢ ، ٤٣ .

وان تحول احد المطلوبين الى الشام ، سارع الحجاج الى اعلام الخليفة بذلك ، مع ارسال الاوصاف الكاملة للشخص المطلوب (١) . ولقد كان من حق بعض الهاربين ، ان يخافوا من احتمال القاء القبض عليهم ، لان الامير كان يتبع اساليب عديدة في تعقبهم منها ، انه كان يحلف اصدقاءهم ومعارفهم ليعترفوا باماكنهم (٢) . ولقد سئل احد المطلوبين اين كنت حين طلبك الحجاج ؟ فقال : بحيث يقول الشاعر :

عوى الذّئبُ فأستأنستُ بالذئبِ اذ عَسوى
وصوّتَ انسانٌ فكدتُ أطيـــرُ (٣)

ومن الذين حاسبهم الحجاج وطاردهم ، احد زعماء النصارى ، وهو (الجاثليق) (٤) ، يوحنا الابرص ، الذي تغلب واخذ منصبه بغير حق ، ولكن عبد الملك وافق على تعيينه على كرسي المدائن . فطالبه الحجاج بما كان قد ضمنه وتعهده للخليفة من التزامات ، وحبسه مع جماعة من الاساقفة ، لكنه هرب الى قرية من سواد الكوفة وتوفي بها ، ونتيجة لذلك ، فقد منع الحجاج من تنصيب (جاثليق) اخر على كرسي المدائن لمدة عشرين سنة (٥) .

---

(١) الأغاني : ١٤٧/١٦ .

(٢) الشيباني ، المخارج في الحيل ، ص ٧ السرخسي ، كتاب المبسوط : ٢١٤/٣٠ .

(٣) مروج الذهب : ١٠٩/٣ - ١١٠ ، وفيات الأعيان : ٣٩/٢ .

(٤) الجاثليق : مرتبة لرجال الدين النصارى وجاثليق العراق ، يعتبر ممثلا لبطريق كرسي انطاكية مفاتيح العلوم ، ص ٧٨ .

(٥) ماري بن سليمان ، ص ٦٣ فما بعدها ، عمر بن متي ، ص ٦٠ ، ويذكر ان كرسي المدائن بقي خاليا مدة اربعة عشر سنة فقط ، ترتون ، ٨٢ .

واشتهر سجن (الديماس) (١) بواسط ، كأحد السجون التي استخدمها الحجاج في هذا العهد . وتنقل الروايات (٢) الكثير من الاخبار عن صفات هذا السجن ، وعدد المسجونين فيه . ومن الصعوبة بمكان تصديق اغلب هذه الروايات ، بسبب استحالة، وتناقض ماتذكره عن عدد المسجونين ، ووضعهم فيه (٣) . ولقد استخدم الحجاج بطبيعة الحال سجونا اخرى عندما كان في الكوفة والبصرة، ولكن معلوماتنا قليلة عن هذه السجون ، فلا نعرف منها الا واحدا في البصرة يسمى (قصر المسيرين) ، استخدمه الحجاج سجنا لحبس النساء خاصة ، وكان قصرا في جوف قصر (٤) .

ويبدو ان زيارات اقارب واصحاب المسجونين ، كان مسموحا بها في عهد الحجاج (٥) . كما كان يقوم هو ايضا بزيارات وجولات تفتيشية للسجون : يسأل فيها كل مسجون عن جريمته ، وسبب حبسه ، فيأمر باطلاق سراح من سجن خطأ ، او لم يقم بأرتكاب جريمة ما (٦) . ويظهر ان ولاة الحجاج كانوا يرسلون بعض المتهمين الى واسط ، ليسجنوا في الديماس (٧) ، ولا شك في ان هذه الحالة كانت تطبق على المتهمين الخطرين فقط .

---

(١) الديماس : او الديماس ، بمعنى الكن ، اي مخدرا ، لم شمساً ولا ريحا وقيل هو السرب المظلم . والديماس سجن الحجاج بواسط ،سمي به على التشبيه : معجم البلدان : ٧١٢/٢، لسان العرب ، مادة ؛ (دمس) .

(٢) طبقات ابن سعد : ١٩٩/٦ ، انساب الاشراف ، جـ ١١ ، الورقة ٤٠ ب ، معجم البلدان ٧١٢/٢ ، سرح العيون ، ص ١٨٠ .

(٣) انظر الفصل السادس ، ص ٢١٠ ٢١١ من هذا البحث .

(٤) فتوح البلدان : ص ٤٣٦ ، انساب الاشراف ، جـ ٦ ، الورقة ٣٣ أ ، جـ ١١ الورقة ٤١

(٥) محاضرات الادباء : ٨٥/٢ .

(٦) سرح العيون : ، ص ١٨١ .

(٧) انساب الاشراف ، الورقة ٦١٤ أ(اسطمبول) ، تهذيب ابن عساكر ٣٩٢/٤ .

لقد كان الحجاج حريصا على الاطلاع بنفسه على مظالم الناس . فكان يجلس في واسط . للنظر في اصحاب المظالم (١) . كما كان يوجد لــه يوم خاص ، يجلس فيه للعامة: ويدخل عليه كل من اراد ذلك منهم(٢) . وفي الايام الاخرى ، كان يأذن للناس بالدخول عليه بعد العشاء (٣) . وعندما تحول الى واسط ، اذن للناس في كل يوم مرتين (٤) . يضاف الى ذلك انه كان يخرج في بعض الليالي متنكرا لتفقد احوال الناس ، وكان لا يتحرج في جولاته هذه من الاكل والشرب عند الناس البسطاء (٥) .

وعلى الرغم من حرص الحجاج الشديد على ضبط الامن ، والادارة القوية ، فاننا نعثر على ما يشير الى ان بعض اسرار الدولة كان من الممكن ان تتسرب وتنتشر بين الناس . فقد كتب اليه عبد الملك يعاتبه ، اثر تفشي احد الاسرار التي كان قد بعث بها اليه ، وقد اظهر التحقيق الذي قام به الحجاج ،ان احدى جواريه اطلعت على كتاب الخليفة . فباحت بمــــا فيه (٦) . وعلى الرغم من سلبية هذا الخبر ، لكنه يلقي الضوء ، على حزم الحجاج وادارته ، وكيف انه استطاع ان يحدد مصدر انتشار الخبـــر . ويعرف نقطة الضعف التي اتي منهـــا .

(١) الاغاني : ١٨/٢٠ .
(٢) طبقات ابن سعد : ١٧٣/٦ .
(٣) نفس المصدر ، ج ٧ ، قسم ١ ، ص ١٥٧ .
(٤) انساب الاشراف ، ج ١١ ، الورقة ٣٨ أ .
(٥) محاضرات الادباء : ١٢٠/٢ .
(٦) الجاحظ ، ثلاث رسائل ، (تحقيق يوشع فنكل) ، ص ٦١ ، وذكر الوشاء في " كتاب الموشى " ، ٣٨/١ : ان الحجاج هو الذي اخبر احد خاصته بالسر ، فباح به .

(٤) تعريب الدواوين

كان الديوان (١) في عهد عمر بن الخطاب «يعني السجل الذي يحوي اسماء المقاتلة واهليهم ومقدار اعطياتهم وارزاقهم، اي ديوان الجند. وحين تعددت الدواوين صار معناه السجل بصورة عامة ، وصار اخيرا يطلق على المكان الذي يحفظ فيه السجل (٢) »

ويعد الخليفة عمر بن الخطاب . اول من وضع ديوان الجند(٣) ، ومنح العطاء واقامه على اسس منظمة . وقبل عهده . كان ابو بكر الصديق عندما يقسم الأموال . يعطي الناس بالتساوي ولا يرى التفضيل (٤) . ويبدو ان رغبة الخليفة عمر في أن تكون هناك اسس منظمة ، وثابتة في توزيع الاموال ومنح الاعطيات ، هي التي دفعته إلى الاخذ بفكرة عمل الديوان .

ويرى معظم الفقهاء والمؤرخين القدامى ،ان مجيء أبي هريرة (ت٥٩هـ ٦٧٨م) باموال كثيرة من البحرين ، كان هو العامل المسبب لتدوين الدواوين (٥) . فقد فكر الخليفة في الكيفية التي يوزع بها هذه الأموال لكثرتها . فخطب في الناس قائلا : « ايها الناس انه قد جاء مال كثير فان شئتم ان نكيل لكم كلنا ، وان شئتم ان نعد لكم عددنا . وان شئتم ان نزن لكل وزنّا لكم» .

---

(١) كلمة ديوان في الاصل ، كانت تطلق على الكتبة ، ثم تحول المعنى إلى محل جلوسهم وعملهم، فأصبح يطلق عليه اسم الديوان : عيون الاخبار : ١/٥٠ ، الصوفي ، ص ١٨٧ ، الاحكام السلطانية ، ص ١٩٩ ، مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٤٣ ، بارتولد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٦٦ .

(٢) الدوري ، النظم الاسلامية ، ص ١٩٤ .

(٣) العثمانية ، ص ٩٤ ، الطبري : ١/٢٧٥٠ - ٥١، الوزراء والكتاب ، ص ١٦ ، التنبيه والاشراف ، ص ٢٥٠ .

(٤) أبو يوسف ، ص ٤٢ ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٠٠ .

(٥) إستعمل ابا هريرة على البحرين واليمامة سنة (٢٠هـ/٦٤٠م) . وبقي في منصبه إلى سنة (٢٢هـ/ ٦٤٢م) : الطبري : ١/٢٥٩٤ ، ٢٦٤٧ ، ٢٦٩٣ ، ولهذا فيكون قدومه بالاموال ، ومن ثم شروع الخليفة عمر بتدوين الدواوين قد تم بعد سنة (٢٠هـ / ٦٤٠م).

فاقترح احد الحاضرين على الخليفة ان يدون الدواوين (١). وقد قيل ان الذي اشار على عمر بالديوان ، كان الوليد بن هشام بن المغيرة (٢). لانه رأى ملوك الشام يفعلون ذلك (٣). وهناك من يذكر اسم خالد بن الوليد (ت ٢١هـ/ ٦٤١م) بدلا من الوليد بن هشام. (٤) ومهما يكن من أمر فان تعدد الأسماء والاشخاص يدل على ان الخليفة عمر بذل جهودا عظيمة ، واستشار عدداً كبيراً من الناس ، لأجل ان يصل إلى الاجراء الذي يحقق مصلحة الأمة، ويتلاءم مع الشريعة الاسلامية . وكان من كبار الصحابة الذين استشارهم عمر : علي ، الذي قال له : «تقسم كل سنة ما اجتمع اليك من مال فلا تمسك منه شيئاً » اما عثمان بن عفان فقد كان له رأي آخر ، حيث قال : « أرى مالا كثيراً يسع الناس وان لم يحصوا حتى تعرف من اخذ ممن لم يأخذ خشيت ان ينتشر الأمر » (٥) . وقد قارن عمر بين هذه الاراء جميعاً، ثم قرر ان يأخذ بنظام الديوان ، وذلك بسبب ميله للسياسة المركزية وإلى تهيئة مورد ثابت للدولة (٦). ثم امر بكتابة الناس على منازلهم فكتبوا له . وهكذا ظهر اول ديوان في الدولة الأسلامية ، وهو ديوان العطاء أو الجند : وكان يتألف من سجل باسماء المسلمين الذين يستحقون العطاء والمقاتلين ، ومقدار

(١) ابويوسف ، ص ٤٥ ، وانظر : طبقات ابن سعد ، ج ٣ ، قسم ١ ، ص ٢١٦ ، فتوح البلدان : ص ٥٥٤ – ٥٥، الوزراء والكتاب ، ص ١٦ – ١٧، الاحكام السلطانية ، ص ١١٩ .

(٢) لم اعثر على اسم الوليد مع ابناء هشام بن المغيرة المخزومي ، ولعل الرجل المقصود هو : هشام بن الوليد بن المغيرة ، الذي اسلم يوم الفتح ، (انظر : المعارف ، ص ٧٠ ، جمهرة انساب العرب ، ص ١٤٤ – ١٤٥، ١٤٧ .

(٣) طبقات ابن سعد : ج ٣ ، قسم ١ ، ص ٢١٢ ، فتوح البلدان : ص ٥٤٩ ، الطبري: ٢٧٥٠/١ .

(٤) الاحكام السلطانية ، ص ٢٠٠ ، مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٤٤.

(٥) طبقات ابن سعد ، ج ٣ ، قسم ١ ، ص ٢١٢ ، فتوح البلدان : ص ٥٤٩ ، الطبري : ٢٧٥٠/١ ، الاحكام السلطانية ، ص ١٩٩ – ٢٠٠ .

(٦) الدوري ، النظم الاسلامية ، ص ١٨٨ .

اعطياتهم ، ورتب العطاء على وفق أسس معينة ، يأتي في مقدمتها أنسبق والبلاء في الاسلام (١).

لقد حاولت بعض الروايات ، ان ترجع الفضل في عمل الديوان الى الفرس ، ومن ذلك ماذكره ابن طباطبا (٢) (ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م) من ان احد (مرازبة) (٣) الفرس هو الذي نصح الخليفة بهذا ، وكذلك ماأورده الجهشياري (٤) (ت ٣٣١هـ/٩٤٢م) من ان اسم صاحب الاقتراح هو (الفيرزان)او (الهرمزان) (٥)حسبما يذكره الماوردي(٦)،وابن خلدون (٧). ولكن ابا يوسف (٨) ، وابن سعد (٩) (ت٢٣٠هـ/٨٤٥م) ، والبلاذري (١٠) ، والطبري (١١) ، لم يذكر اي واحد منهم لا (الهرمزان)

(١) عن تفصيلات منح العطاء في عهد عمر أنظر : ابويوسف ، ص ٤٣ فما بعدها ، الاموال، ص ٢٢٤ فما بعدها ، طبقات ابن سعد ، ج ٣ ، قسم ١ ص ٢١٢ – ١٦ ، العثمانية ، ص ٢١١ – ١٣ ، فتوح البلدان : ص ٥٤٨ فما بعدها ، الطبري : ٢٤١٢/١ فما بعدها، الاحكام السلطانية ، ص ٢٠١ .

(٢) الفخري ، ص ٦٨ .

(٣) المرازبة : جمع المرزبان ، وهم ماوراء الملوك ، اي حكام الثغور وحماة الحدود و(مرزهو) الحد بالفارسية ، ومرزبان هو صاحب الحد : الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، ص ٧٠ ، المعجم الذهبي ، مادة (مرزبان) .

(٤) الوزراء والكتاب ، ص ١٧ ، وانظر ايضا : الصولي ، ص ١٩٠ ، Sprengling, "From Persian to Arabic" P. 178

(٥) الهرمزان من كبار رجال الفرس ، حارب المسلمين اثناء فتح العراق ، ثم اسر ، وارسل إلى عمر بالمدينة ، فعفا عنه . وقد اسلم وسمي (عرفطة) ، وفرض له الخليفة في الفين من العطاء . اتهم بقتل عمر هو وفيروز المعروف بأبي لؤلؤة وجفنة ، ولما طعن عمر قتل الهرمزان : طبقات ابن سعد : ٦٤/٥ – ٦٥ ، المعارف ص ١٨٧ ، الطبري : ٢٥٣٤/١ ، ٢٥٥٦ فما بعدها .

(٦) الاحكام السلطانية ، ص ١٩٩ .

(٧) المقدمة ، ص ٢٤٤.

(٨) الخراج ، ص ٤٥ .

(٩) الطبقات الكبرى ، ج ٣ ، قسم ١ ، ص ٢١٢ فما بعدها .

(١٠) فتوح البلدان : ص ٥٤٩ فما بعدها .

(١١) تاريخ الرسل والملوك : ١ /٢٧٥٠ .

ولا غيره من الفرس ، وهذا مايجعلنا نميل الى اعتبار معظم الروايات التي ترجع الفضل في انشاء الديوان الى الفرس ، على انها روايات مفتعلة من وضع الشعوبية (١) .

وهناك اختلاف في التاريخ الذي دونت فيه الدواوين ، فيذكر الطبري (٢)، ان سنة (١٥هـ/٦٣٦م) هي السنة التي دونت فيها الدواوين ، بينما يذكر ابن سعد (٣) ، والبلاذري (٤) ، ان ذلك كان في سنة (٢٠هـ/٦٤٠م) ، ولكن المرجح ، ان توزيع العطاء ، وتدوين الدواوين ، كان بعد هذا التاريخ ، لان قدوم ابي هريرة من البحرين بالاموال كان بعد سنة (٢٠هـ/٦٤٠م) (٥) ، يضاف الى هذا ان هناك رواية اخرى تؤيد ان فرض العطاء وتدوين الدواوين كان بعد انتهاء الفتوحات في العراق والشام ، ومجيء الاموال منهما (٦) . وذلك نتيجة لتنظيم خراج السواد خاصة على يدي عثمان بن حنيف (٧) وحذيفة بن اليمان (٨) . والذي بلغ اكثر من

(١) انظر : " الخراج في الدولة الاسلامية " ص ١٣٤ (الحاشية) عن رأي الكاتب في مسألة (الهرمزان) بصورة خاصة ، حيث انه يعتبرها مخترعة أو من وضع الشعوبية .

(٢) تاريخ الرسل والملوك : ٢٤١١/١ ، وفي " الاموال " ص ٢٢٣ ، ان عمرا قرر توزيع العطاء منذ اجتماع الجابية (وهي قرية من اعمال دمشق ، اجتمع فيها عمر بن الخطاب مع امراء جنده في الشام سنة (١٧هـ/٦٣٨ م) : معجم البلدان : ٣/٢ ، الطبري : ٢٤٠١/١ فما بعدها) .

(٣) الطبقات الكبرى ، ج ٣ ، قسم ١ ، ص ٢١٣.

(٤) فتوح البلدان : ص ٥٥٠ ،وانظر : الاحكام السلطانية ، ص ٢٠٠ ، مقدمة ابن خلدون ص ٢٤٤.

(٥) راجع ص ١٣٥ من هذا الفصل الحاشية رقم ٥ .

(٦) أبويوسف ، ص ٤٣ - ٤٤ ، الاموال ، ص ٢٢٤.

(٧) عثمان بن حنيف بن وهب الانصاري ، له صحبة ، ولاه عمر بن الخطاب مساحة ارض السواد هو وحذيفة بن اليمان ، وكان عاملا على البصرة في عهد علي بن أبي طالب ، توفي في زمن معاوية الاول : ابو يوسف ، ص ٣٦ - ٣٨ ، المعارف ص ٢٠٨ ، تهذيب التهذيب : ١١٢/٧ - ١٣ .

(٨) حذيفة بن اليمان ، واليمان لقب واسمه (حسل) أو (حسيل) ابن جابر من بني عبس،=

مئة مليون درهم قبل وفاة عمر بن الخطاب (١) .

وبعد فتح العراق واستقرار العرب فيه ، اصبح في الكوفة والبصرة ديوانان . احدهما بالعربية لاحصاء الناس واعطياتهم ، وهو الذي وضعه الخليفة عمر ، والآخر للامور المالية وحساباتها بالفارسية (٢) ، لان العرب ابقوا في البداية على معظم التنظيمات القديمة في البلاد المفتوحة ؛ ويعود سبب ذلك في رأي أحد الكتاب الغربيين ، إلى ان العرب : « أتوا ليبنوا لا ليهدموا ، لذلك كان من الحكمة ان يستعملوا الجهاز القائم فعلا وبنجاح، وان لايستبدلوه بجهاز جديد بصورة مفاجئة » (٣) . ومن الملاحظ هنا ، ان العرب على الرغم مما تعلموه من الاغريق والآراميين والاقباط ؛ فان التأثير الفارسي في الدولة والحضارة كان اكبر (٤). ويبدو ذلك واضحاً من اعتراف عبدالملك حينما قال لروح بن زنباع انه « شامي الطاعة . عراقي الخط . حجازي الفقه . فارسي الكتابة » . (٥) والكتابة هنا تعني مسك الدفاتر . وتنظيم السجلات (٦). ولقد كان هذا الامر واضحاً بالنسبة للعراق بصورة خاصة ،وعلى سبيل المثال فان(سبرنكلنك Sprengling)(٧) ،يعزى نجاح

= وهو من الصحابة ، وولي المدائن في عهد عمر ، توفي سنة (٣١ أو ٣٦هـ/٦٥١ أو ٦٥٦م) طبقات خليفة ، ص ٤٨ ، ١٣٠ ، طبقات ابن سعد : ٨/٦ ، تهذيب التهذيب : ٢١٩/٢ . ٢٠

(١) ابو يوسف ، ص ٢٦، ٣٦ – ٣٨ ، فتوح البلدان : ص ٣٣٩ – ٤٢ ، المسالك والممالك ، ص ١٤، احسن التقاسيم ، ص ١٣٣ .

(٢) الوزراء والكتاب ، ص ٣٨ ، الصوني ، ص ١٩٢ .

(٣) G. Philip, The Monetary Reforms Of Abd Al-Malik, in Journal of the Economic and Social History of the Orient, Jesho, III, 1960 , P. 242 .

(٤) Sprengline, Op. Cit., P. 180.

(٥) الوزراء والكتاب ، ص ٣٥ ، لطائف المعارف ، ص ٦١ .

(٦) Sprengling, Op. Cit., P. 180,.

(٧) Ibid, P. 183 .

زياد بن أبي سفيان في حكم البصرة واجزاء من فارس ، إلى اجادته للغة الفارسية احسن من غيره من العرب . ولقد ادرك زياد اهمية وجود الاعاجم العالمين بامور الخراج (١)، للقيام بضبط الدواوين والاشراف على الحسابات التي كانت ماتزال بالفارسية ، ولهذا فقد كان يشرف على كتابة الخراج في عهده (زاذان فروخ) (٢). وقد استمر عبيدالله بن زياد على هذه السياسة ايضاً ، فوثق بالدهاقين اكثر من العرب ، لانه رآهم ابصر بالجباية ، وأوفى بالامانة ، واهون بالمطالبة (٣). وعندما خضع العراق للزبيريين ، استخدم مصعب بن الزبير ، فارسيا على الخراج ، يدعى (سارزاذ) (٤). ولكن ابن اخيه حمزة بن عبدالله (٥) ، سلك سلوكاً مغايرا ، فقتل دهقان الاهواز لانه تأخر عليه في حمل الخراج (٦).

---

(١) تاريخ اليعقوبي : ٢٧٩/٢ .

(٢) تاريخ خليفة : ١٩٧/١ ، الوزراء والكتاب ، ص ٢٩ ، وكان هذا شخصية بارزة في التنظيمات العربية الاولى لشؤون الضرائب في النصف الشرقي من الدولة العربية ، وقد بقي افراد عائلته يعملون في هذا الحقل من خدمة الحكومة مدة ثلاثة اجيال من بعده ، حتى زمن العباسيين ، ولو انه لم يتبوأ المكانة التي كانت له . كان زاذان فروخ في الثلاثين من عمره عندما عينه زياد على كتابة الخراج ، وقد احتفظ بمنصبه بعد وفاة زياد ، فاصبح مستشارا لابنه عبيدالله ابن زياد . ويتصف هذا الرجل بقوة الذاكرة ، فقد قيل انه تمكن من تدوين اسماء ثمانين الفا من المقاتلة والذرية ، أثر الحريق الكبير الذي وقع في ديوان البصرة ولم ينس الا امرأة واحدة ، على ما في ذلك من مبالغة ملحوظة ! ! . وقد ابعد زاذان فروخ عن العمل اثناء سيطرة مصعب بن الزبير ، الذي استخدم فارسيا آخر بدله . ولم يظهر اسم زاذان فروخ من جديد حتى مجيء الحجاج بن يوسف إلى العراق ، الوزراء والكتاب ، ص ٩٩ .

Sprengling, Op. Cit ., PP. 186–88.

(٣) انساب الاشراف : ١٠٩/٤ ، الطبري : ٤٥٨/٢ ، الكامل في التاريخ : ١٤٠/٤ – ٤١.

(٤) الوزراء والكتاب ، ص ٢٤.

(٥) حمزة بن عبدالله بن الزبير ، ولاه ابوه البصرة نحوا من سنة ، وكان غلاما متهورا ، لم يرض به اهل البصرة ، فعزله واعاد مصعب بن الزبير : انساب الاشراف : ٢٥٦/٥ ، ٢٦٥ ، ٢٧١، ٢٧٤، الطبري : ٧٥٠/٢ .

(٦) انساب الاشراف : ٢٥٦/٥ ، الطبري : ٧٥١/٢ .

ان توفر عامل الأستقرار ، وطبيعة العصر ، الذي ظهرت فيه بوادر الانتقال من البداوة إلى الحضارة ، وإلى حذق الكتابة ، وظهور عدد كبير من المثقفين العرب ومواليهم ، بينهم كتاب ومحاسبون مهرة (١)، كل اولئك ادى إلى ازالة العقبات التي كانت تقف امام عملية التعريب ومسك السجلات بأنفسهم . اما على مستوى القيادة فقد كان عبدالملك والحجاج اداريين من الطراز الأول ، لهذا فقد رغبا في التعمق بالقضايا التي تواجههما وبما انهما لم يعرفا سوى العربية ، فقد برزت الحاجة الماسة إلى تعريب امور مختلفة (٢). ان اتخاذ اللغة العربية اداة لادارة الدولة وضبط الأمور المالية فيها ، يعني رغبة اولي الامر من العرب في ترأس جهاز ادارة الدولة والسيطرة عليه ذلك ان اجراء المعاملات الكتابية والحسابات المالية باللغة العربية ، وهي لغتهم القومية الخاصة كان يمنح هؤلاء الحكام امكانية السيطرة على نشاط الادارة المالية في البلاد (٣). وكان وجود الدواوين باللغات الاجنبية يعني وجود موظفين اجانب من غير العرب والمسلمين ، وهذا اعتراف من الدولة بشرعية هذه اللغات ، واعتبارها لغات رسمية ، ويبدو ان عبدالملك والحجاج لم يكونا يرغبان في هذا الأمر .

ان موضوع سيادة اللغة العربية ، على أهميته ، لم يكن العامل الوحيد لعملية التعريب ، فقد رأينا الحجاج ومدى حرصه على ضبط الادارة والاطلاع على كل الأمور التي تجري في الولاية ، لهذا فمن المفروض انه اراد أن يدرس سجلات الضرائب ، ويتحقق منها بنفسه. وهذا لايتم بطبيعة الحال، الا بعملية التعريب ، فكان هذا من أهم دوافعه لنقل الدواوين إلى العربية. كما كان يتوخى غاية اخرى ، وهي الاشراف على شؤون الادارة المالية ،

---

(١) مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٤٤.

(٢) Sprengling, Op. Cit., P. 194 .

(٣) E. Belaev, Arabi, Islam, i Arabski Khalifat V Rannim Sredno Vekovii, P. 187 .

ومحاسبتها ، مما يفسح له المجال لحل الازمة الاقتصادية التي كانت تهدد البلاد (١) .

هذه هي الاسباب الحقيقية لعملية تعريب الدواوين، لكن المؤرخين العرب لم يتعمقوا في هذه الدوافع، بل نراهم يحاولون تعليل هذا العمل العظيم باسباب ساذجة لا قيمة لها، من ذلك مثلا قولهم : ان عبدالملك امر بتعريب دواوين الشام لان «رجلا من كتّاب الروم احتاج ان يكتب شيئاً فلم يجد ماء فبال في الدواة...» (٢)، او لانه طلب امرا من كاتبه الرومي، فرأى منه توانيا وتثاقلا (٣). وبالنسبة لدواوين العراق، لا نراهم يقدمون سببا وجيها لعملية التعريب، وكل ما في الامر، انهم يصفون هذه العملية وكأنها تمت عرضا وبرغبة من الحجاج نفسه. اذ لا يوجد نص صريح فيه امر من عبدالملك للحجاج بتعريب الدواوين، ولكن هذا لا يمنع من الاعتقاد، بان العملية تمت نتيجة للسياسة العربية العامة للدولة، على ضوء الاسباب والعلل التي المحنا اليها .

وقد اشرف على عملية تعريب دواوين الخراج في العراق، صالح بن عبدالرحمن (٤)، الذي قام بدور كبير في هذا المضمار. لقد دخل صالح إلى ديوان الخراج مع زاذان فروخ، عندما استدعي الاخير من عزلته إلى الوظيفة من قبل الحجاج ، وهذا يعني ان صالحا قد تدرب تحت يد زاذان فروخ في ديوان الخراج بالبصرة . ثم اصبح مساعده الخاص . ولهذا فقد كان كثيرا ما يحضر معه الى مجلس الحجاج . وكان هذا الشاب يعرف الفارسية والعربية جيدا ، ومعرفته بالاخيرة كانت احسن بكثير من معرفة زاذان

---

(١) انظر : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ، ص ١٠٩ ،
E.I.2 "Al-Hadjdjadj B. Yusuf "

(٢) فتوح البلدان : ص ٢٣٠ ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٠٢ .

(٣) الوزراء والكتاب ، ص ٤٠ ، الصولي ، ص ١٩٢ ، العقد الفريد : ١٦٩/٤ – ٧٠ .

(٤) وهو من الموالي الذين نشأوا وتربوا في بيئة عربية اسلامية ووصلوا إلى مراكز ممتازة في الدولة . وكان ابوه من سبي سجستان ، اصابه الربيع بن زياد الحارثي (الذي أرسل لفتح سجستان سنة ٣٠هـ/٦٥٠م) في قرية (ناشروذ) ثم اشترته امرأة من بني تميم ثم من بني مرة . وقد كتب صالح للحجاج بعد زاذان فروخ. فتوح البلدان: ص ٤٨٤/٨٥، قدامة ، الورقة ١٩٧ب – ١٩٧أ الوزراء والكتاب ص ٥٨

فروخ . او ابنه مردانشاه (١) . وقد جعله هذا اضافة الى حيويته ، ومظهره اللطيف قريبا من قلب الحجاج ، لهذا فقد وجد نفسه حالا في امرة الحجاج وله ميزة خاصة عنده . وقد شعر صالح بذلك ، فأخبر سيده زاذان فروخ ، عن مخاوفه من تقديم الحجاج له . وابعاد استاذه ، فأجابه الاخير : لا تظن ذلك ،هو احوج الي منه اليك لانه لايجد من يكفيه حسابه غيري (٢)، ولكن صالحا اجابه ، انه يستطيع لو شاء ان يحول الحساب الى العـــربية ، وفعلا حول قسما منه ، عندما طلب اليه زاذان فروخ ذلك لاختباره . ولما رأى الاخير نجاح صالح ، خاف على مركزه ، وعلى مصير السجـــــلات الفارسية ،ثم نصح اصحابه ، ان يلتمسوا لهم مسكنا ومكسبا غير هـــذا ، فقد ذهب مكسبهم (٣) . وطلب الى صالح ان يتمارض ، ولكن الحجـاج شعر بغيابه ، فأرسل اليه طبيبه الخاص ، فلم يجد به علة ، وعندما بلـــغ زاذان فروخ ذلك ، امره بالظهور من جديد (٤)، وبعد ذلك صدر أمر الحجاج بنقل الدواوين إلى اللغة العربية في سنة (٧٨/٦٩٧م) . (٥)، ولكن البلاذرى (٦)، يجعل بدء عملية التعريب بعد مقتل زاذان فروخ في البصرة ايام فتنة ابن الاشعث ، وذلك بعد ان اخبر صالح بن عبدالرحمن ، الامير ، بما كان قد جرى بينه وبين زاذان فروخ في نقل الديوان . فحفز ذلك الحجاج على الاسراع في النقل ، وعهد بذلك إلى صالح (٧).

---

(١) Sprengling, Op. Cit., P. 195 .

(٢) فتوح البلدان : ص ٣٦٨ ، وباختلاف يسير في " الوزراء والكتاب» ص ٣٨ ، الصولي ص ١٩٢ ، الاوائل ، ص ٢٠٧ ، الفهرست ، ص ٢٤٢ ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٠٣

(٣) الوزراء والكتاب ، ص ٣٨ ، الصولي ، ص ١٩٢ ، الاوائل ، ص ٢٠٧.

(٤) فتوح البلدان : ص ٣٦٨ ، الفهرست ، ص ٢٤٢ .

(٥) الوزراء والكتاب ، ص ٣٨ .

(٦) فتوح البلدان : ص ٣٦٨ ، انساب الاشراف ، ص ٣٥٢ (اهلورت) .

(٧) فتوح البلدان : ص ٣٦٨ ، ويرجح ، الريس في كتابه " الخراج في الدولة الاسلامية " ص ٢٠٣ (الحاشية) ، هذا الرأي الاخير ، ويذكر ان التاريخ الذي يورده الجشهياري=

ان التاريخ الذي حدده الجهشياري (١) للتعريب ، وهو سنة (٧٨هـ / ٦٩٧م) يمكن ان يكون معقولا ، ولا يوجد تعارض بين عمل صالح في الترجمة ، وبين وجود زاذان فروخ ، وابنه من بعده على ديوان الخراج، لان ما ترجمه صالح ، ثم بدأ بادخاله إلى العربية ، هو الكتب الرسمية، واوراق الحسابات التي تعرض امام الحجاج ، في حين بقيت سجلات ، المقاطعات ، والاقاليم ، كما كانت بالفارسية ، إلى ان حان الوقت لتغييرها ايضاً (٢). لقد امضى صالح ، وقتا غير قليل في تدريب الرجال القادرين والراغبين في اتمام هذه المهمة ، وفي نفس الوقت استمر الموظفون والكتّاب القدامى المدربون على ماكانوا عليه ، في حين انهمك صالح ومساعدوه في تنظيم ، وتنسيق سجلاتهم في الدائرة المركزية . وبذلك تكون الخطوة العظيمة قد اتخذت على الرغم من كل الصعوبات (٣).

لقد حارب الفرس فكرة تعريب الدواوين حتى آخر لحظة . وقاموا بمحاولتين لاعاقتها . ففي المحاولة الأولى التي تزعمها مردانشاه بن زاذان فروخ حاول ان يقنع صالحاً باستحالة ترجمة المصطلحات الفارسية إلى العربية فسأله : «كيف تصنع بدهوية (العشر) وشثويه؟ (واحد من العشرين) (٥)

= لتقل الدواوين لابد ان يكون خطأ ، وهو يرى انه ربما كان مقلوبا ، والصواب – في رأيه – انه سنة سبعة وثمانين (٨٧هـ / ٧٠٦م) واذا اخذنا بهذا الرأي فمعنى هذا ، ان التعريب تم في عهد الوليد الاول ، وليس في عهد عبدالملك الذي توفي سنة (٨٦هـ/ ٧٠٥م) وهذا غير ثابت من الناحية التاريخية .

(١) الوزراء والكتاب ، ص ٣٨ .

(٢) من ذلك مثلا ان حسابات خراسان ظلت بالفارسية إلى سنة (١٢٤هـ / ٧٤١ م) حيث تم تعريبها في زمن نصر بن سيار ، وذلك بامر من يوسف بن عمر والي العراق : الوزراء والكتاب : ص ٦٧ .

(٣) Sprengling, Op. Cit, PP. 195–96 .

(٥) في العربية صيغ ملائمة للكسور نازلا إلى العشر ، ولكن ليس هناك اصطلاح لما هو ادنى من العشر : Ibid , P. 196 .

قال : اكتب عشر ونصف عشر . قال فكيف تصنع بويـد ؟ (*) قال اكتبه ايضا والويد النّيف والزيادة تزاد» (١). ولقد عبّر مردانشاه عن يأس الفرس من صالح بن عبدالرحمن . وذلك عندما لعنه قائلا : « قطع الله اصلك من الدنيا كما قطعت اصل الفارسية (٢) » .

وفي المحاولة الثانية . حاول الفرس اتباع اسلوب الرشوة فبذلوا لصالح مئة الف درهم على ان يظهر العجز عن نقل الديوان ، فأبى ، ومضـــى قدما في مهمته بعد ان ثبت في وجه التهديدات والاغراءات ولكنه لم يخـن زملاءه المستخدمين . والا لما بقوا في مناصبهم لحظة اخرى (٣) ، وليس من الغريب بعد هذا ان يتخرج على يد هذا الرجل : معظم الكتاب العظماء للجيل التالي في الشرق . يقول الجهشياري (٤) : وكان عامة كتاب العراق تلامذة صالح . وفيه يقول عبد الحميد بن يحيى . كاتب مروان بن محمد « لله در صالح ! ماأعظم منته على الكتاب» (٥) . ولكن مركزه لم يكـــن واضحا . فهو لم يعد بالتأكيد المساعد الخاص لزاذان فروخ . غير انه كان مقربا من الحجاج شخصيا . ويقوم بالمهام التي تعهد اليه مباشرة مستمـــدا السلطة على معاونيه . وكتابه من قربه من الامير . اضافة الى قوة شخصيته(٦) وقد استمر محافظا على مركزه الى نهاية عهد الحجاج ، حيث ولي خراج العراق لسليمان بن عبد الملك (٧) (٩٦ — ٩٩هـ/٧١٤ — ٧١٧م) ، الا انه

(*) الويد (Wid) تعني الاكثر قليلا : Ibid, p. 196.

(١) فتوح البلدان : ص ٣٦٨ ، وفي " الاوائل " ص ٢٠٧ ، ان زاذان فروخ نفسه هو الذي سأل صالحاً عما يصنعه بالاضافات عند الترجمة ، فأجابه صالح " اقول ايضا ".

(٢) فتوح البلدان : ص ٣٦٨ ، الفهرست ، ص ٢٤٢ ؛ الاحكام السلطانية ، ص ٢٠٣ .

(٣) Sprengling Op. Cit. P. 196 .

(٤) الوزراء والكتاب ، ص ٣٩ .

(٥) فتوح البلدان : ٣٦٩ .

(٦) Sprengling, Op. Cit., P. 197 .

(٧) تاريخ خليفة : ٣١٧/١ ، الطبري : ١٢٨٢/٢ .

لقي نهاية مؤلمة في زمن يزيد الثاني (١٠١ – ١٠٥هـ/٧١٩ – ٧٢٣م) ، فقد عذب ومات في السجن على يد عمر بن هبيرة (١) .

يذكر (براون Browne) (٢) ، ان محاولة التعريب ، وتخليص دوائر الدولة من غير العرب انتجت فقط نجاحا جزئيا ووقتيا ، وليس هذا صحيحا لان النتائج التي تمخضت عن عملية التعريب كانت عظيمة جدا ، وفي مقدمتها تحقق نصر اللغة العربية ، على الفارسية والرومية والقبطية ، ولقد اصبح تعريب الدواوين سبيلا الى تعريب الجاليات في اقاليم الدولة المختلفة، فكان هذا من اكبر العوامل في انتشار اللغة العربية (٣) ، التي اصبحت لغة الثقافة والادارة الى جانب كونها لغة السياسة والدين . لقد تضمنت عملية نقل الدواوين من الفارسية الى العربية فقدانا كبيراً لتأثير الفرس (٤) ، كما كانت احد العوامل التي اثارت استياء اعداء الدولة الاموية (٥) ، ولهذا فليس من المستغرب ، ان نرى بعض الروايات (٦) المتأثرة بالشعوبية ، تحاول ان تظهر التعريب ، وكأنه مرتجل ، او تنسبه الى اسباب تافهة وهو اعظم حدث ثقافي سياسي بعد جمع القرآن نظم وفق خطة شاملة (٧) .

لقد كان هذا العمل يعني اكثر من مجرد التعريب لسجلات الضرائب ، انه نشر للثقافة العربية التي طغت على الثقافات الاخرى وطبعتها بطابعها

---

(١) الوزراء والكتاب ، ص ٥٨ ، وعمر بن هبيرة الفزاري هو والي العراق ، ولاه يزيد الثاني على العراقين سنة (١٠٣هـ/٧٢١م) توفي بالشام : تاريخ خليفة ٣٣٥/١ ، المعارف ص ٤٠٨ .

(٢) A literary History of Persia, Vol. 1. p. 206.

(٣) عبدالملك بن مروان موحد الدولة العربية ، ص ٢٨٦ .

(٤) Sykes, Op. Cit., Vol. I, P. 550.

(٥) من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ، ص ٦٧ – ٦٨ .

(٦) راجع ، ص ١٤٢ من هذا البحث .

(٧) مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ، ص ١٥ – ١٦ .

الخاص وهذا ادى حتما الى زوال نفوذ بعض الفئات التي كان كيانها مستمدا من التفوق في الثقافة والمدنية .

(٥) التنظيمات الثقافية والأجتماعية والصحية والأعمال الادارية الأخرى

ان الظروف التي احاطت بالحجاج ، والاحوال التي وجد فيها ، اضطرته الى الاكثار من التدخل في الشؤون الادارية ، وكان تدخله هذا في مصلحة البلاد عامة والحكم الاموي خاصة (١) . فقد كان من هدف الحجاج ، ان يوجد قراءة موحدة للقرآن :فاهتم بتنقيطه واعجامه . وهناك من يرى، ان الهدف السياسي كان احد الاسباب التي دفعته الى اتخاذ هذا القرار ، ذلك ان حفظة القرآن كانوا ابدا ، منذ ايام عثمان ، على استعداد لاثارة مشاعر الناس على الحكومة (٢) ، لكنني لا ارجح هذا الرأي ، لان هناك عوامل اخرى دفعت الحجاج الى هذا العمل ، كان اهمها انتشار التصحيف(٣) في العراق ، مما دعاه الى ان يأمر كتابه بوضع علامات للحروف المتشابهة ويقال ان نصر بن عاصم (٤) ، كان اول من قام بوضع النقاط على حروف المصاحف (٥) . ويؤيد الجاحظ ذلك ، فقد ذكر في كتاب (الامصار) ان نصر بن عاصم اول من نقّط المصاحف وكان يقال له: نصر الحروف(٦)

(١) التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ، ص ١١٠ .
(٢) تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ١٤٧ .
(٣) العسكري ، شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف ، ص ١٣ .
(٤) نصر بن عاصم الليثي النحوي ، كان فقيهاً عالما بالعربية من فقهاء التابعين توفي بالبصرة سنة (٨٩أو ٩٠ هـ /٧٠٧أ و ٧٠٨م) : معجم الادباء : ١٩ /٢٢٤ ، بغية الوعاة : ٣١٣/٢ — ١٤ .
(٥) ابن رسته ، ص ٢٠٠ ، شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف ، ص ١٣، — وانظر : الداني ، " المقنع في معرفة مرسوم مصاحف اهل الامصار " ص ١٥ : ١٠٥، ١٢٥ ، وفيه رواية اخرى تقول : ان الدول من فعل ذلك هو ابو الاسود الدئلي ، أو يحيى بن يعمر الليثي ، ص ١٢٤ — ٢٥ .
(٦) البرهان في علوم القرآن : ٢٥١/١ .

وقد أحدث الاعجام بعد ذلك بسبب استمرار حدوث التصحيف مع استعمال النقط ، فكانوا يتبعون النّقط بالاعجام (١). ولقد جاهد الحجاج في سبيل توسيع نطاق استعمال الحركات والنقاط الموضوعة فوق الحروف الصحيحة المتماثلة وتحتها ، (٢)«... ولاريب بعد هذا ان للحجاج ، مهما اختلفت آراء الناس فيه ... دورا عظيماً لاسبيل إلى انكاره في الاشراف على نَقط القرآن ، والحرص عليه » (٣). ويتضح هذا الحرص بصورة اوضح اذا عرفنا ان اهتمامه لم يتركز على التنقيط والاعجام حسب ، بل جمع قراء البصرة وحفاظها ، واختار احسنهم ، وأمرهم بعدّ حروف القرآن ثم تقسيمه إلى أقسام ، فحسبوا حروفه بحبات الشعير ، ثم قسموه إلى ارباع ، واثلاث ، وأسباع ، حسب عدد الحروف وقد استغرقت هذه العملية أربعة اشهر(٤)

لقد اراد الحجاج للمجتمع الأسلامي ان يعتمد قراءة واحدة موحدة للقرآن ، وان تكون كل النسخ القرآنية متماثلة . فأخذ الناس بقراءة عثمان ابن عفان ، وترك غيرها من القراءات : وهدد بالعقاب كل من يخالف ذلك كما امر بمحو المصاحف المخالفة لمصحف عثمان (٥). يضاف إلى ذلك انه غيّر في الرسم القرآني لمصحف عثمان في احد عشر موضعاً (٦). ثم كتب

---

(١) شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف ، ص ١٢.

(٢) نيكلسن ، تاريخ العرب الادبي في الجاهلية وصدر الاسلام ، ص ٢٠٩ .

(٣) الصالح ، مباحث في علوم القرآن ، ص ١١٨ .

(٤) انساب الاشراف ، ج ١١ ، الورقة ٣٩ب (٦١٤أ . اسطمبول) ، كتاب المصاحف ، ص ١٩ — ٢٠ ، البرهان في علوم القرآن : ٢٤٩/١ — ٥٠ .

(٥) العثمانية (مناقضات ابي جعفر الاسكافي) ، ص ٢٨٥ ، انساب الاشراف ، ج١١ ، الورقة ٣٩ب (٦١٤أ. اسطمبول) ، تهذيب ابن عساكر : ٦٩/٤ ، البداية والنهاية : ١٢٨/٩ ، E.I.,2 ''Al-Hadjdjadj B. YUSUF'' وكان الموظف الذي يتولى ذلك للحجاج ، هو : علي بن اصمع جد أبي الاصمعي ، واياه عنى الشاعر بقوله :

والا رسوم الدار قفراً كأنه كتاب محاه الباهلي ابن أصمعا

(اللغوي ، مراتب النحويين ، ص ٦٥)

(٦) كتاب المصاحف ، ص ٤٩— ٥٠ ، ١١٧ — ١٨ ، ويعلق الدكتور صبحي الصالح في كتابه " مباحث في علوم القرآن" ، ص ١٤ بقوله : انه بعد تغيير الحجاج اصبحت هذه المواضع

مصاحف عديدة موحدة وبعث بها إلى الامصار ، بغض النظر عن كون هذه الأمصار تتبع ولايته أو لا تتبعها . كمصر مثلا (١).

ومن جملة الأمور التي قرر الحجاج اصلاحها : المكاييل ، وخاصة الصاع الذي كانت له أهمية كبيرة : لان به كانت توزع الارزاق الشهرية التي فرضت للناس منذ زمن عمر بن الخطاب (٢). وكان الخليفة عمر ، قد قدّر الصاع بثمانية ارطال ، ولكن سعيد بن العاصي(٣) أنقصه ، وردّه إلى خمسة ارطال وثلث (٤). وعندما جاء الحجاج اتخذ قفيزا على صاع عمر سمي : (الحجاجي) (٥). وهكذا فقد رجعه إلى ثمانية ارطال .

لم يقم الحجاج بتغييرات جذرية في التقسيمات الادارية للامصار ، فظلت الكوفة مقسمة إلى اربعة ارباع . وظلت البصرة مقسمة إلى خمسة اخماس . كما نظمها زياد بن أبي سفيان (٦). وحاول الحجاج عند قدومه البصرة لاول مرة الاّ يخلط اهل الشام مع سكانها ، فأنزلهم في مكان ملحق

= اوضح قراءة وأيسر على الفهم ،«وإلى مثل هذه التحسينات الاملائية ، كان يشير عثمان بن عفان بقوله ان صح : (اجد فيه ملاحن ستصلحها العرب) (كتاب المصاحف ، ص ٣٢، ٣٣) فالملاحن والتصحيفات – في هذا المقام –كلها من هذا القبيل ، انما تتعلق بطريقة الرسم التي لابد ان ينالها التغيير على اختلاف البيئات والعصور ، اما النص القرآني نفسه فلا يتغير فيه شيء ، لانه مجموع في صدور العلماء ، يأخذه بعضهم عن بعض بالتلقي والمشافهة وطرق التواتر اليقيني » .

(١) فتوح مصر وأخبارها ، ص ١١٧ .

(٢) الأموال ، ص ٢٤٧ ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٠٢ .

(٣) سعيد بن العاص بن سعيد ، ولاه عثمان على الكوفة سنة (٣٠هـ/٦٥٠م) ، توفي سنة (٥٩هـ/٦٧٨م) : المعارف ، ص ٢٩٦، ٦١٤ ، الطبري : ٢٨٤٠/١ .

(٤) الطبري : ٢٨٥٠/١ ، احسن التقاسيم . ص ٩٨ – ٩٩.

(٥) الأموال ، ص ٥١٨ ، وعند " يحيى بن ادم" ص ١٣٧ – ٣٨ : ان " القفيز الحجاجي صاع وهو ثمانية ارطال " . وصاع عمر أوقفيز عمر بن الخطاب – مثل الحجاجي . وذكر الطبري في "كتاب اختلاف الفقهاء " ، ص ٢٢٣ ، ان القفيز الحجاجي مثل الصاع الذي كان على عهد رسول الله (ص) ثمانية ارطال .

(٦) الطبري : ٢٤٩٥/١ ، ١٣٨٢/٢ .

بالقصر الذي ابتناه فيها ، وهو يبعد عنها فرسخا واحدا . (١) وكان من أهم اجراءآته الداخليه في المدن مايلي :

١ ـ الأمر بعدم النّوح على الموتى في البيوت ، وكان يأمر بهدم الدور التي لا تلتزم بهذا القرار (٢).

٢ ـ الأمر بأبادة الكلاب الضارة (٣).

٣ ـ منع التبول أو التغوط في الاماكن العامة ، وكان من يخالف هذا الأمر في مدينة واسط بصورة خاصة ، يتعرض إلى السجن والعقاب (٤).

٤ ـ أمر الجند ، وخاصة الفرسان من أهل الشام ، الالتزام بالنظام داخل المدن والسيطرة الكاملة على أعنة خيولهم وكف أذاها عن الناس (٥).

٥ ـ منع بيع الخمور ، واهراق ماقد يعثر عليه منها عند التجار (٦).

ومن جملة الأعمال العامة الأخرى ، اتخاذه المناظر بين (٧) واسط وبعض الثغور ، مثل قزوين (٨) زيادة في سرعة نقل الاخبار . فكان «اذا دخّن أهل قزوين دخنت المناظر ان كان نهارا وان كان ليلا أشعلوا نيرانا فتجرد الخيل اليهم ... (٩) » وعندما قدم الحجاج إلى العراق ، لم يكن لانهارهم جسور ،

---

(١) انساب الاشراف ، ج ١١ ، الورقة ٤١ ب ، والفرسخ نحو ثلاثة اميال .

(٢) وفيات الاعيان : ٥٠/٢ .

(٣) عيون الاخبار : ٢٦٣/١ ، جمع الجواهر في الملح والنوادر ، ص ١٨٤ ؛ تهذيب ابن عساكر : ٨٠/٤ ، سرح العيون ، ص ١٨١ — ٨٢ .

(٤) انساب الاشراف ، ج ١١ ، الورقة ٣٦ ب ، العقد الفريد : ٤٨١/٣ - ٨٢ . ٤٦/٥ ، تهذيب ابن عساكر : ٨٠/٤ .

(٥) انساب الاشراف ، الورقة ٦٠٩ ب (اسطمبول) .

(٦) نفس المصدر ، ج ٦ ، الورقة ٣١أ ، ج ١١ ، الورقة ٤٢ أ .

(٧) المناظر : اشراف الارض لانه ينظر منها ، والمنظرة : موضع الربيئة ، أو هو موضع في رأس جبل فيه رقيب ينظر العدو . والمنظرة : المرقبة : لسان العرب ، مادة (نظر) .

(٨) بلدة مشهورة ، بينها وبين الري (٢٧) فرسخا (٨١ميلا تقريبا) ، فتحت في عهد عثمان بن عفان ، معجم البلدان : ٨٨/٤.

(٩) نفس المصدر : ٨٨٦/٤ .

فأمرهم باتخاذها إلى اراضيهم (١). وقد قام ببناء عدة صهاريج (٢) بالقرب من البصرة ، لخزن مياه الأمطار وتجميعها فيها ، وقد تميز احد هذه الصهاريج بالضخامة وسعة الحجم ، وكان للصهاريج ابواب . وقد قصد الحجاج من بنائها ايضا ، توفير مياه الشرب لاهل المواسم والقوافل (٣). وكان يأمر بحفر الآبار في المناطق المقطوعة لتوفير مياه الشرب للمسافرين (٤). ويقال ان الحجاج اول من اجرى في البحر ،السفن المقيرة ،المسمرة ،غير المخرزة ، والمدهونة والمسطحة ،وغير ذوات الجؤجؤ . (٥) كما كان اول من استحدث المحامل وحمل فيها (٦). ويقال ان الحجاج كان اول من رسم هدايا النوروز والمهرجان في الاسلام ، (٧) وليس هذا صحيحاً ، فقد أخذ هذه الهدايا بعض ولاة الكوفة في عهد عثمان بن عفان ، (٨) كما أخذت في عهد معاوية الاول (٤١ —

---

(١) المدائني في " انساب الاشراف " ، الورقة ٦١٨ ب (اسطمبول) .

(٢) الصهاريج : جمع صهرج ، وهي كالحياض يجتمع فيها الماء ، لسان العرب مادة : (صهرج)

(٣) فتوح البلدان : ص ٤٥٥ ، انساب الاشراف ، ج ١١ ، الورقة ٤١ ب ، الفرج بعد الشدة : ٦٦/٢ — ٦٧ .

(٤) عيون الاخبار : ١٤٤/١ ؛ العقد الفريد : ١٦/٥ — ١٧ ؛ معجم ما استعجم : ١٨١/٣ ٨٢ . ؛ معجم البلدان : ٣٦٢/٣ .

(٥) الحيوان : ٤١/١ ، البيان والتبيين: ٣١٤/٢ — ١٥ ؛ ووردت باختلاف يسير عند ، ابن رسته ، ص ١٩٥ — ٩٦ ، الاوائل ، ص ٢٥٥ . والجؤجؤ :عظام صدر الطائر ، وجؤجؤ السفينة والطائر ، صدرهما : لسان العرب مادة : (جأجأ) .

(٦) الحيوان : ٤١/١ ، البيان والتبيين : ٣١٥/٢ ، المعارف ، ص ٥٣٣ ، ابن رسته ، ص ١٩٢ ، الاوائل ، ص ٢٥٤ ، المحاسن والمساوىء : ٥٠/٢ ، غرر السير ، الورقة ٢٥ أ ، وفي " الكنز المدفون " ، السيوطي ، ص ٦٨ : ان الحجاج اول من احدث المحامل في طريق مكة . والمحامل : جمع محمل وهو شقان على البعير ، يحمل فيهما العديلان : لسان العرب ، مادة : (حمل) ، تاج العروس ، مادة : (حمل) .

(٧) الاوائل ، ص ٢٣٨ ، الآلوسي ، بلوغ الارب في معرفة احوال العرب : ٣٥٠/١ ، والمهرجان والنوروز : من اعظم اعياد الفرس واجلها ، يحتفل بالاول بمناسبة دخول فصل البرد ، والثاني بمناسبة دخول فصل الحر ، ومدة كل عيد منهما سته ايام : التاج في اخلاق الملوك ، ص ١٤٦ ، النويري : ١٨٥/١ — ٨٦ ، ١٨٧ .

(٨) الصولي ، ص ٢٢٠ .

٦٠هـ/ ٦٦١ – ٦٧٩ م) ايضا وكان قد امر عامليه على خراج الكوفة والبصرة بحملها اليه (١).

٦ – بناء مدينة واسط .

يستفاد مما ذكره الطبري (٢)، ان الحجاج فكر ببناء مدينة واسط ليجعلها مقرا لجند اهل الشام . ويمنع ماقد يحصل من اعتداءاتهم على سكان المدن الاخرى . وقد اكّد بعض المحدثين على هذه الناحية ، فعلل كثير منهم انشاء المدينة، على انها بنيت لاقامة جند الشام بصورة عامة (٣) وذكر ولها وزن(٤) ان السبب الحقيقي في اسكان جند الشام في واسط - لم يكن لتلافي ما قد يرتكبونه من مفاسد في الكوفة والبصرة . انما هو رغبة الحجاج في ان يعزل جند الشام عن اهل العراق ، كيلا يتأثروا بهم ، وليكونوا أداة طيعة له

والحقيقة ان فكرة اقامة جند الشام في مدينة خاصة . لم تكن هي المبرر الوحيد لبناء المدينة ، فهناك اسباب ادارية ، وعسكرية ، واصلاحية ، اكثر أهمية من ذلك . فمن الناحية الادارية . رأى الحجاج ان وجوده في أحد المصرين بعيداً عن المصر الآخر . لايمكن ان يكون عمليا ، فأراد أن يكون قريباً من الاثنين في آن . للسيطرة السريعة على ماقد يحدث فيهما من امور. فاختار موضع واسط لهذا السبب . وكتب إلى الخليفة يستأذنه ببناء مدينة فيه (٥). وهكذا اصبحت واسط «مركزا للاشراف على ادارة المنطقة التي حولها .. » (٦)

(١) تاريخ اليعقوبي : ٢٨/٢ – ٤٩ ، وانظر : الوزراء والكتاب ، ص ٢٤ .
(٢) تاريخ الرسل والملوك : ١١٢٥/٢ .
(٣) أبو النصر ،١٩٦٧، الخلافة والدولة في العصر الاموي ،ص ١٧٧ – ٧٨ .
(٤) تاريخ الدولة العربية ، ص ١٤١ – ٤٢ ، وانظر :
E.I.,2 "Al-Hadjdjadj -B. YUSUF "
(٥) بحشل ، ص ٤٣ .
(٦) العلي ، " منطقة واسط " سومر ، م ٢٦ ، ١٩٧٠ ، ص ٢٤٢ .

ولا يمكن اغفال الأسباب العسكرية في بناء المدينة ، لان اختيار موضعها المتوسط بين مدن العراق ، جعلها حصنا في منتصف الطريق .(١) كما ان موقعها المناسب في سهل مروي جيدا ، بين دجلة والفرات جعلها مركزا عسكرياً رئيساً للامبراطورية (٢). ويذكر ياقوت (٣) ، ان الحجاج بعد فراغه من حروبه ، لم يتمكن من الاقامة في الكوفة ، لشعوره بسلمهم منه، وبغضهم له ، لهذا فهو قد فكر ببناء مدينة خاصة به .

وكان الحجاج ينوي القيام باصلاحات شاملة في المنطقة التي تتوسطها المدينة لذلك فان الاقامة في هذه المنطقة كانت ولا شك ستعين على الاشراف المباشر على تلك الاصلاحات التي شملت ، القيام بحملات واسعة لشق الانهار والترع في المناطق المحيطة بالمدينة ، كما شملت احياء اراضي كثيرة كانت مواتا، فقلع منها القصب وعمرت واضيفت إلى املاك الخليفة (٤). يضاف إلى ذلك ان الحجاج صرح قبل شروعه بالبناء ، انه ، سيكثر من البناء والغرس فيها ، ويحيط منطقتها بالزروع حتى تغدو و تطيب (٥).

ويختلف المؤرخون والجغرافيون الاولون في سبب تسمية واسط بهذا الأسم ، فيقال ان ارضها كانت ارض قصب ، لذلك سميت واسط القصب (٦) ويذكر ياقوت (٧)، انها بنيت في موضع يسمى «واسط القصب » فسميت باسمه . ويبدو ان واسط القصب هذه كانت موجودة ومعروفة من قبل

---

(١) تاريخ الدولة العربية ، ص ١٤١ .

(٢) Muir, The Caliphate, P. 339.

(٣) معجم البلدان : ٨٨٣/٤ .

(٤) فتوح البلدان : ص ٢٥٥ – ٥٦ .

(٥) معجم البلدان : ٨٨٤/٤ .

(٦) فتوح البلدان : ص ٢٥٥ ، انساب الاشراف ، ج ١١ ، الورقة ٣٨ أ ، التنبيه والاشراف ص ٣١١ .

(٧) معجم البلدان : ١٨٢/٤ .

عهد الحجاج (١). وقيل في سبب تسميتها بواسط ايضاً ، لانها توسطت بين الكوفة والبصرة ، وتبعد عنهما بعدا واحدا (٢) . وهناك من يقول انها سميت باسم القصر الذي بناه الحجاج ، وهو بين الكوفة والبصرة (٣). او انها سميت راسط لانها بين قصبات العراق وبين الاهواز (٤). ومن الجدير بالذكر ان هناك اثنين وعشرين مدينة وقرية وموضعاً يطلق عليها اسم واسط (٥)، وتعتبر واسط الحجاج من اشهر هذه المدن والاماكن كافة .

بذل الحجاج عناية فائقة في اختيار الموقع المناسب للبناء ، فأرسل الرواد ،(٦) ووجه الاطباء (٧)، ليرتادوا له موضعاً مناسبا . كما شارك بنفسه في عملية التفتيش ، (٨) وكان يرسل من يثق بعلمه وعقله للقيام بعملية البحث والتفتيش عن المكان المطلوب ، الذي كان من المفروض ان تتوفر فيه ميزات عديدة منها ، ان يكون على نهر جار ،(٩) وان يكون في كرش (١٠) من الارض بين الجبل والمصرين (١١). وفعلا اختير موقع المدينة، بحيث يتوسط بين

---

(١) بحشل، ص ٤٠، ٤٣، الطبري: ٧٢٤/٢، ٩٧٢، ١١٢٠، ياقوت، المشترك وضعا والمفترق صقعا، ص ٤٣٢ .

(٢) البلدان، ص ٣٢٢ انساب الاشراف، ج ١١، الورقة ٣٨ أ، العقد الفريد: ٢٥١/٦، التنبيه والاشراف، ص ٣١١، احسن التقاسيم، ص ١٣٥، معجم البلدان: ٨٨١/٤، المشترك وضعا، ص ٤٣١ .

(٣) الزمخشري، الجبال والامكنة والمياه، ص ٢٢٤.

(٤) أحسن التقاسيم، ص ١١٨.

(٥) المشترك وضعا، ص ٤٣١ – ٣٢، معجم البلدان: ٨٨٨/٤ – ٩١ .

(٦) الطبري: ١١٢٦/٢.

(٧) معجم البلدان: ٨٨٣/٤ .

(٨) بحشل، ص ٣٦ .

(٩) معجم البلدان: ٨٨٣/٤.

(١٠) الكرش: نبات ينبت في الشتاء، ويهيج في الصيف، وهو عشب الربيع، يلصق بالارض، لا يكاد ينبت الا في السهل، ويعتبر من انجع المراتع، تسمن عليه الابل والخيل. لسان العرب ، مادة (كرش) .

(١١) فتوح البلدان: ص ٣٥٥، معجم البلدان: ٨٨٣/٤.

البصرة والكوفة والاهواز . فكان لها مركز سوقي وعسكري ، ومنزلة سامية في النصف الشرقي من دولة بني امية (١). يضاف إلى ذلك توفر العامل الصحي ، والمياه العذبة ، وكثرة الزروع والاراضي الفسيحة المتصلة بها ، مما جعلها تتميز بالحسن والعمارة (٢). وقد ادرك بعض الدهاقين اهمية الموقع الذي اختاره الحجاج ، فحاولوا عبثا ، ان يثنوه عنه ، لكنه عرف قصدهم، فأصر على المكان (٣). ان هذه الموضوعية في اختيار الحجاج لموقع المدينة، تجعلنا نرفض الروايات التي تعزى موافقة الحجاج على موضع المدينة ، إلى ايمانه بالاساطير ، واعتقاده بالخرافات (٤) .

شرع الحجاج ببناء المدينة سنة (٨٣أو ٨٤هـ / ٧٠٢ أو ٧٠٣ م) (٥) ، واتم بناءها في عام (٨٦هـ/٧٠٥م) (٦) ، اما بحشل (٧) (ت ٢٩٢هـ/٩٠٥م)

---

(١) الاصيل «واسط الحجاج» سومر ، م٢، ١٩٤٥، ص ١١ .

(٢) مختصر كتاب البلدان، ص ٩٣، مسالك الممالك، ص ٨٢، كتاب الاقاليم، ص ٤٦، صورة الارض، ص ٢١٤، احسن التقاسيم ، ص ١١٨، ابن الوردي خريدة العجائب، ص ٥٦ .

(٣) انساب الاشراف، جـ ١١، الورقة ٤١ أ، معجم البلدان: ٨٨٤/٤ .

(٤) من ذلك مثلا ان احدى هذه الروايات تقول: ان الحجاج عندما كان يرتاد موضعا للمدينة، رأى راهباً راكباً على حمار له «فراث الحمار ، فنزل الراهب فأخذ الروث في ثوبه فدعاه الحجاج فقال: ما هذا الذي صنعت قال ايها الامير انا نجد في كتبنا انه لما كان يوم الطوفان، انقطعت ارض من الارض المقدسة فصارت إلى ما ههنا، فهي هذه. فكرهت ان يكسون روث حماري فيها. فقال الحجاج لاصحابه انزلوا. ثم امر بالتقدير والبناء، بحشل، ص ٣٩، وانظر الطبري: ١١٢٦/٢ ففيه ما يشابه هذه الرواية التي نقلها ايضاً (ابن الاثير) في، الكامل في التاريخ: ٤٩٥/٤ – ٩٦ .

(٥) المعارف، ص ٣٥٧، فتوح البلدان: ٣٥٥/٢، انساب الاشراف، جـ ١١، الورقة ٣٨ أ، الطبري: ١١٢٥/٢، التنبيه والاشراف، ص ٣١١، تهذيب ابن عساكر: ٨٢/٤، معجم البلدان: ٨٨٣/٤ – ٨٤، المشترك وضعا، ص ٤٣١ .

(٦) تهذيب ابن عساكر: ٨٢/٤، معجم البلدان: ٨٨٣/٤ – ٨٤، المشترك وضعا، ص ٤٣١.

(٧) تاريخ واسط، ص ٤٣. ولكن بحشلا يناقض كلامه حينما يقول: ان الحجاج عندما خاف من عبدالملك لكثرة ما انفق على البناء، فكتب اليه: اني انفقت على البناء وعلى حرب ابن =

فيخالف هذه التواريخ ، ويذكر ان البناء ابتدأ سنة (٧٥هـ/٦٩٤م) وانتهى في سنة (٧٨ هـ/٦٩٧م) . ويؤكد بعض المؤرخين ، انها بنيت بعد هروب ابن الاشعث وانتهاء ثورته (١). وهذا اقرب إلى الصحة ، لأنه يؤيد التاريخ الأول (٨٣أو ٨٤ هـ/٧٠٢أو ٧٠٣ م) الذي اتفق عليه معظم المؤرخين .

اشرف على بناء واسط للحجاج ، رجل يدعى : موسى العنزي ،(٢) فبنى القصر والمسجد والسورين : وحفر الخندق، (٣) ويؤكد بحشل(٤)، وجود سورين وخندق واحد للمدينة ، بينما يذكر ياقوت (٥) خندقين وسورا واحدا . ان الاطلال المتبقية في المدينة لاتسعفنا للبت في هذا الامر ، خاصة وانه لم يعثر على سور واسط رغم المحاولات(٦).ولكن فؤاد سفر(٧) ، يميل إلى رواية ياقوت ، ويعقب عليها بقوله : « ولعل الخندقين والسور التي ذكرها ياقوت الحموي كانت تحيط بالشطر الغربي من المدينة فقط ، ذلك الشطر الذي تكاملت استحكاماته بشاطىء دجلة فصار معسكرا آمنا منيعا لايدخله الا من اجتاز ابواب المدينة ... »

وقد اهتم الحجاج بالابواب ، فنقل اليها ابوابا من حديد ، كانت في بعض المدن المجاورة (٨). ويذكر بحشل ، (٩) انه انفق على بناء المدينة

= الأشعث ما صار الي من الخراج،لان حرب ابن الاشعث لم تكن قد بدأت عند التاريخ الذي يعطيه بحشل لنهاية بناء واسط. انظر، نفس المصدر، ص ٤٣ - ٤٤ .

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢٣٣/٢، الطبري: ١١٢٠/٢، ابن اعثم، ج٢، الورقة ١١٠ أ - ب.

(٢) المحاسن والمساوىء: ١٥٠/١ .

(٣) بحشل، ص ٤٣ .

(٤) نفس المصدر والمكان

(٥) معجم البلدان : ٨٨٤/٤ .

(٦) الاصيل ، المرجع السابق ، ص ١٢ .

(٧) واسط ، الموسم السادس للتنقيب : ص ٣ .

(٨) فتوح البلدان : ص ٣٥٦ ، الطبري : ٣٢١/٢ ، معجم البلدان : ٨٨٤/٤ .

(٩) تاريخ واسط ، ص ٤٣ .

خراج العراق كله لمدة خمس سنين ، بينما يقول ياقوت (١). انه انفق (٤٣) مليون درهم على القصر والجامع و «الخندقين والسور» ، فنصحه كاتبه ، الا يذكر المبلغ كله للخليفة . ويحتسب جزءا منه للحروب ، والجزء الآخر للبناء ، ففعل ذلك .

بنى الحجاج المسجد والقصر في الجانب الغربي ، ثم وصل هذا الجانب مع الجانب الشرقي بجسر من السفن (٢). وقد اسكن في هذا الجانب ايضاً احدى زوجاته واهلها (٣). كما نقل إلى المدينة بعض وجوه اهل الكوفة والبصرة ، اضافة لمن معه من أهل الشام (٤). ونقل اليها ايضاً جماعات من اهل بخارى، الذين كانوا يسكنون البصرة منذ ان جلبهم عبيدالله بن زياد(٥). ثم قام بتنظيم المدينة واسواقها ، فصنّف اصحاب المهن والاعمال فيها ووزعهم في السوق على قطاعات ثلاثة ، لاهل كل تجارة مكان مخصص لايخالطهم فيه احد ، كما أمر أن يكون هناك صيرفي في كل قطاع .(٦)

وقد منع النبط من دخول المدينة (٧) ، وقال : «لايدخلون مدينتي فانهم مفسدة» (٨). كما منع اهل السواد من السكنى والمبيت فيها ليلا ، لكنه سمح لهم بدخولها نهارا لقضاء حوائجهم (٩). وكان حرس الابواب هم المكلفين

(١) معجم البلدان : ٨٨٤/٤ .
(٢) البلدان ، ص ٣٢٢ ، ابن رسته ، ص ١٨٧ .
(٣) بحشل ، ص ١٢٦ .
(٤) نفس المصدر ، ص ٤٤ .
(٥) فتوح البلدان : ص ٤٦٢ ، الاغاني : ٤٢/٢٠
(٦) بحشل ، ص ٤٤ .
(٧) البيان والتبيين : ٢٧٠/١ ، ٣١٨/٣ .
(٨) معجم البلدان : ٨٨٦/٤ ، ومن الملاحظ ان واسطا اصبحت بعد موته ، مأوى لكثير من الاعاجم والنبط ، قال بشار بن برد يهجوها ويهجو اهلها :
ايلتمس المعروف من اهل واسط ... وواسط مأوى كل علج وساقط
نبيط واعلاج وخوز تجمعوا ... شرار عباد الله من كل غائط
(٩) بحشل ، ص ٤٦ .

بتنفيذ هذه الاوامر ، ومع هذا فقد كان بامكان السوادي ان يبيت في المدينة خاصة اذا كان متواطئا مع احد من اهلها (١). ويستفاد مما ذكره ابو الفرج الاصبهاني (٢) ، ان احدا لم يكن يدخل واسطا الا بعد اخذ اذن الحجاج. وكان هذا ينطبق حتى على العرب ، كالشاعر جرير مثلا ، الذي دخلها بدون اذنه ، فغضب عليه الحجاج ، ثم عفا عنه ، ولكني لم اعثر على ما يؤيد هذا الخبر في المصادر التاريخية .

---

(١) نفس المصدر والمكان .
(٢) الاغاني : ٦٩/٧ .

الفصل الخامس

التنظيم المالي

١ ــ الاصلاح النقدي .
٢ ــ الجزية والخراج ومحاولة رفع مستوى الجباية.

(١) الاصلاح النقدي

كان العرب قبل الاسلام يتعاملون بالنقود الرومية والفارسية ، وبقليل من نقود اليمن الحميرية (١) . وكانت النقود الغالبة في التعامل ، هي الدنانير الذهب الرومية ، والدراهم الفضة الفارسية ، ولكن مرجع تعاملهم بهذه النقود ، انما هو إلى الوزن (٢)، لان المقصود بالدينار ، قطعة من الذهب ، وزنها مثقال (٣) واحد ووزن العشرة دراهم من الفضة سبعة مثاقيل (٤). ومع هذا فقد كانت الدراهم تضرب في أيام الفرس على اوزان مختلفة(٥) فمنها ماكان يسمى البغلي (٦)، وهو ثمانية دوانق (٧) . ومنها الطبري (٨)

---

(١) فتوح البلدان : ص ٥٧٤ .

(٢) ان اشهر الاوزان التي اصطلحوا عليها فيما بينهم ، وكانوا يتبايعون بها هي : الرطل ، الذي يزن اثني عشرة اوقية ، والاوقية ، التي تزن اربعين درهما ، انظر : فتوح البلدان : ٥٧٣/٣ ، المقريزي ، ص ٣ .

(٣) يزن المثقال اثنين وعشرين قيراطاً الاكسرا ، وهو أيضا بزنة اثنين وسبعين حبة شعير (متوسطة لم تقشر وقد قطع من طرفيها ما أمتد)، وقد قدر اليونان المثقال من حب الخردل البري ، بستة الاف حبة ، وقدروا الدرهم بأربعة الاف حبة ومئتين ، فيكون المثقال درهما وثلاثة اسباع الدرهم : فتوح البلدان ٥٧٢/٣ ، المقريزي ، ص ٣ ، تحرير الدرهم والمثقال (منشور ضمن الكرملي) ، ص ٧٦ .

(٤) فتوح البلدان : ص ٥٧٢ — ٧٣ .

(٥) قدامة ، الورقة ٢٣ أ —ب ، الاحكام السلطانية ، ص ١٥٣ — ٥٤ ، الكامل في التاريخ : ٤١٨/٤ ، مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٦٢ .

(٦) الدرهم البغلي ، منسوب إلى ضراب يهودي ، ضرب تلك الدراهم ، يسمى بغل ، او رأس البغل ، وتسمى هذه الدراهم ايضا بالوافية : المحاسن والمساوىء : ١٢٨/٢ ، المازندراني ، العقد المنير ، ص ١١١ — ١٢ .

J.Walker, A catalogue of the Arab-Sassanian Coins, p. cxlviii.

(٧) الدانق : من الفارسية (دانه) ، اي الحبة : ادى شير ، ص ٦٦ ، الكرملي ، ص ٤٧ . (حاشية رقم ٤) ، المعجم الذهبي : مادة (دان) .

(٨) الطبرية : من الدراهم المضروبة في طبرستان ، وتسمى الطبرية العتق ايضا ، وهي نصف وزن الدرهم البغلي ، اي اربعة دوانق : الكرملي ، ص ٢٤ .

Walker, Op. Cit., P. cxlviii.

والمغربي ، واليمني (١). ولكن غالبية الدراهم التي كانت سائدة بين الناس، هي الدراهم البغلية ، او (السوداالوافية) (٢) والطبرية العتق (٣).

وعندما جاء الاسلام ، اقر التعامل بهذه النقود ، والاوزان التي كانت عليها (٤). ويقال ان الخليفة عمر بن الخطاب ، امر في سنة (١٨هـ/٦٣٩م) بضرب نقود جديدة على طراز النقود الساسانية ، وانه زاد في بعضها « الحمد لله » ، وفي بعضها « محمد رسول الله » ، وفي بعضها « لا اله الا الله وحده» (٥) ولكن لم يصل الينا شيء من هذه النقود .

اما الدراهم المنسوبة إلى عمر بن الخطاب ، المؤرخة بسنة (٢٠) (٦)، وبعضها موجود في المتحف العراقي (٧)، فان تاريخ سكها في الحقيقة ، لايعود إلى فترة حكم الخليفة عمر (١٣ ــ ٢٣هـ/٦٣٤ ــ ٦٤٤م). وقد نتج هذا الالتباس بسبب عدم التمييز بين التواريخ التي كانت تضرب بها النقود في ذلك الوقت . فقد استعملت ثلاثة تواريخ على النقود الساسانية الطراز التي وصلت الينا ، وهي : التاريخ الهجري ، وتاريخ يزدجرد الثالث (٦٣٢ ــ٦٥١م)، وتاريخ مابعد يزدجرد الثالث. فلم يكن لملوك الفرس تاريخ ثابت وبدلا من ذلك كان يبدأ تاريخ جديد مع بداية حكم كل ملك جديد ،

(١) المغربي يساوي ثلاثة دوانق ، واليمني دانقا واحدا : الاحكام السلطانية ،ص ١٥٤ .
(٢) اطلق عليها السود الوافية لاستيفائها الوزن الاساسي للدرهم : الدرهم زنة المثقال الذهب ، نسب قريش ، ص ١٧٧ ، مفاتيح العلوم ، ص ٧٤ ، النقشبندي ، الدرهم الاسلامي ، ص ٣ .
(٣) الاموال ، ص ٥٢٤ ، الاحكام السلطانية ، ص ١٥٤ ، مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٦٢، المقريزي ، ص ٤ .
(٤) فتوح البلدان : ص ٥٧٢ ــ ٧٣ ، المقريزي ، ص ٤ .
(٥) المقريزي ، ص ٤ ــ ٥ .
(٦) انظر : اسماعيل غالب ، موزة همايون ، ص ٢ .
(٧) انظر : الدرهم الاسلامي ، ص ٣٨ ، ٤٠ ، وداد القزاز الدراهم الاسلامية المضروبة على الطراز الساساني للخلفاء الراشدين في المتحف العراقي ، مجلة المسكوكات ، العدد ١ ،١٩٦٩، ص ١٣ ــ ١٥ .

فتاريخ يزدجرد الثالث : بدأ في السنة التي اعتلى فيها عرش اسلافه (١) وانتهى بوفاته . والنقود الساسانية التي سكت بأسمه أرخت لكل سنة من سني حكمه العشرين . اما النقود التي سكها العرب بعد موت يزدجرد الثالث فما زالت تحمل اسمه ، ولكن مع بعض الكتابات العربية في الحاشية ، وكلها تحمل تاريخ (٢٠) Fist في البهلوية . وان سنة (٢٠) الموجودة على هذه النقود تعني في الحقيقة السنة الاخيرة لحكم يزدجرد ، اي سنة سقوطه ووفاته وتعادل سنة (٣١ هـ/ ٦٥١ م) (٢) .

ومن جهة اخرى ، فان اسماء بعض اماكن الضرب المكتوبة على هذه النقود ، تبين بوضوح صحة هذه الحقيقة ، من ذلك مثلا ، الدرهم المنسوب إلى عمر بن الخطاب ، الذي ضرب في هراة سنة (٢٠) (٣)، بينما نعلم ان هراة لم تدخل في حوزة المسلمين في هذا الوقت المبكر (٤) . وكذلك الدراهم المضروبة في سجستان سنة (٢٠) (٥) ، وهي ايضا لم تفتح في هذا التاريخ (٦) .

اذا لايوجد هناك أي مجال اخر للافتراض ، سوى أن سنة (٢٠) المكتوبة على هذه النقود ، تعني انها مؤرخة بتاريخ السنة الاخيرة من حكم يزدجرد الثالث الذي انتهى في سنة (٣١) حسب التقويم الهجري (٦٥١ م) . ولهذا لايمكن أن تكون اية نقود قد ضربت في هراة وسجستان في عهد الخليفة عمر بن الخطاب .

أن هذا بطبيعة الحال ، لايعني أن النقود الساسانية الطراز لم تضرب في عهد الخليفة عمر ، ولكنها لايمكن أن تكون قد ضربت في تلك الاماكن

---

(١) Walker, Op. Cit., P. xxvii .

(٢) الطبري : ٢٨٧٢/١ . و Walker, Op. Cit., P. xxxv.

(٣) موزة همايون ، ص ٢ ، وهراة مدينة في خراسان ، معجم البلدان ٩٥٨/٤ .

(٤) فتوح البلدان : ٤٩٩/٣، ٥٠١ .

(٥) الدرهم الاسلامي ، ص ٣٨ ، ٤٠، وداد القزاز ، المرجع السابق ، ص ١٣ – ١٥.

(٦) فتوح البلدان : ص ٤٨٢ ، الطبري : ٢٧٠٥/١ .

البعيدة التي لم يصل اليها المسلمون اثناء خلافته . كما يحتمل أن تكون بعض الدراهم المضروبة على الطراز البيزنطي قد سكت باسمه ايضاً (١) . يضاف الى ذلك أن هناك من يرى أن خالد بن الوليد ، قد سك باسمه نقوداً في طبرية ، على الطراز البيزنطي سنة (١٥ أو ١٦ هـ / ٦٣٦ أو ٦٣٧ م) (٢) ، وهذا يناقض ماذكره المقريزي (٣) ، من أن عمر بن الخطاب ، هو أول من ضرب النقود في الاسلام (٤) .

وفي الحقيقة ، هناك الكثير من النقود المضروبة على الطراز الساساني ، وفيها اشارات أو كتابات عربية ، ولكنها لاتحمل اسماء أي من خلفاء أو امراء المسلمين قبل العهد الاموي (٥) ، حيث ضربت في هذا العهد . نقود مختلفة ، من قبل بعض الخلفاء والامراء ، الذين كتبوا اسماءهم عليها . من ذلك مثلا ، ماضربه معاوية بن أبي سفيان (٦) ، وزياد بن أبي سفيان (٧) وعبيد الله بن زياد (٨)، وعبد الله بن الزبير (٩) ، ومصعب بن الزبير (١٠) ،

---

(١) Walker, Acatalogue of the Arab-Byzantine and Post-Reform Umaiyad Coins, P. 46 .

(٢) Ibid, P. 47. تاريخ التمدن الاسلامي ٣٥/١ ، لمحة عن تاريخ النقود (منشور ضمن الكرملي) ص ٩١ .

(٣) كتاب النقود الاسلامية ، ص ٤ - ٥ .

(٤) يختلف الباحثون في هذا الامر ، فهناك من يقول ايضا ، ان الخليفة علي بن ابي طالب ، هو اول من ضرب النقود الاسلامية ، انظر ، العقد المنير ، ص ٤٥ - ٤٦ .

(٥) Walker, Acatalogue of the Arab-Sassanian Coins, PP.3ff.

(٦) المقريزي، ص ٥، موزة همايون، ص ٤، تاريخ التمدن الاسلامي: ٣٥/١، Walker, Op. Cit., PP. xxxviii, 25-26 ، الدرهم الاسلامي، ص٥٢- ٥٥ .

(٧) المقريزي، ص٥، موزة همايون، ص ٥، Walker, Op. Cit. PP. xLiv, 36 الدرهم الاسلامي، ص ٧٠ - ٧١ .

(٨) موزة همايون، ص ٦ - ٩، Walker, Op. Cit., PP. xLviii, 52 . الدرهم الاسلامي، ص ٧٧ - ٨٣ .

(٩) الدرهم الاسلامي، ص ٦٢ - ٦٧، Walker, Op. Cit., PP. xLii, 29,33

(١٠) فتوح البلدان: ص ٥٧٢، ٥٧٥، الاحكام السلطانية، ص ١٥٤ - ٥٥، مقدمة ابن خلدون، ص ٢٦١، الدرهم الاسلامي ص ١١١، Walker, Op. Cit., PP. Lvi, 102

وخالد بن عبدالله (١) ، وبشر بن مروان (٢) ، وقطرى بن الفجاءة (٣) ، والمهلب بن أبي صفرة (٤) ، وعبد الرحمن بن محمد بن الاشعث (٥) . وهذه النقود كلها ، ضربت على الطراز الساساني ، لكنهم كانوا يكتبون عليها بعض الكلمات العربية بالخط الكوفي . كما نقشوا على بعضها اسماء الخلفاء، او الامراء ، بمحل أسم الملك الفارسي ، بالحروف البهلوية او العربية (٦) .

وعندما تولى عبد الملك بن مروان الخلافة ، استمر في ضرب النقود على الطرازين ، الساساني (٧) ، والبيزنطي (٨) ، كما ضربها ايضاً الحجاج ابن يوسف على الطراز الساساني (٩) ، ولكن الى فترة مؤقتة فقط ، فقد قرر

---

(١) الدرهم الاسلامي، ص١٢٠ – ٢١، Walker, Op. Cit., PP. Lviii–Lix, 108
وداد القزاز «النقود الاسلامية المضروبة بالبصرة على الطراز الساساني» سومر، ٢٤، ١٩٦٨، ص ١٢٨ .

(٢) Walker, Op. Cit., PP. Lix. 109 ; Miles, Abyzantine Bronze Weight in the Name of Bishr ibn Marwan, Arabica; Ix, pp. 117 –18 . الدرهم الاسلامي، ص ١١٩.

(٣) الدرهم الاسلامي، ص ١٢٨، Walker, Op. Cit , PP. Lxi, 112
وداد القزاز «الدرهم الاسلامي المضروب على الطراز الساساني لقطري بن الفجاءة في المتحف العراقي» مجلة المسكوكات، العدد ٣، ١٩٧٢، ص ٤٦ – ٤٧ .

(٤) الدرهم الاسلامي، ص ١٢٩، Walker Op. Cit., PP. Lxii, 113

(٥) الدرهم الاسلامي، ص١٣١ ؛ Walker, Op. Cit., PP. Lxiii–Lxiv, 117
وداد القزاز «الدرهم الاسلامي المضروب على الطراز الساساني لعبدالرحمن بن محمد بن الاشعث في المتحف العراقي» سومر، م ٢٦، ١٩٧٠ ص ٢٨٩ .

(٦) الدرهم الاسلامي، ص ٢.

(٧) الدرهم الاسلامي، ص ٥٧ – ٥٨، Walker, Op. Cit . P. 27 .
عيسى سلمان «درهم عبدالملك بن مروان» سومر م ٢٦، ١٩٧٠، ص ١٦٣ – ٦٤.

(٨) Walker, Acatalogue of the Arab–Byzantine and Post Reform Umaiyad Coins, PP. 32ff النقشبندي، الدينار الاسلامي، ص ١٨،

(٩) Walker, Acatalogue of the Arab–Sassanian Coins,PP.117–21
الدرهم الاسلامي، ص ١٣٢ .

الخليفة أن يقوم بعملية شاملة لاصلاح وتعريب النقود في الدولة الاسلامية .

وهناك اختلاف في التاريخ الذي ابتدأ فيه هذا الاصلاح،فيذكر البلاذري(١) أن عبد الملك بن مروان ، ضرب شيئاً من الدنانير سنة (٧٤ هـ / ٦٩٣ م) ، ثم ضربها سنة (٧٥ هـ / ٦٩٤ م) ، ويؤكد مؤرخون اخرون (٢) ، أن بداية ضرب الدنانير كانت في سنة (٧٦ هـ / ٦٩٥ م) . ولكن أقدم دينار معرب ، اكتشف حتى الان ، يرجع سكه الى سنة (٧٧ هـ / ٦٩٦ م)(٣) . وفي هذه السنة الاخيرة ، ضرب عبد الملك ، اخر دينار على الطراز البيزنطي ، كما ضرب فيها أول دينار على الطراز الاسلامي الخالص (٤) .

ويعين كثير من المؤرخين سنة (٧٦ هـ / ٦٩٥ م) بداية لظهور الدراهم المعربة (٥) ، ولكن اسماعيل غالب (٦) ، يؤكد أن سنة (٧٩ هـ / ٦٩٨م) هي مبدأ سك هذا النقد ، ويوافقه على ذلك بعض المختصين بشؤون النقود، ومنهم (وولكر، J.walker)(٧) والنقشبندي (٨) ،وعبد الرحمن فهمي(٩)

---

(١) فتوح البلدان: ص ٥٧٥، وانظر: مقدمة ابن خلدون، ص ٢٦١ .
(٢) الاخبار الطوال، ص ٣٢٢، الطبرى: ٩٣٩/٢، الكامل في التاريخ: ٤١٦/٤، المقريزي، ص ٦ .
(٣) تاريخ جودت، ص ٢٧٨، موزة همايون، ص (مص)
Walker ,Acatalogue , of the Arab–Byzantine and Post–Reform Umaiyad Coins, p.84.
عيسى سلمان، المرجع السابق، ص ١٦٦،
(٤) الدينار الاسلامي، ص ٢٤، Walker, Op. Cit., PP. Lv 43
(٥) المعارف، ص ٣٥٧، الأخبار الطوال، ص ٣٢٢، الطبري: ٩٣٩/٢، الكامل في التاريخ: ٤١٦/٤، المقريزي، ص ٦، وفي مقدمة ابن خلدون، ص ٢٦١، ان السك ابتدأ سنة (٧٤ أو ٧٥هـ/٦٩٣ أو ٦٩٤م) ثم سكت الدراهم في سائر النواحي سنة (٧٦هـ/٦٩٥م).
(٦) موزة همايون، ص (مج)
(٧) A catalogue of the Arab–Sassanian Coins, P. cxii
(٨) الدرهم الاسلامي، ص ٢.
(٩) فجر السكة العربية، ص ٥١ .

. وقد ظهر في الاونة الاخيرة ، درهم معرب يعود تاريخه الى سنة (٧٨ هـ ٦٩٧ م) (١) ، ولهذا يبدو من الصعب تعيين تاريخ محدد لبدء عملية التعريب ولكن يمكن القول بصورة عامة ، أن فترة الاصلاح المالي التي تحررت في ختامها السكة (٢) الاسلامية من التقليد البيزنطي الفارسي ، ابتدأت من سنة (٧٥ هـ / ٦٩٤ م) فما بعد (٣) . وهناك من يعتبر أن اصلاح الدراهم خاصة ، بدأ سنة (٧٢ هـ / ٦٩١ م) ثم استقر في عام (٧٩ هـ / ٦٩٨ م) ، وقد استغرقت عملية فرضه على جميع محلات سك النقود عدة سنوات (٤).

ان الأسباب التي تقدمها بعض الروايات القديمة ، لهذا الاصلاح ، تبدو غير مقنعة ، وهي في مجملها تدور حول العلاقة بين ملك الروم ، وعبد الملك ابن مروان ، فقد أمر الأخير ، بكتابة (قل هو الله احد) (٥) على القراطيس أو (الطوامير) (٦) التي تحمل من مصر الى بلاد الروم ، فاستاء منها ملك الروم وأرسل يهدد عبد الملك ، ان يمحو هذه الاية من على القراطيس ، والا فانهم سيكتبون على النقود التي تأتي من الروم الى العرب ، مايسيء الى النبي محمد (ص) . وقد استشار عبد الملك ، خالد بن يزيد(٧) ، في هذا الأمر ، فنصحه

(١) حصلت عليه مديرية الاثار العراقية العامة في ١٩٧١/٣/٩ ، وهو من اندر الدراهم، انظر : عيسى سلمان، المرجع السابق، ص ١٦٦ .

(٢) السكة : تعبير له معان متعددة كلها تدور حول العملة، فيقصد بها النقود على اختلاف انواعها، كما يقصد بها احياناً النقوش التي تزين بها هذه النقود ويسمى بها ايضاً قوالب السك الحديدية التي تطبع النقود عليها، وتطلق ايضاً على الوظيفة التي تقوم على سك العملة: الاحكام السلطانية، ص ١٥٥، مقدمة ابن خلدون، ص ٢٢٦، ٢٦١، فجر السكة العربية ص ٣٨.

(٣) Walker, Op. Cit. Pxxv وفي وفجر السكة العربية، ص ٥١ - ٥٢ أن الاصلاح ابتدأ من سنة (٧٤هـ/٦٩٣م) .

(٤) Philip, The Monetary Reforms of Abd Al-Malik, p.246 .

(٥) سورة الاخلاص، الآية: ١

(٦) الطوامير : مفردها الطومار ، وهو الصحيفة: لسان العرب، مادة: (طمر).

(٧) خالد بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان، اشتهر بالعلم، وطلب الكيمياء، وقول الشعر، وكان سخياً، فصيحاً، توفي سنة (٨٥هـ/٧٠٤م) الاغاني: ٨٤/١٦ - ٨٥، وفيات الاعيان:=

بتحريم دنانيرهم ، وبسك النقود ، فضرب الدنانير والدراهم (١) ، ولكن (لافوكس Lavoix (٢) ، يرى ان هذه الأوراق لم تكن هي الدافع الى ضرب سكة اسلامية خالصة ، من قبل عبد الملك بن مروان ، لأن عبارات التوحيد ، والرسالة المحمدية ، كانت قد ظهرت على اعداد ضخمة من الدنانير ، وهذه النقود وصلت بلا شك الى ايدي البيزنطيين وعلمهم . يضاف الى ذلك ان تاريخ النزاع بين عبد الملك ، وملك الروم ، يسبق الفترة التي عربت فيها العملة ففي سنة (٧٠هـ / ٦٨٩ م) مثلا ، اضطر عبد الملك الى مصالحة الروم ودفع اتاوة كبيرة لهم(٣) ، ثم عاد وامتنع عن دفع المال ، بعد ان تخلص من مشاكله الداخلية ، فنشبت الحروب مرة اخرى سنة (٧٣هـ/٦٩٢ م) وانتهت بهزيمة الروم ، في عهد الملك جستنيان الثاني (٦٦ -٧٦هـ/٦٨٥ -٦٩٥م) (٤) .

فيمكن القول اذا ، ان الحرب مع الروم ، واما اثارته من مشاعر ، ومادت اليه من انقطاع في التجارة ، وقلة النقد ، كانت هي التي دعت عبد الملك ، الى الشروع في اصدار عملة خاصة ، فانشأ دورا وطنية لضرب النقود، وزين الدينار بكتابات تحمل عبارات مهيبة تنادي بتوحيد الله (٥) .

= ٢/٢١٤ - ١٩، وفي «المحاسن والمساوىء»: ٢/١٢٧ - ٢٩، و «حياة الحيوان»: ١/٧١ - ٧٣، ان الذي اشار على عبدالملك بذلك هو: محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب، الملقب بالباقر .

(١) عيون الاخبار: ١/١٩٨ - ٩٩، فتوح البلدان: ص ٢٨٣ - ٨٤، المحاسن والمساوىء: ٢/١٢٦ - ٢٩، الاوائل، ص ٢٠٥، الكامل في التاريخ: ٤/٤١٦ - ١٧، حياة الحيوان: ١/٧١ - ٧٣، المقريزي، ص ٦، النجوم الزاهرة: ١/١٧٦ - ٧٧ .

(٢) Catalogue des Monnaies Musulmanes dela Bibliotheque Nationale, PP. xiv, xv, xxv, nos. 1–55, pp.1–16 . (Paris, 1887 – 1896) نقلا عن: فجر السكة العربية، ص ٤٢ .

(٣) الطبري: ٢/٧٩٦، E. Gibbon, The History of the Decline *and Fall of the Roman Empire, Vol. VI, p. 377.*

(٤) الطبري: ٢/٨٥٣ Gibbon, Op. Cit., Vol. VI, p. 377, الخراج في الدولة الاسلامية، ص ١٩٤ .

(٥) الخراج في الدولة الاسلامية،ص١٩٨، Gibbon, Op. Cit , Vol. VI, P. 377

وهناك روايات أخرى تعزى دوافع الأصلاح النقدي ، الى ضبط المقادير الشرعية ، في النقود التي يتوجب دفعها للزكاة ، دون اضرار بالناس ، ولا بخس بالزكاة ، فجمع بين الدراهم السود الوافية ، والطبرية العتق ، واستخلص منهما درهم واحد ، يزن ستة دوانق ، وكل عشرة من هذه الدراهم ، تساوي سبعة مثاقيل ، فأجتمعت في اصلاح هذه الدراهم وجوه ثلاثة : « انه وزن سبعة ، وانه عدل بين الصغار والكبار ، (*) وانه موافق لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصدقة ، لاوكس فيه ولاشطط» (١)

ويرى ابن خلدون (٢) ، ان تفشي الغش والتزييف في الدنانير والدراهم كان أحد العوامل التي دفعت عبد الملك ، لأن يأمر الحجاج بضرب الدراهم وتمييز المغشوش من الخالص ، وذلك لصيانة النقدين الجاريين في معاملة المسلمين .

لقد كان اصلاح العملة ، الذي قام به عبد الملك والحجاج ، ضرورة اقتصادية شعرت بها الدولة ، فلقد توسعت الدولة الأسلامية شرقاً وغرباً ، وازدادت قوتها وقدرتها ، وتغلبت على العقبات والمشاكل الخارجية ، فأصبح من غير المعقول ، ان تبقى مثل هذه الدولة الكبيرة معتمدة في تعاملها التجاري والأقتصادي على نقود أجنبية ، اصبحت لاتفي بمتطلبات هذه الدولة ، ولا تتناسب مع سعتها ولامع نشاطها المالي وحاجاتها الأقتصادية ، يضاف الى ذلك أن هذه النقود الأجنبية ، قد دخل الى بعضها الغش والتزييف فأصبحت رديئة (٣) ، وادى ذلك الى نتائج خطيرة ، كان « من أهمها الغبن الذي يقع

(*) المقصود بالصغار : الدراهم الطبرية ، والكبار : الدراهم الوافية ، انظر : الاموال ، ص ٥٢٤ .

(١) الاموال ، ص ٥٢٤ ، وانظر : الطبري : ٩٣٩/٢ - ٤٠ ، مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٦٣ ، المقريزي ، ص ٧ - ٨ .

(٢) المقدمة ، ص ٢٦١ - ٦٢ .

(٣) الاحكام السلطانية ، ص ١٥٤ ، مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٦١ .

على الدولة في استيفاء حقوقها من الضرائب، فيؤدي ذلك الى نقص كمية الخراج » (١) .

وبالنسبة للعراق ، والأقاليم الشرقية خاصة ، كان من الضروري ضرب عملة جديدة : تقل في عيارها (٢) ، عن العملة الساسانية السابقة ، وذلك لزيادة واردات بيت المال ، بما يجنيه من فوائد الفرق بين العملتين وتخليص العملة من عمليات اذابتها وتحويلها الى سبائك ، ولزيادة النقود في الأسواق (٣) .

ومن الأسباب المهمة الأخرى التي أوحت الى هذا الأصلاح ، رغبة الأمويين في «مركزة وتنظيم الجهاز المالي » (٤) وذلك بسبب تطور العلاقات التجارية بين مختلف أجزاء الدولة . يضاف الى ذلك ، رغبة عبد الملك بن مروان في أعادة حق ضرب السكة الى الخلافة ، وحصره في شخص الخليفة وصبغ الدولة بالصبغة العربية الأسلامية . كما رغب أيضاً في العمل على استقرار الدولة اقتصادياً ، وهذا لايتم مادامت مقومات الدولة المالية تدور في فلك الدنانير المسكوكة على الطراز البيزنطي والساساني (٥) .

يتضح مما ذكر أعلاه ، أن الاصلاح جاء لاسباب سياسية عليا ، وتنظيمات مالية واقتصادية ، املتها واوجدتها ظروف الدولة في ذلك الحين ، ولم يكن هذا الاصلاح بايعاز من حوادث ثانوية ، كالتي تطرق اليها بعض المؤرخين القدامى ، وسبق أن المحنا اليها .

---

(١) عبدالملك بن مروان موحد الدولة العربية، ص ٢٧٩ .

(٢) يراد بالعيار عند ارباب ضرب الدراهم والدنانير، ما جعل فيها من الفضة الخالصة، او الذهب الخالص، الكرملي، ص ٤٤ (حاشية ٢) .

(٣) التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، ص ٢١٣، ٢١٥ .
وعن تخفيض عيار النقد، انظر، ص ١٧٣ - ١٧٤ من هذا البحث .

(٤) Belaev, Op. Cit., P. 188 .

(٥) فجر السكة العربية، ص ٥٢ - ٥٣ .

أن ماذكرنا ، يمثل دوافع الدولة العامة ، ومخططاتها للقيام بعملية الاصلاح النقدي الشامل ، وفي المناطق الشرقية بصورة خاصة ، اتصل هذا الاصلاح اتصالا مباشراً باسم الحجاج بن يوسف ، على الرغم من أن بداياته كانت قبل تعيينه على العراق ، فأنه هو ، على أي حال ، الذي اتم عملية الاصلاح ، وكان المسؤول عن فرضه على كثير من دور الضرب في الاقاليم الشرقية (١) .

لقد كانت دراهم مصعب بن الزبير في التداول عندما قدم الحجاج الى العراق ، فغيرها ، ويقال أنه ضرب نقوداً بغلية ، كتب عليها « بسم الله » في وجه و « الحجاج » في الوجه الاخر (٢)، ولكن ماعثر عليه من النقود لايؤيد هذه الرواية،ويبدو أن المؤرخين القدامى قد التبس عليهم قراءة الكلمة البهلوية المكتوبة بعد كلمة « بسم الله » ففسروها على انها (حجاج) بالعربية، كما وقع بذلك بعض المحدثين ايضاً مثل(فريدمان،Frdmann)،وفي الحقيقة أن هذه النقود تعود الى الحاكم العباسي في طبرستان (عمر بن العلا) (٣) .

وقد طور الحجاج النقود المضروبة على الطراز الساساني ، بصورة تدريجية وذلك بزيادة الكتابات العربية عليها،فضرب في مدينة اردشير خرّة (٤) سنة (٧٦هـ و٧٨ هـ/ ٦٩٥ و ٦٩٧ م) (٥) ، ومدينة بيشابور (٦) سنة (٧٨ هـ/

---

(١) Philip, Op. Cit., P. 244.

(٢) فتوح البلدان: ٥٧٥/٢، الاحكام السلطانية، ص ١٥٥، مقدمة ابن خلدون، ص ٢٦١، المقريزي، ص ٦ .

(٣) Walker, Op.Cit., PP. 199-200.

(٤) ارد شير خره: كورة في اقليم فارس، سميت بهذا الاسم نسبة إلى (ارد شير) احد ملوك الفرس، فتحت سنة (٢٣هـ/٦٤٣م)، ثم اعيد فتحها بعد سبع سنوات، وضرب بها آخر نقد على الطراز الساساني سنة (٧٨هـ/٦٩٧م): معجم البلدان: ١٩٩/١، Walker, Op. Cit., P. cxiii.

(٥) الدرهم الاسلامي، ص ١٣٢، Ibid, P. 118

(٦) بيشابور: كورة في اقليم فارس، فتحت ايام الخليفة عثمان بن عفان، وقد عرفت بأسمها العربي (سابور)، ضربت فيها النقود العربية – الساسانية، كما ضربت فيها النقود الاسلامية الخالصة: معجم البلدان: ٨٥٧/٤–٦٠، Walker, Op. Cit.' PP. cx, cxi

٦٩٧ م) (١) دراهم كتب عليها بالحروف الكوفية « الحجاج بن يوسف » و « بسم الله » و « لا اله الا الله وحده محمد رسول الله » ، ولكن بقيت على هذه النقود تصاوير الملك الفارسي كسرى الثاني (٥٩٠ — ٦٢٨ م) ، وصورة موقد النار ، والكتابات البهلوية التي تشير الى مدينة وسنة الضرب . وللمقارنة بين هذه النقود الساسانية الطراز، والنقود الاسلامية الخالصة ، ندرج ادناه المعلومات الخاصة بأحد هذه الدراهم العربية — الساسانية التي حصل عليها المتحف العراقي مؤخراً (٢). (أنظر الشكل رقم ١) . الوجه : يمثل صورة نصفية لملك الفرس كسرى الثاني ، على الجانب الايمن ، توجد كتابة بالخط الكوفي باسم « الحجاج بن يوسف » وخلف رأس الملك في الفراغ نقشت عبارة بالبهلوية تعني الدعاء له . أما في الهامش فكتبت العبارات التالية : بسم الله لا اله الا الله وحده محمد رسول الله . وقد نقشت بالخط لكوفي .

الظهر : على مركز الظهر توجد صورة موقد النار على شكل مذبح وعلى جانبيه ، حارسان ، او ناظران ، او كاهنان ، وعلى جهة اليمين كتابة بالخط البهلوي تشير الى مدينة الضرب بيشابور ، وعلى جهة اليسار كتابة بنفس الخط تشير الى سنة الضرب ٧٨ (٣) .

أن عدد دور السك التي استخدمت لضرب هذه النقود العربية — الساسانية كان يسيراً ، منها مثلا سابور (بيشابور) ، واردشير خرة ، ودار مجهولة أخرى (٤) ، ويعلق (ووكر) (٥) على هذه الاماكن بقوله : « أنه من العجيب

---

(١) انظر : وداد القزاز : «الدرهم الاسلامي المضروب» على الطراز الساساني للحجاج بن يوسف الثقفي مجلة المسكوكات، العدد ٢، ١٩٦٩، ص ٢٩ — ٣٠ .

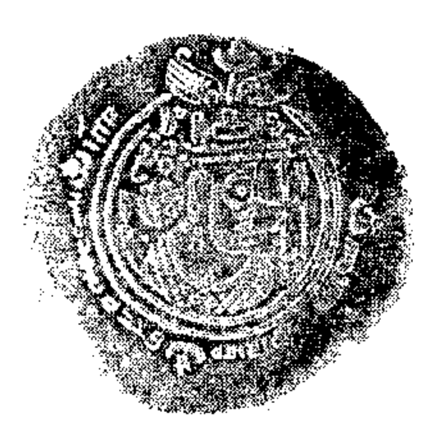
(٢) رقمه ١١ أ — ص، ضرب في مدينة بيشابور سنة (٧٨هـ/٦٩٧م)، انظر : المرجع السابق، ص ٢٩ — ٣٠ .

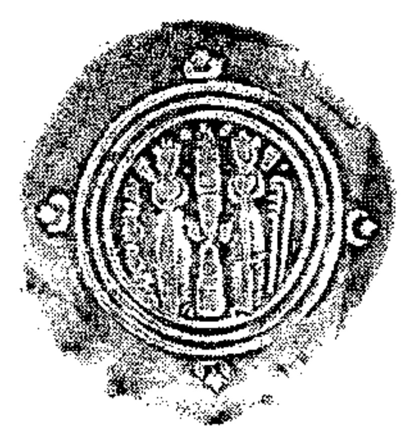
(٣) نفس المرجع، ص٣٠، وانظر أيضاً الدرهم المرقم(299) في: Walker Op.Cit.,P.118.

(٤) Ibid, PP. Lxv, 121 .

(٥) Ibid, P. Lxv.

الوجه الظهر





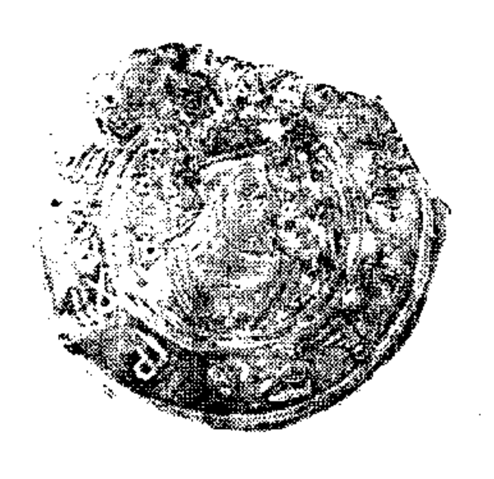
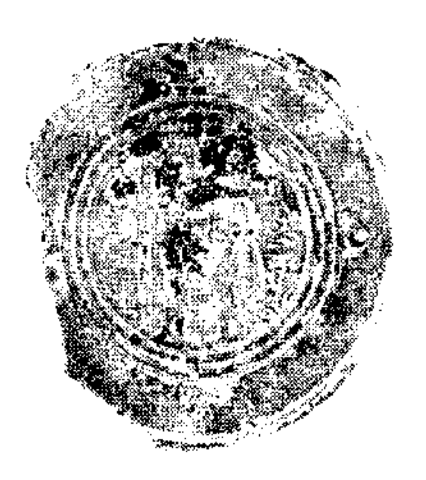
شكل رقم (١)

الا تكون البصرة قد مثلت خلال العدد اليسير من دور الضرب التي استخدمها الحجاج ، وكما يظهر فأن (وولكر) لم يطلع على بعض هذه الدراهم الساسانية الطراز المضروبة في البصرة ، والتي تعود الى هذا العهد . وقد اتيح لي الاطلاع على بعض هذه الدراهم،خلال دراستي لنقود الحجاج بن يوسف في المتحف العراقي ، ويعتبر أحد هذه الدراهم (١) من الدراهم النادرة ، لان سنة ومدينة الضرب ، مكتوبة عليه بالحروف العربية ، بينما كتبت على بقية النقود التي وصلت الينا بالحروف البهلوية . (انظر الشكل رقم ٢)

لقد ظهرت النقود الاسلامية الخالصة ، نتيجة للاصلاح النقدي الذي ابتدأه عبد الملك بن مروان في بلاد الشام، ولتنفيذ هذا الاصلاح في العراق والاقاليم الشرقية امر عبد الملك الحجاج بضرب الدراهم على خمسة عشر قيراطا من قراريط الدنانير (٢) .

(١) رقمه (١٤١٢٣ مس) ضرب بالبصرة سنة (٧٥ هـ/٦٩٤ م) ، وهناك درهم أخر ضرب بالبصرة أيضاً سنة (٧٦ هـ/٦٩٥ م) : رقمه (٦٤١٢ مس) .

(٢) فتوح البلدان : ص ٥٧٢ ، والقيراط ، وزنه عند الجوهريين ، نصف دانق ، أي أربع حبات ، أو (٢٢) سنتيغراما ، والكلمة هي تعريب اليونانية (Keration) : الكرملي ص ٢٨ .

شكل رقم (٢)

سميت هذه الدراهم الجديدة باسم السميرية ، نسبة الى سمير اليهودي(١)، الذي ضربها للحجاج اثناء الاصلاح العظيم للنقود . ولقد ضربت هذه النقود على عيار مخفض بالنسبة للدراهم الساسانية السابقة ، واصبحت تساوي ستة دوانق وهي معدل اوزان الدرهم البغلي ، والدرهم الطبري (٢) . ولقد ذكر الفقهاء والمؤرخون القدامى ، ان نسبة الدرهم إلى المثقال هي ١٠–٧ (٣) ، ولذلك يجب أن يكون معدل وزن الدرهم لما بعد الاصلاح هـــو (٢,٩٧) غم،ولكن المعدل الفعلي لوزن نماذج الدراهم الاسلامية الخالصة التي وصلت الينا ، باستثناء التالفة منها او المقروضة هو اقرب إلى (٢,٩٠) غم ، وليس أكثر من ذلك (٤) . وعلى أي حال فأن الوزن التقريبي للدرهم

(١) يهودي من تيماء (بلدة في أطراف الشام) ضرب النقود للحجاج فسميت بأسمه : فتوح البلدان : ص ٥٧٥ ، المقريزي ، ص ٩ ، الكرملي ، ص ٣٥ (حاشية ١)

(٢) الأموال ، ص ٥٢٤ ، مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٦٣ ، المقريزي ، ص ٧ – ٨ ، Walker, Op. Cit., P. cxLix .

(٣) الأموال ص ٥٢٤ ، الطبري : ٩٣٩/٢ ، الأحكام السلطانية ص ١٥٤ .

(٤) Walker, Acatalogue of the Arab-Byzantine and Post-Reform Umaiyad Coins, P. xcv.

الفضي الجديد (٢,٩٧) غم أصبح يطلق عليه اسم الدرهم الشرعي (١) ، ويذكر (زامباور Zambour) (٢) ، انه ربما كان الخليفة عمر هو أول من قرر أن الوزن الشرعي للدرهم هو (٢,٩٧) من الغرامات. ويبدو أن (زامباور) اعتمد على ماذكره الماوردي (٣) ، من ان الخليفة عمر بن الخطاب ، هو الذي امر بأخذ معدل أوزان الدراهم البغلية ، والطبرية ، فكان ستة دوانق فضرب الدراهم على هذا الوزن ، ولكن هذا الخبر لم يوثق من بقية المصادر الاخرى .

لقد اطلق على هذه النقود الجديدة التي ضربها الحجاج بن يوسف اسم «المكروهة» ، وتعلل بعض الروايات (٤) هذه التسمية تعليلاً دينياً ، هو أن الحجاج كتب عليها بعض الآيات القرآنية ، فكره الفقهاء ذلك ، فسميت بالمكروهة ،لأن الناس قد يحملونها على غير طهارة.وتعلل رواية أخرى (٥) سبب ذلك ، أن الأعاجم كرهوا نقصانها. ويمكن أن يكون هذا صحيحاً لأن هذه النقود ، نقص عيارها عن النقود الساسانية السابقة بنسبة $\frac{٧}{١٠}$ مما أدى إلى استياء الناس من ذلك ، فسموها المكروهة (٦) .

أن المعلومات التي بين ايدينا تؤيد أن تحرج الفقهاء من هذه النقود لم يكن كما صورته الروايات موجهاً الى ماعليها من نقوش وآيات . فنحن لانسمع

Walker, Acatalogue of the Arab-Sassanian Coins, P.cxLvii (١)

أما معدل وزن الدراهم الساسانية الطراز ، فهو (٣,٩٠٦) غم : ibid , P. cxLvii.

(٢) دائرة المعارف الأسلامية ، مادة : (درهم) .

(٣) الأحكام السلطانية ، ص ١٥٤ .

(٤) فتوح البلدان : ص ٥٧٥ ، قدامة ، الورقة ٢٢ ب ، الأوائل ، ص ٢٠٦ ، الأحكام السلطانية ، ص ١٥٤ ، الكامل في التأريخ : ٤١٧/٤ ، تأريخ ابن خلدون م ٣ ، قسم ١ ص ١٠٠ ، المقريزي ، ص ٨ ، النجوم الزاهرة : ١٧٧/١ .

(٥) فتوح البلدان : ص ٥٧٥ ، الأحكام السلطانية ص ١٥٤ .

(٦) التنظيمات الأجتماعية والأقتصادية في البصرة ص ٢١٣ - ١٤ ،

Walker, Op. Cit. PP. cxLvii, cxLix .

الا بعدد ضئيل من هؤلاء الفقهاء الذين ابدوا تحرجهم منها ، من امثال محمد ابن سيرين (١) وانس بن مالك ، اللذين كانا لايبيعان ولا يشتريان بهذه الدراهم (٢) وفيما عدا ذلك لم ينكرها أحد من أصحاب رسول الله (ص) ، أو غيرهم من التابعين في المدينة (٣) . وكان سعيد بن المسيب (٤) ، يبيع ويشتري بها ، ولايعيب من أمرها شيئاً (٥) . وقد سئل مالك بن انس (ت ١٧٩ هـ/ ٧٩٥ م) عن تغيير كتابة الدنانير والدراهم، لما فيها من كتاب الله،عز وجل ، فقال : « اول ماضربت على عهد عبد الملك بن مروان والناس متوافرون فما أنكر أحد ذلك ، وما رأيت أهل العلم انكروه ، ولقد بلغني أن ابن سيرين كان يكره أن يبيع بها ويشتري،ولم أر أحداً منع ذلك ههنا ، يعني رحمه الله تعالى أهل المدينة النبوية » .(٦)وقد قيل لعمر بن عبد العزيز ، أن يأمر بمحو الايات من على هذه الدراهم فرفض قائلا : « اردت (*) أن تحتج علينا الأمم، ان غيرنا توحيد ربنا ، واسم نبينا ، صلى الله عليه وسلم» (٧)

ان السير بالاصلاح إلى درجته النهائية ، كان يتطلب اشرافاً تاماً من قبل الدولة على ضرب النقود ، فحاول الحجاج أن يحرم الدهاقين من سك النقود والتلاعب بالعملة ، الامر الذي كان يدر عليهم ارباحاً طيبة ، فسأل عما كانت تعمل به الفرس في ضرب الدراهم ، ثم اتخذ دوراً خاصة للضرب ،

---

(١) محمد بن سيرين ، يكنى أبا بكر ، مولى انس بن مالك ، كان فقيها أماماً كثير العلم . توفي سنة (١١٠ هـ/٧٢٨ م) : طبقات ابن سعد ، جـ ٧ ، قسم ١ ص ١٤٠ — ٥٠ ، طبقات خليفة ، ص ٢١٠ ، المعارف ، ص ٤٤٢ — ٤٣ .
(٢) طبقات ابن سعد ، جـ ٧ ، قسم ١ ، ص ١٤٧ ، العقد الفريد : ٥/٤٩ .
(٣) فتوح البلدان : ص ٥٧٢ .
(٤) سعيد بن المسيب بن حزن ، من افقه أهل الحجاز ، وسيد التابعين ، توفي سنة (٩٤ هـ/٧١٢ م) طبقات خليفة ، ص ٢٤٤ ، المعارف ، ص ٤٣٧ — ٣٨ ، البداية والنهاية : ٩/٩٩ — ١٠٠
(٥) المقريزي ، ص ٧ .
(٦) نفس المصدر ص ٩ .
(*) في الأصل « اردت » بالضم ، والسياق يقتضي الفتح .
(٧) المقريزي ص ٩ .

وجمع فيها الطباعين (١) والصناع (٢) ؛ وجعل ضرب النقود من حق الدولة وحدها ، كما منع استخدام اواني الذهب والفضة في الشرب ؛ وكسر ماوجده منها في العراق وفارس ، واستخدمه في ضرب النقود (٣) . وسمح للتجار الذين كانوا يرغبون بضرب نقودهم الخاصة ، بسكها في دور السك التابعة للدولة ، بعد دفع اجرة معينة (٤) ؛ قدرت بدرهم واحد عن سك كل مئة درهم ، وذلك عن ثمن الحطب واجر الضرابين (٥) ، وقد ختم على ايدي الصناع والطباعين منعاً من تلاعبهم (٦) ، ثم بالغ في تخليص الذهب والفضة من الغش (٧) .

ويبدو أن محاولات قد جرت من قبل الأفراد لسك العملة ؛ خارج دور الضرب التابعة للدولة ، من ذلك مثلاً ، ماقام به سُميْر اليهودي ، الذي حاول سك دراهمه من الفضة الخالصة المخلوطة بالذهب . وعلى الرغم من تفوق عيار هذه الدراهم ، على عيار نقود الحجاج ، فأنه لم يعف عنه ، الا بعدما تعهد له بوضع الأوزان والسَنج (٨) . وكان الناس لايعرفون الوزن ، انما يزنون النقود بعضها ببعض ، ويتعاملون بالعدد أيضاً ، فلما

(١) جمع طباع ، وهو الذي ينقش الدراهم أو السيوف أو يصوغها : لسان العرب ، مادة : (طبع) ، الكرملي ، ص ١٤ (حاشية ١) .

(٢) فتوح البلدان : ص ٥٧٥ ، قدامة ، الورقة ٢٢ ب ، التنظيمات الأجتماعية والأقتصادية في البصرة ، ص ٢٥٨ — ٥٩ .

(٣) البيروني ، الجماهر في معرفة الجواهر ، ص ٢٦٤ .

(٤) فتوح البلدان : ص ٥٧٥ ، قدامة ، الورقة ٢٢ ب .

(٥) المقريزي ص ٧ .

(٦) فتوح البلدان : ص ٥٧٥ ، قدامة ، الورقة ٢٢ ب .

(٧) تأريخ ابن خلدون ، م ٣ ، قسم ١ ، ص ١٠٠ .

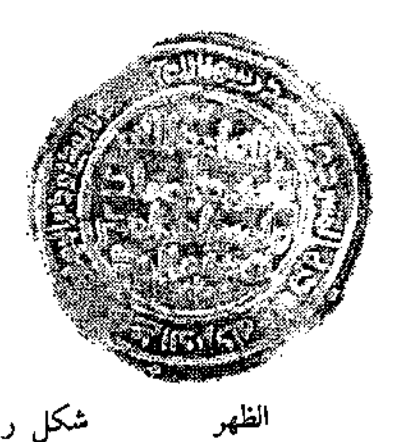
(٨) السنج أو الصنج : كلاهما بالفتح ، من الفارسية (سنجة) أي الميزان ، ويراد بها في الأصطلاح العيار (poids) : ادى شير ، ص ٩٥ ، الكرملي ، ص ٢٩ (حاشية ١) ، صنج السكة في فجر الأسلام ص ١ .

وضع لهم سمير السنج ، كف بعضهم عن غبن بعض (١) . ويظهر أن محاولة سمير هذه ، قد جاءت قبل ان يستخدمه الحجاج في الاشراف على ضرب النقود الاسلامية الخالصة للدولة ، والتي عرفت ايضاً باسمه ، كما سبق واشرنا إلى ذلك (٢) .

أصبحت النقود الاسلامية الجديدة ، ذات طابع يختلف عن النقود السابقة ، فهي قد تحررت نهائياً من التأثيرات الساسانية ، فقد أمر الحجاج أن ينقش على وجه الدرهم « قل هو الله أحد » وعلى الوجه الآخر « لا اله الا الله » وطوق الدرهم على وجهيه بطوق ،وكتب في الطوق الواحد : «ضرب هذا الدرهم بمدينة كذا» ، وفي الطوق الآخر : «محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (٣) » . ويؤيد هذا ماوصل الينا من دراهم الحجاج المضروبة على الطراز الاسلامي الخالص، وعلى سبيل المثال ، ندرج أدناه المعلومات المتعلقة بأحد هذه الدراهم التي ضربت في البصرة سنة (٨٠هـ/٦٩٩م) (٤) (انظر الشكل رقم ٣) :

لقد اصبحت كل الدراهم المعربة على هذا الشكل من الضرب الخالي من التصاوير والتأثيرات الأجنبية الأخرى ، وتجدر الاشارة ، الى ان بعض دور الضرب استمرت في سك النقود العربية — الساسانية ، بعد اصلاح العملة(٥)،

(١) الأوائل ص ٢٠٦ ، الكامل في التأريخ : ٤١٧/٤ ، النجوم الزاهرة : ١٧٧/١ .
(٢) فتوح البلدان:ص ٥٧٥،المقريزي ص ٦ Walker, Op. Cit ., P. cxLix
الدرهم الأسلامي ، ص ٤ ، وراجع ص ١٧٤ من هذا الفصل .
(٣)المقريزي ص ٧ .
(٤) النقشبندي « الدرهم الأموي المضروب على الطراز الأسلامي الخالص » سومر ، م ١٤ ، ١٩٥٨ ، ص ١١٠ ، وانظر أيضاً :
Walker, Acatalogue of the Arab–Byzantine and Post–Reform Umaiyad Coins, PP. 104, 125 f.
Walker, Acatalogue of the Arab–Sassanian Coins, P. cxi,(٥)
فجر السكة العربية ، ص ٢٦٢ .





الظهر — شكل رقم (٣) — الوجه

المركز : (الوجه)
لا اله الا
الله وحده
لاشريك له

المركز : (الظهر)
الله احد الله
الصمد لم يلد
ولم يولد ولم يكن
له كفوأ أحد

الطوق : بسم الله ضرب هذا الدرهم بالبصرة في سنة ثمنين.

الطوق : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

خاصة في المناطق الشرقية ، وكانت آخر النقود الاموية التي ضربت على الطراز الساساني ، قد أرخت في سنة (٨٣هـ/٧٠٢م(١) . اما في الأماكن البعيدة كطبرستان وبخارى ، فان ضرب النقود العربية ـ الساسانية فيها استمر الى العهد العباسي(٢) .

---

(١) الدرهم الأسلامي ، ص ١٠ ، ١٢٣ ، Walker,Op. Cit., ppxxv, 120

(٢) Philip, Op. Cit ., P. 246;Walker, Op. Cit . PP. xv, xxv . الدرهم الأسلامي ، ص ١٠ .

وقد ضربت العملة الفضية الجديدة في سنة (٧٩هـ / ٦٩٨ م) في مدن عديدة (١) ، كالبصرة ، والكوفة ، وميسان(٢) . وجيّ (٣) ، وسوق الاهواز (٤) ، وماه البصرة(٥) ، ومرو(٦) . ويبدو ان الحجاج قد اهتم بضرب هذه النقود اول الأمر في المدن الرئيسة ، كالكوفة والبصرة ، ففي متاحف النقود العالمية ، الكثير من الدراهم التي ضربت في هاتين المدينتين اعتبارا من سنة (٧٩هـ/٦٩٨م) (٧) . وآخر ماوصل الينا من دراهم الكوفة

(١) J. Kirkman, The Minsts of Iraq during the Ommayad and Abbasid Periods, Sumer, Vol. I, 1945 p. 16; Walker, Acatalogue of the Arab–Byzantine and Post–Reform Umaiyad Coins, PP. 125, 135, 173, 175, 179 185.

وهناك دراهم ليس عليها مايشير الى اسم مدينة الضرب ، ومنها درهم في المتحف البريطاني برقم Ibid, P. 104 : (KH4)

(٢) ميسان : (سبق شرحها) ، ضربت فيها الدراهم الاسلامية ، منذ سنة (٧٩-٩٧هـ/٦٩٨-٧١٥م) ، Walker, Op. Cit., P. xci

(٣) جي : اسم مدينة اصبهان القديمة ، ضربت فيها الدراهم الاسلامية الخالصة من سنة (٧٩-١٠٢هـ/٦٩٨-٧٢٠م) ، معجم مااستعجم: ٤١٢/٢ مراصد الأطلاع : ٢٨٠/١ ، Walker Op. Cit., P. Lxxvii

(٤) سوق الأهواز : مدينة في الأهواز ، وهي العاصمة العربية لولاية خوزستان ، ضربت فيها الدراهم الاسلامية الخالصة ، منذ سنة (٧٩-٩٨هـ/٦٩٨-٧١٦م) : معجم البلدان : ٤١٠/١-١١ ، Walker, Op. Cit ., P. Lxxxii

(٥) ماه البصرة : هي الدينور ، ضربت فيها نقود الاصلاح سنتي (٧٩ و ٨١هـ/٦٩٨ و ٧٠٠م) فقط : معجم البلدان ٤٠٥/٤ ، Walker, Op. Cit., P. Lxxxviii

(٦) مرو : مركز اقليم خراسان ، فتحت زمن عثمان بن عفان ، وضربت فيها نقود الاصلاح من سنة (٧٩-١١٠هـ/٦٩٨-٧٢٨م) : البلدان ، ص٢٧٩، Walker, Op. Cit., P. Lxxxix.

(٧) النقشبندي ، الدرهم الأموي المضروب على الطراز الاسلامي الخاص ، ص١٠٠ ؛ ١١٢، فجر السكة العربية ، ص٣٣٧ Walker, Op. Cit , pp. 125 -26, 173 -74.

في هذا العهد ، يعود تاريخه الى سنة (٨٢هـ / ٧٠١م) (١) .ويظهر ان ضرب الدراهم ، في هذا العهد ، قد استمر في البصرة الى ابعد من هذا التاريخ ، ففي المتحف العراقي ، درهمان يعود تاريخ اولهما الى سنة (٨٣هـ/٧٠٢م(٢) والثاني الى سنة (٨٦هـ/٧٠٥م) (٣) .

ومن المعلوم أن من أهم العوامل التي تقرر اختيار المكان لسك النقود ، هي أهميته الادارية والاقتصادية (٤)، وهذا ينطبق بصورة تامة على مدينة واسط، التي ضربت فيها الدراهم في كل سنة من عهد الحجاج ، اعتباراً من سنة (٨٤ هـ / ٧٠٣ م) والى وفاته سنة (٩٥ هـ / ٧١٤ م) (٥) ، ولم يتوقف ضرب الدراهم فيها بعد وفاته ، بل اصبحت بعد نحو من عشر سنوات ، وبأمر الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ — ١٢٥ هـ / ٧٣٢ — ٧٤٢ م) المصدر الوحيد لضرب الدراهم في المشرق الاسلامي ، حتى سقوط الدولة الاموية (٦) .

لم يقتصر ضرب النقود على العواصم ، والمدن القريبة فقط ، بل ضربت في بقية المدن الكبرى التي كانت مقرات للعمال العرب (٧) ، فقد عمم الحجاج ضرب السكة الاسلامية على الاقاليم التابعة له ، كما اوجب على المسؤولين فيها كتابة تقرير شهري بما يتجمع لديهم من المال ليتولى احصاءه بنفسه ، وأن تحمل اليه الدراهم المضروبة اولا فأولا (٨) .

---

(١) درهم المتحف العراقي المرقم(١٤٣٢٩ مس) . Walker Op. Cit., P. 174.
(٢) الدرهم المرقم (١٢٨٢٠ مسم) .
(٣) الدرهم المرقم (٢٣ص) .
(٤) العلي «مراكز السك الساسانية في العراق ، اهمية وأساليب دراستها» مجلة المسكوكات ، العدد٣ ، ١٩٧٢ ، ص١٩ .
(٥) Walker , Op. Cit', PP. 191–93 . النقشبندي،المرجع السابق ص١١٣–١٤ ١٢١–٢٣، وقد أشار إلى درهم ضرب في واسط سنة (٨٣هـ/٧٠٢م)، فجر السكة العربية ص ٢٧٨–٨٢ .
(٦) المقريزي ، ص٦ ، Kirkman, Op. Cit. p. 16 .
Walker, Op. Cit., PP. Lxiii, 193–200.
(٧) Belaev, Op. Cit, P. 188 .
(٨) المقريزي ، ص٧ .

وهناك مدن أخرى ، استخدمت بكثرة لضرب النقود في هذا العهد ، واستمر قسم منها في الضرب حتى بعد عهد الحجاج ايضاً ، من ذلك مثلا اردشير خره ، التي ضربت فيها النقود الاسلامية الخالصة من سنة (٨٠ — ٩٩ هـ / ٦٩٩ — ٧١٧ م) (١) ، ومدينة الري (٢) ، وكرمان (٣) ، وسابور (٤) ، ونهر تيري (٥) .

وتوجد مدن عديدة أخرى ، استخدمت كلها لضرب الدراهم الاسلامية الخالصة في هذا العهد (٦) ، مما يدل على توسع النشاط المالي والاقتصادي للدولة وللافراد ، مما أدى الى زيادة حاجتهم الى هذه النقود الجديدة، كما يدل أيضاً على نجاح سياسة الاصلاح النقدي التي نفذها الحجاج بن يوسف الثقفي في العراق والاقاليم الشرقية التابعة له .

---

(١) النقشبندي ، المرجع السابق ، ص١٤٤ ؛ Walker, Op. Cit., P. Lxxi
فجر السكة العربية ، ص٣٣٠ .

(٢) الري : مدينة مشهورة من أمهات البلاد ، وهي قصبة بلاد الجبال ، وكانت من أعظم دور ضرب النقود الساسانية الطراز ، ثم استمرت في ضرب النقود الاسلامية الخالصة بعد الاصلاح من سنة (٨١-٩٨هـ/٧٠٠-٧١٦م) : معجم البلدان : ٨٩٢/٢،
Walker, Op. Cit., P. Lxxx

(٣) كرمان : مدينة مشهورة في ولاية كرمان المجاورة لولاية فارس ، ضربت فيها النقود الاسلامية الخالصة بعد الاصلاح ، من سنة (٩٠-١٠٣هـ/٧٠٨/٧٢١م): معجم البلدان : ٣١٣/٤-١٤ ، Walker , Op. Cit., P. Lxxxvii

(٤) وتسمى بيشابور أيضاً ، ضربت فيها النقود الاسلامية من سنة (٨٠-٩٩هـ/٦٩٩-٧١٧م)
Walker, Op. Cit., p. Lxxx.

(٥) نهر تيري : بلد من نواحي الأهواز ، ضربت فيها الدراهم الاسلامية ، من سنة (٨٠-٩٧هـ ٦٩٩-٧١٥م)/: معجم البلدان /٨٣٧/٤ ، Walker, Op. Cit., P. xci

(٦) للاطلاع على أسماء هذه المدن والنقود التي ضربت فيها انظر : النقشبندي ، المرجع السابق، ص١١٠-٢٤، Walker, Op. Cit., (Passim) فجر السكة العربية ، ص ٣٣٣-٧٧.

(٢) الجزية والخراج ومحاولة رفع مستوى الجباية(*)

الجزية : ضريبة تفرض على أهل الذمة . وقد ثبتت بنص من القرآن (١) ، وبحثها الفقهاء والمؤرخون (٢) . والجزية قديمة لم يكن المسلمون أول من فرضها ، فقد أخذها اليونان والرومان والفرس من رعايا الأمم التي أخضعوها، وكان مقدارها يعادل سبعة أضعاف الجزية التي فرضها المسلمون . (٣) واول من أخذ الجزية في الأسلام ، هو الرسول (ص) ، فقد أخذها من أهل اليمن، ومن مجوس البحرين ، ثم أقرها الخلفاء الراشدون من بعده . (٤) وتؤخذ الجزية من العرب — سوى بني تغلب (٥) — اذا كانوا أهل كتاب ، أما الأعاجم ، فتقبل منهم سواء كان لهم كتاب ، أم لم يكن لهم كتاب ، وكانوا عبدة أوثان ، (٦) أي انهم انزلوا بمنزلة أهل الكتاب . والعلة في أخذ الجزية منهم في رأي أبي يوسف ، (٧) لأن دماءهم واموالهم ، انما أحرزت بأداء الجزية ، والجزية بمنزلة مال الخراج .

(*) أي واردات الدولة .

(١) سورة التوبة ، الآية : ٢٩ .

(٢) ابو يوسف ، ص١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٨ فما بعدها ، الاموال ، ص٢٦-٢٧، ٣٢ فما بعدها ، الطبري ، اختلاف الفقهاء ، ص٢٠٠ فما بعدها ، الصولي ، ص٢١٣-١٦ قدامة (منشور مع كتاب Taxation in Islam Vol II) ، ص٢٧ T ، الأحكام السلطانية ، ص١٤٢، ١٤٣، السرخسي : المبسوط : ٧٩/١٠ فما بعدها

(٣) تاريخ التمدن الاسلامي : ٢١٩/١ ، حسن ابراهيم وعلي ابراهيم حسن ، النظم الاسلامية، ص٢٤٧ .

(٤) ابو يوسف ، ص١٢٨-١٣١ ، الاموال ، ص٣٢-٣٣، قدامة ، المصدر السابق ص ١١٨ .

(٥) لقد كره هؤلاء الجزية ، كما رغبوا عن دخول الاسلام لحديث عهدهم بالنصرانية فتراضوا مع عمر بن الخطاب على أن يأخذ منهم الصدقة مضاعفة بدلا من الجزية : أبو يوسف، ص٦٦-٦٧ ، يحيى بن آدم ، ص٦٣ ، الاموال، ص٢٨-٢٩، فتوح البلدان : ص ٢١٦-١٧، الطبري ٢٥٠٩/١-٢٥١٠ .

(٦) أختلاف الفقهاء ، ص٢٠٠ .

(٧) الخراج ، ص١٢٣

أما مقادير الجزية ، فكانت في عهد الرسول (ص) ، وابي بكر ، ديناراً واحداً على كل حالم (١)، ثم أصبحت في عهد عمر بن الخطاب فما بعد، على الموسر ثمانية واربعين درهماً ، وعلى الوسط أربعة وعشرين ، وعلى من من دون ذلك أثني عشر درهماً ، يؤخذ ذلك منهم كل سنة مرة واحدة ، وتجب الجزية على الرجال دون النساء والصبيان ، ولا تؤخذ من المسكين الذي يتصدق عليه، ولامن الأعمى الذي لاحرفة له ولاعمل ،ولا من المقعد، ولامن الرهبان واهل الصوامع ، الا اذا كانوا من أهل اليسار، ولا من الشيخ الكبير الذي لايستطيع العمل ، ولامن المجنون (٢) . واذا أسلم الذمي ، سقطت عنه الجزية . (٣)

الخراج : وهو اصطلاح عربي ورد في القرآن الكريم : « أم تسألهم خرجاً فخراج ربك خير وهو خير الرازقين » (٤) وهو في كلام العرب أسم للكراء والغلة ، (٥) بمعنى اجرة للأرض ، فالدولة اذا أعطت الأرض بخراج معلوم ، كالرجل يكري أو يؤجر أرضه بأجرة مسماة (٦) . والخراج ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدي عنها (٧) . وقد استعمل هذا التعبير في ارجاء الدولة الأسلامية كافة ، ولكن كانت له مدلولات مختلفة وبالنسبة للعراق ، فقد أطلق على الضريبة التي تجبي من الأراضي المفتوحة

(١) نفس المصدر ، ص١٢٨ ، يحيى بن آدم ، ص٦٨ ، الاموال ، ص٢٦-٢٧ ، الصولي ص٢١٥ .

(٢) أبو يوسف ص١٢٢-٢٣، الاموال ، ص٣٧ فما بعدها ، اختلاف الفقهاء ، ص٢٠٤ فما بعدها ، الأحكام السلطانية ، ص١٤٤ .

(٣) أبو يوسف ص١٢٢ .

(٤) سورة المؤمنون ، الآية : ٧٢ .

(٥) الاموال ، ص٧٣ ، الاحكام السلطانية ، ص١٤٦ .

(٦) الاموال ، ص٧٣ ، لسان العرب ، مادتي : (كرا) و (غلل).

(٧) الاحكام السلطانية ، ص١٤٦ .

التي يزرعها أهل الذمة ، ثم أصبح يطلق على الضريبة التي تؤخذ من الأراضي التي فتحت عنوة حتى لو امتلكها المسلمون . (١)

وقد وضعت أسسه في عهد عمر بن الخطاب ، وذلك عندما رفض أن أن يقسم السواد بين الفاتحين ، واعتبره ملكاً لجميع المسلمين ، فأمر بمسح أراضيه وابقائها بيد أصحابها من الفلاحين لممارسة الزراعة فيها ، ثم وضع الخراج عليهم بنسب معلومة ، (٢) ويؤخذ الخراج مع الكفر والأسلام.(٣)

ورد في كثير من المصادر خلط في استعمال مصطلحي الجزية والخراج فأستعمل كل منهما في محل الاخر ، (٤) . ويحدد (ولها وزن) (٥) ان هذا الأختلاط حدث الى حد سنة (١٢١ هـ/٧٣٨ م) . ويبدوا أن هذا الخلط ، قد حدث لأن اللفظين يستعملان الواحد مكان الاخر لأنهما يشتركان في معنى واحد ، وهو ان كلا منهما مال يؤخذ من الذمي ، وهذا جائز من الوجهة اللغوية أيضاً ، طالما أن القرينة والسياق يحددان – لامحالة – الحقيقة التي هي مقصودة (٦) . وقد ذكر الماوردي (٧) ، عند كلامه عن تأويل الجزية

(١) ابو يوسف ، ص ٥٩ ، ٩٩ ، يحيى بن آدم ، ص ٥١ ، الأموال ، ص ٧٤ ، فتوح البلدان : ص ٣٢٩ ، وانظر : العلي ، «ادارة خراسان في العهود الأسلامية الأولى » مجلة كلية الاداب بجامعة بغداد ، العدد ١٥ ، ١٩٧٢ ، ص ٣١١ – ٣١٢ ، وانظر أيضاً : ناجي معروف « الضمان الأجتماعي في الأسلام » مجلة الأقلام ، العدد ٧ ، ١٩٦٥ ، ص ٣ فما بعدها .

(٢) أبو يوسف ص ٢٦ ، ٣٦ فما بعدها ، يحيى بن آدم ، ص ٧٣ ، الأموال ، ص ٤٠ – ٤١ ٦٨ – ٦٩ ، ابن رسته ، ص ١٠٤ ، الصولي ، ص ٢١٨ ، الأحكام السلطانية ، ص ١٤٨ ، ١٧٤ – ٧٥ ، لسان العرب ، مادة : (خرج) .

(٣) الأحكام السلطانية ، ص ١٤٢ .

(٤) أنظر على سبيل المثال : فتوح مصر واخبارها ، ص ١٥٥ ، تأريخ اليعقوبي : ١٧٦/٢ ، الطبرى : ١٣٥٤/٢ ، ابن الجوزي ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٩٩ ، دائرة المعارف الأسلامية ، مادتي : (الجزية) و (الخراج) . .

(٥) تأريخ الدولة العربية ، ص ٢٦٨ .

(٦) الخراج في الدولة الأسلامية ، ص ١٢٣ .

(٧) الأحكام السلطانية ، ص ١٤٢

بوجوب ايراد بيان ، عندما يكون تأويلها مجملا ، أو تخصيص دليل عندما نعتبرها من الأسماء العامة . ولهذا فأن العبارة هي التي تحدد ما اذا كان المقصود باللفظ هو ضريبة على الأرض أم على الرأس ، ولكن « الى جانب هذا المعنى العام فقد كان لكل من هذين الأصطلاحين معنى خاص فالخراج كان يعني ضريبة الأرض والجزية كانت تعني ضريبة الرأس . هذا المعنى الخاص المميز لكل منهما كان موجوداً في عهود الأسلام الأولى كما كان موجوداً في عهود متأخرة من الأسلام». (١)وللدكتور ناجي معروف(٢) تفصيلات عن هذا الرأي أيضاً ، فيذكر انه على الرغم من ورود كل من لفظتي الجزية والخراج الواحدة مكان الأخرى عند علماء المسلمين ، لكن« بحوث العلماء، والفقهاء ، وآراءهم ،واقوالهم كلها تدل بوضوح تام على انهم كانوا يريدون بالجزية : ماوضع على رؤوس أهل الذمة من ضرائب معينة يدفعونها سنوياً الى بيت المال،ويريدون بالخراج ماكان يؤخذ من ضرائب على الأرض بنسب تختلف بأختلاف نوع المزروعات» ومن النصوص القديمة التي تدل على هذا مثلا ، النصان الاتيان :

النص الأول : « جاء رجل الى عمر بن الخطاب فقال : اني اسلمت ، فارفع عن ارضي الخراج قال : لا، ان ارضك اخذت عنوة ».(٣) ، والنص الثاني : « أسلم دهقان من اهل (عين التمر)(*) فقال له علي عليه السلام اما جزية راسك فنرفعها ، واما ارضك فللمسلمين ، فان شئت فرضنا لك وان شئت جعلناك قهرمانا انا».(٤).

---

(١) دينيت ، الجزية والأسلام ، ص ٤٢ ، وكما يظهر فهو لايوافق (ولها وزن) في تحديده للتأريخ المذكور أعلاه .

(٢) « الضمان الأجتماعي في الأسلام » مجلة الأقلام ، ، ج ٧ ، ١٩٦٥ ، ص ٧ .

(٣) يحيى بن آدم ، ص ٥١ ، فتوح البلدان : ٣٢٩/٢ .

(*) بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة فتحها عنوة خالد بن الوليد سنة (١٢ هـ/٦٣٣ م) : معجم البلدان : ٧٥٩/٣ .

(٤) يحيى بن آدم ، ص ٥٨ .

ان هذين النصين، يدلان ايضاً على ان الأرض التي فتحت عنوة ، اصبحت وقفا للمسلمين جميعاً ، ويعتبر الخراج بمثابة اجرة عن هذه الأرض ، ولا يسقط عنها اذا اسلم اصحابها ، او اذا انتقل التصرف بها الى ايدي المسلمين ، لان خراجها مؤبد مع الأرض ، ويؤيد هذا ايضاً الماوردي(١) حيث يقول : « الخراج يأخذ مع الكفر والاسلام » كما اسلفنا . اما جزية الرأس ، فترفع عن الذمي عند اسلامه (٢)، لأنها تؤخذ مع الكفر وتسقط بحدوث الاسلام(٣)

ان الخلاصة التي يمكن ان نخرج بها من هذا البحث هي :

١ — الجزية ضريبة على الرأس ، تؤخذ من اهل الذمة ، وتسقط باسلام صاحبها

٢ — الخراج ضريبة على الأرض المفتوحة عنوة ، تؤخذ من المتصرف بالأرض سواء اكان ذميا ام مسلما ، لأن الأرض ملك الدولة ، وهو بمثابة ايجار عنها.

٣ — ان الخلط في استعمال الكلمتين في المصادر . لايخفي المفهوم الخاص لكل منهما ، خاصة اذا الحقت بقرينة او دل السياق على المعنى .

ونحن اذ عرضنا الى الجزية والخراج فلأن حالة الجزية والخراج في عهد الحجاج تستلزم ايراد تلك الايضاحات ، والروايات تستطرد الى ذكر ماوصل اليه ايراد الخراج من انخفاض شديد في هذا العهد ، على العكس من العهود التي سبقته اعتبارا من عهد عمربن الخطاب . ولكن هذه الروايات تختلف في ذكر مبالغ جباية الخراج لهذا العهد يضاف الى ذلك : انها لاتقدم تاريخا معينا لهذه الجباية ، كما يتبين لنا من القائمة الآتية :

---

(١) الأحكام السلطانية ، ص ١٤٢ ، وبخصوص هذا الأمر أنظر أيضاً : « الخراج في الدولة الأسلامية » ص ١١٦ — ١٧ ، ناجي معروف ، « أول تأميم في العراق » مجلة الأقلام ، العدد ٤ ، ١٩٦٤ ، ص ٧ .

(٢) ابو يوسف ، ص ١٢٢ ، الأموال ، ص ٤٨ .

(٣) الأحكام السلطانية ، ص ١٤٢ .

ثمانية عشر مليون ددرهم (١)

خمسة وعشرون مليون درهم (٢)

ثمانية وعشرون مليون درهم (٣) .

اربعون مليون درهم(٤)

ثمانون مليون درهم (٥)

مئة وثمانية عشر مليون درهم (٦)

وبطبيعة الحال فأن الارقام السابقة ؛ لايمكن أن تنطبق على كل السنوات التي حكم فيها الحجاج ، فقد يرتفع الخراج في أحدى السنوات وينخفض في أخرى نتيجة للظروف التي تمر بها البلاد من حروب وثورات وعوامل طبيعية . يضاف الى ذلك ؛ أننا يجب أن نتحفظ من بعض هذه الارقام ؛ ومن الروايات التي تنسب (خراب البلاد) وافلاس بيت المال الى عهد الحجاج (٧) لاننا نعثر من خلال هذه الروايات على ماينافضها ، فقد ذكر مثلا أنه عندما توفي الحجاج ، ترك في بيت المال اكثر من مئة مليون درهم (٨) أومئتي .

(١) المسالك والممالك ، ص ١٤ ، ابن رسته ، ص ١٠٥ ، احسن التقاسيم ، ص ١٣٣ ، تهذيب ابن عساكر : ٨٠/٤ ، البداية والنهاية : ١٣٦/٩ .

(٢) تأريخ اليعقوبي : ٣٤٩/٢ ، التنبيه والأشراف ، ص ٢٧٤ ، الصولي ص ٢٢٠ .

(٣) معجم البلدان : ١٧٨/٣ .

(٤) فتوح البلدان : ص ٣٣٢ ؛ الصولي ، ص ٢٢٠ ، البداية والنهاية : ١٣٦/٩ .

(٥) الصولي ص ٢٢٠ .

(٦) الأحكام السلطانية ، ص ١٧٥ .

(٧) الطبري : ١٠٣٦/٢ - ١٣٠٧ (رواية هشام بن محمد عن ابي مخنف) ، ابن اعثم ، جـ ٢ الورقة ١٤٥ ب ، الوزراء والكتاب ، ص ٤٩ ، الكامل في التأريخ : ٢٣/٥ .

(٨) التنبيه والأشراف ، ص ٢٧٤ .

مليون درهم حسب رواية أخرى (١) . وقد جبى عامل الحجاج على الفلوجتين (٢) وحدهما مبلغ ثمانية عشر مليون درهم (٣) ، فكيف يمكن أن يكون خراج العراق كله مساوياً لخراج الفلوجتين فقط ؟ . لهذا فأن انخفاض مقدار الجباية لايمكن أن يكون بالصورة التي صورتها بعض الروايات السابقة ، ويمكن ان تكون رواية الصولي(٤) (ت٣٣٦هـ / ٩٤٧ م) دليلا على اعتدال هذا الانخفاض الذي شعر به الحجاج نفسه ـ حسبما تذكر الرواية ـ فعندما بلغت جباية الخراج ثمانين مليون درهم ، سأل الدهاقين عن سبب هذا الانخفاض ، فكان رأيهم ، ان عماله « أخذوا العاجل . ولم يعمروا للعام المقبل فنقص الخراج لذلك » .

ولكن ليس من السهل تطبيق هذه السياسة دون علم الحجاج ، لأنه هو نفسه لم يستطع ان يقوم بمثل هذا الأمر دون مشاورة الخليفة ، فقد كتب الى عبد الملك بن مروان « يستأذنه في اخذ الفضل من اموال السواد فمنعه من ذلك وكتب اليه: لاتكن على درهمك المأخوذ احرص منك على درهمك المتروك وابق لهم لحوما يعقدون بها شحوماً»(٥) . ومهما يكن موقف الحجاج بعد هذا الكتاب ، فان هذا النص يدل على انه لم يكن « يجمع الاموال حسبما يرى دون مراجعة الخليفة ». كما اتهمه بذلك بعض المؤرخين المحدثين(٦).

ثم يذكر الدهاقنة للحجاج بقية الأسباب التي ادت الى نقصان الخراج ، لكنه كان يدرك معظم تلك الأسباب ، فلقد كان لهجرة الفلاحين من الأعاجم الى الأمصار ، اثر بليغ في البلاد بصورة عامة ، وبالأراضي الزراعية خاصة،

(١) كتاب الذخائر والتحف ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩
(٢) وهما الفلوجة الكبرى والفلوجة الصغرى ، أو الفلوجة العليا والفلوجة السفلى ، قريتان كبيرتان من سواد منطقة بغداد والكوفة : معجم البلدان : ٩٠١٦/٣ .
(٣) الوزراء والكتاب ص ٤١ .
(٤) ادب الكتاب ص ٢٢٠ - ٢١ .
(٥) الأحكام السلطانية ص ١٤٩ .
(٦) حسن ابراهيم ، وعلي ابراهيم حسن ، النظم الأسلامية ، ص ١٧٧ .

حيث حرمت من الأيدي العاملة ، فقل انتاجها(١) ، وهذا ادى الى انخفاض في مقدار الخراج ، يضاف الى ذلك ، ان معظم هؤلاء المهاجرين كانوا من المتحولين حديثا الى الاسلام، وكانوا اداة فعالة لأيدي اعداء الدولة، يجمعونهم حولهم لتحقيق مراميهم السياسية(٢) ، ولهذا فقد كانوا عنصرا قلقا يهدد سلامة المدن .

والواقع ان هجرة بعض أهالي السواد عن قراهم الأصلية ، بدأت منذ الفتح الأسلامي (٣) ، لكنها ازدادت في هذا العهد ، نتيجة للتحول الحضاري وللأستفادة من مزايا العيش في المدن(٤)،لذلك فقد ارتأى الحجاج أن يخرج الفلاحين من الأمصار ، ويلحقهم بقراهم الأصلية ، حلا للمشاكل التي سببها وجودهم في المدن .

وهناك روايات ثلاث عن هذا الأمر : الأولى ذكرها الجاحظ في كتاب « الموالي والعرب » ، ونقلها عنه ابن عبد ربه في « العقد الفريد (٥) » ، وتجعل هذه الرواية قرار الحجاج بعد فتنة ابن الأشعث ، اتخذه بحقهم أنتقاماً منهم لأشتراكهم في الثورة . وقد أعتمد (كريمر) (٦) على هـذه الرواية ، وتبعه في ذلك (براون Browne) (٧)، فعلل الأمر على انه نتج

---

(١) التنظيمات الأجتماعية والأقتصادية في البصرة ص ٨٤ .

(٢) الجزية والأسلام ، ص ٧٣ – ٧٤ . من ذلك مثلا اشتراك هؤلاء المهاجرين مع أهل البصرة في الأنضمام الى ثورة ابن الأشعث ، وقتال الحجاج ، أنظر : انساب الأشراف ، ص ٣٣٧ (اهلورت) ، الطبرى : ١١٢٢/٢ – ٢٣ .

(٣) الطبرى : ٢٠٣٩/١ .

(٤) لزيادة الأطلاع على أسباب هجرة الفلاحين الى الامصار ، وخاصة البصرة ، أنظر : التنظيمات الأجتماعية والأقتصادية في البصرة ، ص ٧٤ – ٧٥ ، وانظر أيضاً : الجزية والأسلام ، ص ٧٤ – ٧٥ .

(٥) ٤١٦/٢ – ١٧ .

(٦) الحضارة الأسلامية ، ص ٨٨ .

(٧) Aliterary History of Persia, Vol. I, p. 234.

عن ثورة عامة للموالي بسبب اضطهاد الحجاج لهم . اما الرواية الثانية ، فيذكرها المبرد (١)، وهي تشابه الأولى من حيث التوقيت ، لكنها تعلل عمل الحجاج تعليلا ادبيا ، فاخراج الموالي من الأمصار ـ حسب هذه الرواية ـ كان لابعادهم عن موضع الفصاحة والآداب ، وخلطهم باهل القرى والارياف.
والرواية الثالثة عن عمر بن شبة (ت ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م) ذكرها البلاذري(٢) والطبري (٣)، وهذا نصها : «كتب عمال الخراج ان الخراج قد انكسر وان أهل الذمة قد اسلموا ولحقوا بالامصار فكتب إلى البصرة وغيرها ان من كان له اصل في قرية فليخرج فخرج الناس فعسكروا وجعلوا يبكون ويقولون وامحمداه وجعلوا لايدرون أين يذهبون فجعل قراء اهل البصرة يخرجون اليهم متقنعين فيبكون معهم وقدم ابن الاشعث على بغتة ذلك فاستبصر اهل البصرة في قتال الحجاج مع ابن الاشعث »

ان هذه الرواية تدل على ان أمر الحجاج كان عملا اداريا صرفاً لاعلاقة له بالانتقام ، او بأمور جانبية اخرى يصعب تصديقها ، ومما يزيد في أهمية هذه الرواية ايضا ، اعتمادها من اثنين من كبار المؤرخين القدامى (البلاذري والطبري) ، علما ان راويها (عمر بن شبة) كان « فقيها صادق اللهجة غير مدخول الرواية » (٤).

ويمكن التوفيق فقط في الوقت الذي تعطيه هذه الروايات لقرار الحجاج، فيحتمل انه بدأ باخراج الفلاحين على مراحل ، ابتدأت قبل ثورة ابن الأشعث واستمرت بعدها (٥) .

ليس في هذه الروايات الثلاث مايشير إلى أن الحجاج أمر بأخذ الجزية من هؤلاء الفلاحين الذين دخلوا حديثا في الاسلام ، ولكن ابن الأثير (٦)

---

(١) الكامل : ٩٦/٢ - ٩٧ .
(٢) انساب الأشراف ، ص ٣٢٦ - ٢٧ (اهلورت) .
(٣) تأريخ الرسل والملوك ١١٢٢/٢ - ٢٣ .
(٤)الفهرست ص ١١٢
(٥) انظر : التنظيمات الأجتماعية والأقتصادية في البصرة ص ٨٦ .
(٦) الكامل في التأريخ : ٤٦٥/٤ .

عندما ينقل الرواية الثالثة ، يذكر ان الحجاج اخرج الناس ، ثم يضيف الجملة التالية : « لتؤخذ منهم الجزية» . ان اول نص عن اخذ الحجاج الجزية ممن أسلم ذكره ابن عبدالحكم (١) بقوله : « واول من أخذ الجزية ممن اسلم من أهل الذمة ... الحجاج بن يوسف ». وذكر الطبري (٢)، في رواية اخرى عن اخراج الفلاحين من الامصار ، ان الحجاج بن يوسف رد المسلمين الذين سكنوا الأمصار ممن كان اصله من السواد من اهل الذمة فاسلم بالعراق « ردهم إلى قراهم ورساتيقهم ووضع الجزية على رقابهم على نحو ماكانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم » . أما الجهيشياري (٣)، فقد ذكرها كما يلي : « رد الحجاج من منّ الله عليه بالاسلام إلى بلده ورساتيقه وأخذهم بالخراج » .

ومن الملاحظ ، اننا لانستطيع ان نفسر كلمة الجزية المقصودة في نص الطبري ، الا بمعناها الخاص ، الا وهو (ضريبة الرأس) ، وقد يقال ان الكلمة في النص الذي ذكره ابن عبد عبدالحكم لاتقترن بقرينة توضحها، وان الجهشياري ذكر كلمة « الخراج » بدلا من الجزية ، لكن نص الطبري لايسمح لأي مجال بالتأويل ، فقد قال : « الجزية على رقابهم» وهذه لايمكن ان تعني الا ضريبة الرأس .

ان رواية الطبري ، هي الوحيدة التي اشارت صراحة إلى أخذ الحجاج للجزية ممن أسلم . فهي رواية منفردة ، ولكن هذا لايعني بالضرورة الا تكون صحيحة ، اللهم الا اذا ظهر ماينافضها في المستقبل . وفيما يخص هذا الامر يجب أن نأخذ بنظر الأعتبار ايضاً ، ان الفقهاء القدامى . كأبي يوسف ، وابي عبيد لم يذكرا شيئاً عن اخذ الحجاج الجزية ممن أسلم .

(١) فتوح مصر واخبارها ص ١٥٥ – ٥٦ ، وانظر : كتاب المواعظ والأعتبار في ذكر الخطط والاثار ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٣٢٦ – ٢٧ .

(٢) تأريخ الرسل والملوك : ١٤٣٥/٢ .

(٣) الوزراء والكتاب ، ص ٥٧ .

لكن ابا عبيد (١) يقول : ان بني أمية او بعضهم ، كانوا يأخذون الجزية ممن اسلم ، ومع ذلك فهو لايذكر من الذي اخذها منهم ، ولم يذكر الحجاج بوجه خاص .

ومن الجدير بالذكر ان هناك من الفقهاء من يرى اخذ الجزية من المسلمين من أهل السواد ، يقول الفقيه شريك : (٢) « أهل السواد ارقاء (وكان يقول) الجزية التي تؤخذ منهم انما هي خراج مثل مايؤخذ من العبد الخراج ولايسقط ذلك عنهم اسلامهم (٣) ». وقد ذكر ابو عبيد (٤) نصا يدل على ان الجزية اخذت من احد الاعاجم الذين اسلموا في عهد عمر بن الخطاب، وعندما شكا ذلك الاعجمي إلى عمر ، كتب برفع الجزية عنه. وبطبيعة الحال، ان مثل هذه النصوص تمثل حالات فردية لايمكن الاعتماد عليها في تبرير، اخذ الجزية من المسلمين طالما كانوا من أهل السواد ، أو لتقرير ، ان الجزية كانت تؤخذ قبل الحجاج منذ عهد الراشدين « لكن بغير موافقة الخلفاء مثل عمر وعلي » (٥)

وعلى اي حال ، فقد كان ارجاع الفلاحين الى قراهم اجراء اداريا صرفا ، هدفه تنظيم الامصار ، ورفع مستوى الجباية ، وقد تطلبت الظروف الجديدة ، التي اصبحت تمر بها الدولة العربية مثل هذا الاجراء ، والعمل على تعديل النظام الذي وضعه عمر بن الخطاب (٦) .

(١) الأموال ، ص ٤٨ .

(٢) شريك بن عبد الله بن شريك النخعي ، ولي القضاء بواسط سنة (١٥٥ هـ / ٧٧١ م) ثم في الكوفة . ومات بها سنة (١٧٧ أو ١٧٨ هـ/٧٩٣ أو ٧٩٤ م) تهذيب التهذيب ٣٣٣/٤ - ٣٧ .

(٣) اختلاف الفقهاء ، ص ٢٢٥ .

(٤) الأموال ، ص ٤٨ .

(٥) Al-Adhami, Op. Cit., p. 238.

(٦) عن تغير الظروف ، وضرورة تعديل نظام عمر أنظر : الدوري ، النظم الأسلامية ، ص ١٣٧ فما بعدها .

فلقد كثر عدد اهل الذمة الداخلين في الاسلام ، وكان من حق الحجاج ان يشك بدوافع اسلامهم ،خاصة وهو يرى الموقف المتذبذب لاهالي بعض المناطق في شرقي الدولة . يقول (آرنولد T. Arnold) (١) عن اسلام هؤلاء : « يبدو لنا ان اهالي هذه البلاد طالما تظاهروا بانتحالهم الاسلام الى حين ، ثم اسرعوا فكشفوا القناع وشقوا عصا الطاعة للخليفة بمجرد انسحاب جيوش الفتح ... »

وفيما يتعلق بالاراضي ، فقد كثر شراء المسلمين لها (٢) ، وانتقلت بعض الاراضي الخراجية من ايدي اهلها الى المسلمين بهبات او غير ذلك من اسباب التملك (٣) ، كما انتشر تملك الارضين بالاقطاع ، اخذ الناس باستصلاحها واستغلالها لحسابهم (٤) ، وهذا ادى الى تقلص الاراضي الخراجية ، وبالتالي الى انخفاض في مقدار الخراج . لقد كان من المفروض بطبيعة الحال ، ان تؤخذ من الفلاحين المعادين الى قراهم : ضريبة الارض (الخراج) على اعتبار انها ثابتة سواء كانوا مسلمين ام غير مسلمين ، يضاف الى ذلك ان الحجاج ارجع في الفرات الاراضي العشرية – التي كانت خراجية بالاصل – الى الخراج (٥) . وهكذا فان اجراءه لم يكن موجها نحو الموالي وحدهم ، ليأخذ منهم الجزية – كما صوره بعض المستشرقين والكتاب العرب المحدثين (٦) – بل كان عملا اداريا ، قصد مصلحة الدولة بالدرجة الاولى ، شمل الموالي والعرب ايضا ، الذين كانوا قد

(١) الدعوة الى الأسلام ، ص ١٨٥ .

(٢) تأريخ مدينة دمشق ، م ١ ، ص ١٨٣ فما بعدها .

(٣) فتوح البلدان : ص ٤٥٢ .

(٤) انساب الأشراف : ٢٨١/٥ ، قدامة (منشور مع المسالك والممالك) ص ٢٤١ .

(٥) فتوح البلدان : ص ٤٥٢ .

(٦) أنظر : السيادة العربية ص ٤١ ، Browne, Op. Cit., Vol. I, p. 234 ، « من تأريخ الحركات الفكرية في الأسلام » ص ٥٨ ، تأريخ التمدن الأسلامي : ٢٢٠/١ مختصر تأريخ العرب ، ص ١٨٢ ، العراق في العصر الأموي ، ص ٥٦ ؛ ٦٩ .

تملكوا الاراضي الخراجية ، واخذوا يدفعون عنها العشر ، فابطل ذلك كله ، مما ادى الى ازدياد سخط المتضررين ، على الحجاج ، من العرب والموالي ، فاتهموه بمعارضة الدين ، ومناقضة روح الاسلام .

ومن الجهود الجدية الاخرى التي بذلت في هذا العهد لرفع واردات الخراج ، وتنظيم الزراعة في العراق بصورة عامة ، ماقام به الحجاج من حفر الانهار والقنوات ، فقد امر بحفر نهر الصين قرب كسكر ، وكان ذلك قبل بناء مدينة واسط (١) ، كما حفر نهري الزابي والنيل (٢) ، وأمر بحفر نهر أخر قرب الانبار ، ، وكان دهاقنة الانبار قد طلبوا من سعد

---

(١) فتوح البلدان : ص ٣٥٥ ، معجم البلدان : ٨٨٣/٤٠ وكسكر : ناحية واسعة ، لصبتها واسط القصب ، التي بين الكوفة والبصرة ، وسمي نهر الصين بهذا الأسم نسبة الى بلدة جنوبي واسط ، وتسمى أيضاً الصينية ولد تردد ذكرها في المصادر التأريخية والجغرافية .

(٢) فتوح البلدان : ص ٣٥٥ ، انساب الأشراف ، الورلة ٦١٠ أ (اسطمبول) ، معجم البلدان : ٨٨٣/٤ . وقد سمي الزابي بهذا الأسم لاخذه من الزاب القديم ، أما النيل فكان يأخذ من الفرات الى دجلة في منطقة تقع شمال بابل ، وقد سماه الحجاج بأسم النيل تيمنا بنهر النيل في مصر . وكان يجري الى الشرق ابتداء من مخرجه ، ويمر بقرى عامرة كثيرة ، وتتفرع منه أنهار صغيرة متعددة ، وقد اعاد الحجاج حفر نهر (صراة جاماسب) عن يسار النيل ، وهناك بنى مدينة النيل التي تقع بين أرض بغداد والكوفة ، وكانت أجمل مدينة في الناحية كلها ، واطلالها اليوم بين المدحتية (لرب الفرات) والنعمانية (على دجلة) تسمى بتل النيل والنيليات والنيلية . وقد فحصتها دائرة الاثار العراقية سنة ١٩٤٥ م ، ووجدت على امتداد جانبي النهر المندرس تلولا اثرية وبقايا ابنية ، هي معالم القرى التي كانت تقوم على هذا النهر . وكان عرض النهر نحو ثلاثين متراً ، وتدل البقايا الأثرية على أن المدينة ظلت عامرة الى العهد الايلخاني ، أنظر : فتوح البلدان : ص ٣٥٥ ، معجم البلدان ٣/ ٣٧٩ ، ٨٨٣/٤ ، ٨٦١ ، وفيات الأعيان : ١٧١/٢ – ٧٢ ، تقويم البلدان ، ص ٢٩٦ – ٩٧ ، خريدة العجائب ، ص ٥٤ – ٥٥ ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٩٨ – ٩٩ وانظر أيضاً : تعليق المترجمين في نفس المرجع ص ٩٩ (حاشية ٤) ،

Al-Adhami, Op. Cit., PP. 282–83 .

ابن ابي وقاص (١) ، ان يحفر لهم ، فعجز عامله عن ذلك ، وعندما جاء الحجاج ، اصر على مواصلة العمل ، فتم حفر النهر (٢) . وقد ادى حفر هذه الانهار والقنوات الى احياء الاراضي التي حولها ، والى انتعاش الزراعة .

اتبع الحجاج طريقة اخرى لاحياء الارضين، وذلك باقطاعه (القطائع) (٣) في ارض العراق لاحيائها واستغلالها لتعمير البلاد وزيادة الجباية (٤). ولتوفير الحيوانات، والايدي العاملة لاعمار السواد، ارسل محمد بن القاسم الثقفي عامل الحجاج على السند، بالوف الجواميس إلى العراق (*)، وجلب الحجاج اقواماً من زط السند مع اسرهم وجواميسهم، واسكنهم في اطراف كسكر (٥).

(١) سعد بن أبي وقاص ، ولاه عمر وعثمان الكوفة ، توفي بالمدينة سنة (٥٥ هـ/٦٧٤ م) طبقات خليفة ، ص ١٥ .

(٢) فتوح البلدان : ص ٣٣٦ .

(٣) القطائع من أرض العراق ، كل ما كان لكسرى ومرازبته ، واهل بيته ما لم يكن في يد أحد وتدعى هذه الارضون التي أصبحت ملكاً للدولة بالصوافي ، وقد صنفها عمر بن الخطاب في أرض السواد الى عشرة أصناف . ويحبذ الفقها إقطاع الأمام لهذه الارضين ، لاستصلاحها واعمارها ، ويذكرون الأمثلة عن أقطاع الرسول (ص) الارضين لعض الأقوام يتألفهم على الأسلام ، وكذلك عن منح الأقطاعات في عهد الراشدين . وتصبح الأرض المقطعة ملكاً لمن منحت له استناداً الى قول الرسول (ص) : « من احيا ارضا مواتا فهي له » أبو يوسف ص ٥٧ فما بعدها ، يحيى بن آدم ، ص ٦١ – ٧٣ فما بعدها ، ٨٠ ، الأموال ص ٨٨ ، ٢٧٢ فما بعدها ٢٨٣ ، فتوح البلدان : ص ٣٢٤ -- ٣٥ ، قدامة (منشور مع (Taxation in Islam, Vol. II
ص ١٢٤ – ٢٥ ، ١٢٧ فما بعدها ، الأحكام السلطانية ، ص ١٧٧ ، ١٩٠ فما بعدها .

(٤) ابو يوسف ، ص ٥٨ ، ٦٠ – ٦١ ، فتوح البلدان : ص ٣٥٩ ، ٤٤٣ ،
Al-Adhami, Op. Cit., PP. 281-82 .

(*) ومن الجدير بالذكر أن الجواميس كانت موجودة في العراق قبل هذا العهد ، فمثلا نجد صور الجاموس على الأختام الأسطوانية من عصر سرجون الأكدي (نحو ٢٣٥٠ ق . م) أنظر :
H. Frankfort, Cylinder Seals, PP. 84-86 , 90.91 , and PL. XVI f,xvII,C,

(٥) فتوح البلدان : ١/١٩٨ ، ٢/٤٦٢ :

وبغية توفير البقر للقيام بعملية الحراثة، والزراعة، وتعمير البلاد، منع الحجاج من ذبحه في السواد (١)، كما اهتم بحالة الفلاحين والارض وتتبع كميات المطر الساقطة، فكان يسأل الرسل والوفود القادمة عليه من مختلف الجهات، عن المطر وتباشيره وكيفية نزوله، وكمياته (٢)، ثم يكتب إلى عبدالملك بن مروان ويعلمه بذلك (٣) .

ولم يغفل عن تنظيم المزروعات وتصنيفها، وتعيين تلك التي يجب ان تؤخذ منها الصدقة شرعاً، فأقر، ان الصدقة على المزروعات تشمل: الحنطة، والشعير، والتمر، والزبيب، وعامل الناس بذلك، ولم يأخذ الصدقة على البقول، والخضر ولا ما يحيل في ايدي الناس (٤) .

كما اهتم الحجاج بالفلاحين كثيراً، لانهم من مصادر الجباية المهمة، فأقرضهم مليوني درهم (٥)، ولكن ابن خرداذبه، وهو الذي ذكر هذا الخبر لم يتطرق إلى التاريخ الذي تم فيه هذا القرض، واغلب الظن ان ذلك كان في اثناء، او في اعقاب فتنة ابن الاشعث، حيث انشغل كثير من اهل السواد والفلاحين بهذه الفتنة، وتركوا اراضيهم فقلت الزراعة فيها. فهو قد اسلفهم المال ليستطيعوا الاستمرار بالزراعة، بعد ان هدأت الاحوال، وعاد الاستقرار إلى البلاد. ولكننا لا نعلم شيئا عن الطريقة التي تم بموجبها الاقراض، ولا كيفية استرداده منهم (٦). وعلى اي حال، فالقرض يلقي ضوء على سياسة الحجاج الادارية، ورغبته في الاصلاح واعادة الاحوال الطبيعية إلى اراضي السواد.

---

(١) المسالك والممالك ، ص١٥ ، أنساب الأشراف ، ج١١ ، الورقة ٣٧ أ ، الأغاني: ١٥/ ٩٤ ، معجم البلدان : ١٧٨/٣ .

(٢) العقد الفريد : ٣٣/٥-٣٥ ، الجليس الصالح ، الورقة ١٧ب ، تهذيب ابن عساكر : ١٥٢/٧ ، وفيات الأعيان : ٤٧/٢ .

(٣) البيان والتبين : ٣٨٦/٢-٨٧ .

(٤) يحيى بن آدم ، ص ١٤٣ .

(٥) المسالك والممالك ، ص١٥ ، ابن رسته ، ص١٠٥ ، معجم البلدان : ١٧٨/٣ .

(٦) انظر : التنظيمات الأجتماعية والأقتصادية في البصرة ، ص٢٥٤ .

ولزيادة مساحة الاراضي المزروعة ايضا، قامت في هذا العهد حملة واسعة لاستصلاح الارضين التي غمرتّها مياه المستنقعات في منطقة (البطائح) (١) وكانت هذه البطائح قد تكونت منذ عهد الفرس، حيث كانت تنبثق البثوق التي على دجلة والفرات. وجرت محاولات عديدة من قبل ملوك الفرس لمعالجة هذه البثوق، وعندما ورد المسلمون على العراق نتيجة الفتوحات، انشغل الفرس بالحرب، فأُهملت السيطرة على المياه، فعظم خطرها واتسعت مساحة البطائح (٢) . وفي عهد الحجاج قدر مبلغ ثلاثة ملايين درهم لسد البثوق والنفقة عليها، ولكن الخليفة الوليد الاول، استكثْر هذا المبلغ .

ويظهر من ضخامة المبلغ الذي قدره الحجاج، انه كان ينوي ان يقوم بحملة واسعة لتخليص اراضي السواد من خطر الفيضانات التي استمرت تعبث بالمنطقة منذ عهد الفرس. وبطبيعة الحال، فقد كان يُدرك مقدار الفوائد التي سوف تجنيها الدولة من ذلك. ففي عهد معاوية الأول، استطاع عبد الله بن درّاج (٣)، ان يستخرج له من اراضي البطائح ما بلغت قيمته خمسة ملايين درهم. وقد فطن مَسلمة بن عبدالملك (٤) إلى ما سوف يجنيه المشروع بعد

(١) البطائح : جمع البطيحة ، وهو ماء مستنقع لايرى طرفاه من سعته كان مابين واسط والبصرة وهو مغيض دجلة والفرات ، وكذلك مغايض مابين البصرة والأهواز ، وسميت بطائح لأن المياه تطحت فيها ، أي سالت واتسعت في الأرض ، و لأنها يجتمع فيها مياه عدة . انظر : البلدان ، ص٣٢٣ ، ابن رسته ، ص٩٤-٩٥ ، معجم مااستعجم : ٢٥٩/١ ، معجم البلدان ، ٦٦٨/١ .

(٢) فتوح البلدان : ص٣٥٨-٥٩ ، الطبري : ١٠٠٩/١ فما بعدها ، قدامه (منشور مع المسالك والممالك) ص٢٤٠ ، الأحكام السلطانية ، ص١٧٩ .

(٣) وهو مولى معاوية الأول ، قلده خراج العراق ، وقد بذل جهوداً كبيرة في استصلاح بعض اراضي البطيحة ، كما طالب أهل السواد بهدايا النوروز والمهرجان ، قتله ابن الزبير في مكة : انساب الاشراف ، ص٤٩ ، (اهلورت) فتوح البلدان : ص٣٥٨ ، قدامه ، المصدر السابق ، ص٢٤٠ ، الوزراء والكتاب ، ص٢٤ .

(٤) مسلمة بن عبد الملك بن مروان ، له آثار كثيرة في الحروب ، ولي العراقيين لأخيه يزيد الثاني . توفي سنة (١٢٠ أو ١٢١هـ/٧٣٧ أو ٧٣٨م)، الطبري : ١٤١٧/٩ ، تهذيب التهذيب : ٤٤/١٠ .

تخليص الاراضي من المياه، فبادر إلى طلب الانفاق عليها، على ان يكون له خراج الاراضي المستصلحة، وفعلا حصلت له ارضون واسعة، ونواح كثيرة متصلة، والمهم في الامر ان مسلمة، طلب ان يكون انفاق المال باشراف الحجاج، فوافقه الوليد الاول على ذلك، وقد كان لحسان النبطي، الذي استخدمه الحجاج، دور كبير في هذه المهمة (١) .

يتضح مما تقدم، عدم صحة الروايات التي تنسب إلى الحجاج، انه أضر بأهل السواد، او اهمل الاصلاحات. وسد البثوق مضارة للدهاقين؛ لانهم أيدوا ابن الاشعث (٢)، فلقد كانت اصلاحاته في السواد، ومساعداته للفلاحين، لا تهدف إلا إلى اعمار البلاد، ورفع مستوى الجباية .

(١) فتوح البلدان : ص٢٥٨-٩٠، قدامة ، المصدر السابق ، ص٢٤٠-٤١ .
(٢) أنساب الأشراف ، جـ١١ ، الورقة ٣٧أ ، فتوح البلدان : ص٢٥٩ ، الكامل في التاريخ ٤٨١/١-٨٢ .

الفصل السادس

تقويم عام لسياسة الحجاج في العراق

١ ــ طبيعة السياسة التي نفذها الحجاج في العراق .

٢ ــ المآخذ على سياسة الحجاج في العراق .

٣ ــ الحجاج والفتوحات .

٤ ــ مسؤولية الحجاج عن سياسته في العراق وعلاقته بالسلطة المركزية .

طبيعة السياسة التي نفذها الحجاج في العراق

مر بنا سابقا ان الحجاج كان يهدف في سياسته الى القضاء على الفتن والثورات التي جوبه بها . اما في الظروف الطبيعية ، فقد كان الاعتماد على العقل لا العاطفة ، وتقليد الوظائف للأكفاء ، هو الطابع المميز لسياسته في العراق بصورة عامة . ونستطيع ان نتبين تلك السياسة من الخطب التي كان يلقيها ، والتصريحات التي كان يدلي بها ، فقد كتب الى الوليد الاول ابن عبد الملك ، رسالة يشرح له فيها سيرته وسياسته في العراق جاء فيها ، أني ايقظت رأيي وانمت هواي ، فادنيت السيد المطاع في قومه ، ووليت الحرب الحازم في امره ، وقلدت الخراج الموفر لامانته ، وقسمت لكل خصم من نفسي قسما يعطيه حظا من نظري ولطيف عنايتي ، وصرفت السيف الى النطف المسيء ، والثواب الى المحسن البريء فخاف المريب صولة العقاب وتمسك المحسن بحظه من الثواب » (١) .

لقد توصل الحجاج الى هذه التدابير بعد مرور اكثر من عشر سنوات على حكمه للعراق . ويبدو ان الحزم والشدة (٢) ، كانا من المقومات الاساسية التي اعتمدها في سياسته مع المخالفين . وهو نفسه كان يرى ان الناس هابوه بسبب جرأته على الدماء ، وقيامه باعمال كان يتهيب منها النـــاس (٣) . ولكنه كان مقتنعا ، انه فعل مافعل لانه يريد ان يفرض طاعته ويبسط ، سلطانه على الناس ، وكان يرى ان ذلك عنده خير مما لو كان له جبلان من ذهب : انفقهما في سبيل الله (٤) . ولقد كان للطاعة عنده اهمية عظيمة

---

(١) عيون الأخبار : ١٠/١ ، العقد الفريد : ٢٢/١-٢٣ ، ٣٦/٥ ، وذكرت مع اختلاف يسير في الألفاظ في «البصائر والذخائر» م٢ ، قسم١ ، ص٢٦٨-٦٩ ، التذكرة الحمدونية ج١ ، م٢ ، ص٢٤١ .

(٢) البيان والتبيين : ١٤١/٢ ، عيون الأخبار : ٢٤٥/٢ ، الوشاء ، ص٦٥ ، العقد الفريد : ١٢٤/٤ .

(٣) تهذيب ابن عساكر : ٣٣٧/٩ .

(٤) نفس المصدر : ٦٨/٤ ، البداية والنهاية : ١٢٨/٩ .

بحيث جعلته يستحل دم المخالف (١) . ومع هذا فقد كان يعفو عمن يعترف بذنبه ولا يصر عليه . والسلطان الضعيف في نظره سلطان مشؤوم لان سلطانا تخافه الرعية خير لها من سلطان يخافها (٢) .

لقد كان في سياسته ان ينال بالعقوبة كل من يحاول المخالفة او العبث بالامن ، خاصة من الشخصيات الكبيرة . وكان يرى انه بموقفه الحازم من هؤلاء الكبار ، سيجعل عامة اهل العراق ، يخشون بأسه لعلمهم انه سيكون بالغلظة والعقوبة اليهم اسرع (٣) . ومع هذا فقد كان من السهل جدا ، ان يرجع الى الحق اذا تبين انه مخطئ ، لانه لم يكن يستسيغ ان يعاقب احدا بجريرة الغير ، ولا بريئا بجريرة المذنب (٤) .

لقد استفاد الحجاج في توطيد مركزه وسلطته ، خاصة في اول قدومه العراق ، من الخصومات والتنافس الذي كان شائعا بين القبائل . ويبدو ايضا انه استفاد من طبيعة بعض اهل العراق في نظرتهم القلقة غير المستقرة

---

(١) مروج الذهب : ٨٣/٣ ، البصائر والذخائر ، م٢ ، قسم١ ، ص٢٣٠ .

(٢) غرر السير ، الورقة ٢٣ب .

(٣) الأخبار الموفقيات ، ص٢٣٠ ، انساب الاشراف ، ص٣٠١ (اهلورت) ، الكامل في التاريخ : ٣٨٧/٤ .

(٤) من ذلك مثلا ، أن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، شكا إلى الحجاج : من أن منزله قد هدم ، وقطع عنه العطاء ، لخروج والده مع ابن الأشعث ، فأجابه الحجاج بهذه الأبيات :

جانيك من يجني عليك وقد تعدي الصحاح مبارك الجرب
ولرب مأخوذ بذنب قريبه ونجا المقارف صاحب الذنب

ولكن ابن أبي ليلى ذكره بكتاب الله ، حيث يقول سبحانه وتعالى عن أخوة يوسف « قالوا ياايها العزيز ان له اباً شيخاً كبيراً فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين . قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون» (سورة يوسف : ٧٨ ، ٧٩) وهنا تراجع الحجاج وامر في الحال ان تبنى دار الرجل ، وان يرد عطاؤه ، الوشاء ، ص ١١٥-١٦ ، وورد ايضاً مايؤيد ويشابه هذه الرواية من حيث المعنى في : العقد الفريد : ٣٠/١-٣١ ، ١٥/٥-١٦ ، تهذيب ابن عساكر : ٦١/٤ ، البداية والنهاية : ١٢٤/٩.

الى الامور السياسية ، وعدم ثباتهم على مايقررونه (١) . فضرب بعضهم ببعض ، وهذا يرجح الرأي القائل : ان الحجاج لم يظفر بمن ناوأه الا بمساعدة من بقي معه من اهل العراق (٢) .

تميز الحجاج بالشدة على المخالفين ، وعدم التهاون في حدود الشرع فقد اعتذر اليه سارق اعتذارا حسنا ، لكنه لم يعف عنه ، لان الاعتذار في رايه لا يبطل حدا من حدود الله (٣) . ولم يكن يتهاون مع اي شخص يرتكب جريمة ، حتى ولو كان من اقرب المقربين اليه ، وهناك امثلة كثيرة على هذا الامر ، ذكرت معظمها في مصادر ادبية فقط ، فهي ان صحت ، تظهر مبلغ حزم الحجاج ، وشدته ، وتحريه للحق ، حتى مع اهل بيته ، فقد كتب الى الوليد الاول ، يعلمه ان أخاه محمد بن يوسف (٤) قد ترك مالا كثيرا ، فان يكن اصابه من حل ، فرحمه الله ، وان يكن اصابه من خيانة ، فلا رحمه الله ، فأجابه الوليد . ان اخاه كان قد مارس تجارة سمح له بها ، لذلك طلب منه ان يترحم عليه (٥) . ومثل اخر يظهر حزم الحجاج تجاه اقاربه اذا ما ارتكبوا مايسيء الى الناس ، فقد حاول ابن أخي الحجاج ، التعرض لاحدى النساء بواسط ، فقتله اخوتها ، وعندما علم الحجاج بالامر ، وان ابن اخيه قتل بسبب سوء سلوكه ، احسن الى المرأة واهلها ، وقال عن ابن اخيه : مثل هذا لا يدفن فألقوه للكلاب (٦) . كما انه حبس مالك بن اسماء بن خارجة ــ وهو اخو زوجته هند بنت اسماء

---

(١) راجع ص ١٠٣-١٠٦ من هذا البحث .

(٢) البيان والتبيين : ٢/١٤١ ، العقد الفريد : ٢/١٧٩-٨٠ ، ٤/١١٥ .

(٣) تهذيب ابن عساكر ، ٤/٦٧ ، البداية والنهاية : ٩/١٢٧ .

(٤) محمد بن يوسف الثقفي ، ولاه عبد الملك اليمن ، وتوفي بها سنة (٩٠هـ/٧٠٨م) المعارف ، ص٣٩٦ ، الطبري : ٢/١٢٧٤ . البداية والنهاية : ٩/٨٠

(٥) المبرد : ٢/١١٠ .

(٦) النويري : ٢/١٨٣-٨٤ .

لخيانة ظهرت منه عندما ولاه على اصبهان (١) ، وعندما ولاه على الحيرة شاع عنه المجون وقول الشعر الذي يتغنى فيه بشرب الخمر ، فشكا منه اهلها الى الحجاج ، فأستدعاه ، وانبه على مابدر منه ، وعزله عنها (٢) .

ومن جهة أخرى ، فقد كان الحجاج يقدر ويكافي من يقدم أية خدمة للدولة ، أو يظهر بلاء حسنا في الذب عن البلاد ، وحماية الناس ، فقد كافأ الحجاج أياس بن حصين بن زياد ، بأن فرض له الفي درهم في السنة ، وهذا أعلى فرض من العطاء ، وهي درجة الشرف ، وذلك لما قام به هو وعشيرته من الدفاع عن الكوفة ، عندما هاجمها الخوارج ، وكان الحجاج يومئذ غائباً عنها في واسط (٣) ، كما اظهر الحجاج اكراماً زائداً للمهلب ابن أبي صفرة بعد انتصاره على الخوارج وقدومه سنة (٧٨ هـ / ٦٠٧م)(٤) وكان يقول : « ما أخطأت العرب حيث جعلت المهلب رجلها (٥) »، وعن ابنائه ، أنهم سيوف من سيوف الله (٦) .

كان من سياسة الحجاج ، الابتعاد عن الفتنة ، وازالة كل مايهيجها ، فعندما رأى كف المختار معلقة في الكوفة ، آمر بأزالتها ، وقال : « هذا يهيج الفتنة نحوها وغيبوها» (٧) . وقد دفع الحجاج نصف مرتبه السنوي

---

(١) الأغاني : ١٦/٤٠-٤١ .
(٢) الجليس الصالح ، الورقة ٨٨ .
(٣) نقائض جرير والفرزدق : ٢/٨٩٦-٩٧ ، نقائض جرير والأخطل ، ص٢١١-١٢ أنساب الاشراف ، جـ٦ ، الورقة ٤١ب .
(٤) الأخبار الطوال ، ص٢٨٩ ، الطبري : ٢/١٠٣٣ ، الكامل في التاريخ : ٤/٤٤٨
(٥) ابن منقذ ، لباب الآداب ، ص٢٦٥ .
(٦) ثمار القلوب ، ص١٨ ، وعن اشادة الحجاج بالمهلب وأهله ، واكرامه بعد انتصاره ، انظر : فتوح البلدان : ص٤٥٤ ، المبرد : ٢/١٥٧ ، ٣/٤٠٥-٤٠٦ ، غرر السير ، الورقة ٢١أ .
(٧) انساب الاشراف ، جـ١١ ، الورقة ٣٨أ ، ويعلل الخربوطلي ، في كتابه : «المختار الثقفي» ، ص٣٠٩ ، أمر الحجاج هذا ، لانتساب كل منهما إلى قبيلة ثقيف . ولكن الأرجح ان هذا كان ضرباً من السياسة التي انتهجها الحجاج للابتعاد عما يهيج الفتن .

مساعدة في دفع ديات القتلى الذين قتلوا بسبب نزاع قبلي بين قيس (١) وتغلب، وهذا يدل بطبيعة الحال على سياسة الحجاج في وضع حد للنزاع القبلي (٢) ، والفتن التي تنشأ في البلاد . ولم يقتصر نشاط الحجاج في هذا الامر على النزاعات الكبيرة والمسائل العامة فقط . بل نراه يدفع من ماله الخاص (٣) ديات بعض قتلى الحوادث الشخصية ؛ أو الفردية ، مساهمة منه في تخفيف حدة الثار والانتقام ، التي تنتج عن مثل هذه الامور .

(٢) المآخذ على سياسة الحجاج في العراق

يذكر المؤرخون القدامى ، وبعض الكتاب المحدثين ، مآخذ عديدة على السياسة التي نفذها الحجاج في العراق ، ونحاول في هذا المجال ، أن نبحث هذه المآخذ ، لنرى مدى صحة التهم الموجهة الى سياسة الحجاج في العراق .

(أ) **استخدام جند الشام وتقريبهم** : يتُهم الحجاج أنه استخدام جند الشام في العراق ، وقربهم ، وأنه لم ينُصر في حروبه الا بهم (٤) ، وفي رأي أحد المحدثين (٥) ، أن استخدام هؤلاء كان لسد الفراغ الناتج في العراق بسبب انشغال اهله بالفتوحات في الشرق .

ان ادخال جند الشام الى العراق لم يكن سُنّة سنّها الحجاج، بل حصل ذلك قبله ، وكانت خطة الامويين خاصة بعد مقتل مصعب بن الزبير ؛ واسترجاع العراق ، أن يضعوا فيه قسما من جند اهل الشام فقد ذكر

(١) نقائض جرير والأخطل ، ص٢٢٩-٣٠ ، الأغاني : ٥٧/١١-٥٨ ، وفي «أنساب الاشراف» : ٣٣٠/٥-٣١ ، و«الكامل في التاريخ» : ٢٢٢/٤ ، انه اعطى لهذا الغرض مئة الف درهم ، من عمالته البالغة خمسمئة الف درهم .

(٢) الترجمة العربية ، ص١٦٢ Dixon, OP .Cit, P. 104

(٣) الاغاني : ١٣/٢٠ ؛ وفيات الأعيان : ٤٦/٢ .

(٤) نقائض جرير والفرزدق : ٣٤٩/١ .

(٥) محمد علي محمد الخلافة والدولة في العصر الأموي ، ص١٧٧ .

عوانة بن الحكم ، أن عبد الملك بن مروان ترك مع أخيه بشر بن مروان ، عندما عينه على الكوفة اربعة الاف من أهل الشام ، منهم روح بن زنباع الجذامي ، ورجاء بن حيوة الكندي (١) . ولانعلم بالضبط مصير هؤلاء الجند ، وهل بقوا بعد وفاة بشر بن مروان ، أم رجعوا الى الشام ، ولكن هذا الخبر يؤيد ما ذهبنا اليه من وجود أهل الشام في العراق قبل عهد الحجاج ، كما أن وجودهم فيه أستمر بعد عهده أيضاً ، فعندما قدم خالد بن عبد الله القسرى أميراً على العراق سنة (١٠٦ هـ / ٧٢٤ م) جاء معه بقوم من جند الشام (٢) ؟

وكثيراً مايقارن المؤرخون بين زياد بن أبي سفيان ، والحجاج بن يوسف ، وكيف أن الاول ، نجح في سياسته في العراق ، بدون أستخدام أهل الشام ، بينما لم يستطيع الحجاج ذلك الا بهم . ويذكر (ولها وزن) (٣) محقاً ، ان السبب في هذا يرجع الى تغير الظروف ، لان التوتر بين الشام والعراق كان فيما بين عصر زياد ، وعصر الحجاج ، قد إشتد كثيراً . ومع هذا لم يتجه الحجاج الى استخدام أهل الشام ، الا عندما كان ييأس من مقدرة أهل العراق على مواجهة الموقف (٤) . أو عندما يكون أهل العراق في حالة ثورة عليه ، فكان يتجه بطبيعة الحال ، الى أهل الشام لاخمادها (٥) .

كان الحجاج شديداً على أهل الشام ، لايفسح لهم مجال البغي والظلم ، وايذاء أهل العراق ،فقد منعهم من دخول البصرة بعد أنتصاره في يوم الزاوية (٦)

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ، م١٠ ، ص١٢٦ .

(٢) نسب قريش ، ص٩ .

(٣) تاريخ الدولة العربية ، ص ٢٤٦ .

(٤) الطبري : ٩٤٣/٢ — ٤٤ ، مروج الذهب : ٨٠/٣ .

(٥) انساب الاشراف ، ص ٣٣٧ (اهلورت) ، الطبري : ١٠٥٨/٢ ، مروج الذهب: ٧٣/٣.

(٦) انساب الاشراف ، ص ٣٤٩ (اهلورت) .

وخطب فيهم قائلا : « ... ولا تبغوا ولا تظلموا واياكم أن يبلغني أن رجلا منكم دخل بيت امرأة فلا يكون له عندي عقوبة الا السيف أنا الغيور بن الغيور لا اواهي في الريبة ولا أصبر على الفاحشة» (١) . كما أنه عزل أهل الشام عن بيوت أهل الكوفة . بعد أنتصاره في معركة دير الجماجم (٢) . وعندما سمع أن أحد الجنود الشاميين قتل لانه دخل داراً في الكوفة ، وحاول الاعتداء على أحدى نسائها ، قال : هذا الشامي : « قتيل الله الى النار » ولم يعاقب قتلته ، ولم يوقع عليهم الدية ، ويجعل الطبرى (٣) ، هذه الحادثة هي السبب في بناء الحجاج لمدينة واسط (٤) . ويروى المدائني (٥) ، أن الحجاج حرصاً منه على عدم اختلاط جند الشام بنساء أهل البصرة ، اسكنهم حول قصره الذي ابتناه فيها ، والذي كان يبعد عنها فرسخا واحداً ، أي ثلاثة أميال .

(ب) العصبية عند الحجاج :

أتهم الحجاج بهذه التهمة من قبل بعض الكتاب المحدثين فقط (٦) ، الذين بنوا أتهامهم على الفكرة القائلة ، أن الحجاج أختار معظم عماله من القيسية . وأنه شجع العصبية بين القبائل ، باثارته الشعراء على بعضهم البعض وتأييده لبعضهم دون البعض الاخر لموقفهم من قبيلة الحجاج .

---

(١) نفس المصدر ، ص ٣٥٠ .

(٢) الطبري : ١٠٩٨/٢ ، ومن الجدير بالذكر ان ابن الاثير ، حينما ينقل هذه الرواية عن الطبري ، يحرفها ، فيعكس الامر ويقول : " وانزل اهل الشام بيوت أهل الكوفة ، انزلهم الحجاج فيها مع اهلها ، وهو اول من انزل الجند في بيوت غيرهم ... " : الكامل في التاريخ : ٤٨٢/٤ ، ولا يخفى ان مغالطة ابن الاثير في هذه الحقيقة ظاهرة العيان .

(٣) تاريخ الرسل والملوك : ١١٢٥/٢ – ٢٦ .

(٤) من غير المعقول ان يكون بناء واسط بسبب حادثة الشامي مع المرأة ، ولكنه من دون شك تدبير اداري عسكري ، راجع عن أسباب بناء واسط ، الفصل الرابع من هذا البحث ، ص ١٥٢ – ١٥٣ .

(٥) في " انساب الاشراف " جـ ١١ ، الورقة ٤١ ب .

(٦) انظر : الزهيري ، ص ١٧٩ ، النص ، ص ٢٦١ – ٦٢ ، ضيف ، ص ١٢٤ .

لم يكن الحجاج يهتم بالشعراء الا بسبب شغفه بالشعر ، وأن شغفه هذا « كان شغف الاديب ، لا شغف المستثمر وهذا هو السبب الذي دعاه الى تقريب الشعراء والادباء واكرامهم ... (١) . ويبدو أنه كان يشعر أن تقريبه للشعراء ، سيؤدي الى أتهامه بالتعصب ، أو التحيز ، أو غيرهما من الاتهامات فحاول في أول وصوله العراق ، أن يتجنب الشعراء ، ولكن عبد الملك ، كتب اليه أن يجيزهم ويقربهم اليه (٢) .

وبالنسبة الى أختيار الحجاج لعدد كبير من عماله وموظفيه من القيسيين ، والثقفين ، فهذا لايدل على تعصبه لهم ، لانه في نفس الوقت كان للحجاج عدد أخر كبير أيضاً ، من العمال والموظفين ، الذين لم يكونوا قيسيين ولا ثقفين ، وأنما كانوا من قبائل عربية أخرى، أضع بين يديك بعض من أختارهم في الثبت في الاتي :

اسم الموظف	المنصب
المهلب بن أبي صفرة	ولاية خراسان (٣)
يزيد بن المهلب بن أبي صفرة	ولاية خراسان (٤)
عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث	ولاية سجستان وقائداً لجيش الطواويس(٥)
عمارة بن تميم اللخمي	ولاية سجستان (٦)
محمد بن هارون بن ذراع النميري	على السند (٧)

(١) رويحة ، ص ٤٧ .
(٢) محاضرات الادباء : ٣٦/١ .
(٣) الطبري : ١٠٣٣/٢ - ٣٤ .
(٤) نفس المصدر : ١٠٨٣/٢ .
(٥) انساب الاشراف ، ص ٣٢٠ (اهلورت) ، الطبري : ١٠٤٢/٢ .
(٦) تاريخ اليعقوبي : ٣٣٣/٢ - ٣٤ ، الطبري : ١١٣٤/٢ .
(٧) تاريخ خليفة : ٢٩٩/١ .

تميم بن زيد القيني	على السند (١)
عبيد الله بن أبي المخترق القيني	على الفلوجة العليا (٢)
زياد بن عمرو بن العتيك	على شرطة البصرة (٣)
موسى بن وجيه الحميري	على شرطة واسط (٤)
عبد الملك بن المهلب بن أبي صفرة	على شرطته (٥)
سفيان بن سليم الازدي	على شرطة واسط (٦)
الحسين بن أبي العمرطة	على شرطته (٧)
حوشب بن يزيد بن رويم	على شرطته (٨)
الجزل عثمان بن سعيد بن شراحبيل الكندي	قيادة حملة عسكرية (٩)

(١) المبرد : ٨٧/٢ ، وفيات الاعيان : ٨٨/٦ .

(٢) استعمله الحجاج " على غير قرابة ولا دالة ولا وسيلة " كما جاء ذلك في " رسائل الجاحظ" ص ١٥٦ (تحقيق السندوبي) ، والفلوجة العليا قرية كبيرة من قرى سواد الكوفة ، تبعد عنها نحو (١٣٠) كم ، اي المنطقة الواقعة شمال الاسكندرية الحالية ، وهي جنوب الفلوجة الحالية : معجم البلدان : ٩١٦/٣ ، العلي : " منطقة الكوفة" سومر م ٢١، ١٩٦٥ ، ص ٢٣٤ .

(٣) انساب الاشراف ، ص ٣٠٤ (اهلورت) .

(٤) تاريخ خليفة : ٣١٢/١ .

(٥) نفس المصدر والمكان ، الطبري : ١١٨٢/٢ .

(٦) تاريخ خليفة : ٣١٢/١ .

(٧) جمهرة النسب ، الورقة ١٠٨ (اسكوريال) .

(٨) نفس المصدر ، الورقة ١٠ - ١١ (ونسخة المتحف البريطاني ، الورقة ٢٠٠ ب)

(٩) الطبري : ٩٠٢/٢ ، الكامل في التاريخ : ٤١٠/٤ .

أما مايقال عن عزله ليزيد بن المهلب بسبب العصبية (١) ، فمحض اتهام ، لان عزل يزيد كان لاسباب أخرى ادارية تتعلق بمصلحة الدولة(٢) وهكذا نرى أن اختيار الحجاج للرجال كان يقوم على أساس من ثقته بهم ، واعتقاده بكفاءتهم لانه كان رجل دولة لامكان للتعصب عنده (٣) ، كما سبق واشرنا الى جهوده في حل بعض المشاكل الناتجة عن العصبية (٤) . واخيراً فأننا نرى ،أن عبارة الاستاذ (جب H.Gibb) (٥) تقدم الوصف الحقيقي لموقف الحجاج من هذا الأمر : « كان الحجاج قيسياً قوياً ، ولكنه لم يكن ذلك الرجل الذي يقدم حزبه على مصالح الدولة » .

جـ ـ قسوة الحجاج واتهامه بالقتل بالجملة :

تعتبر هذه التهمة من ابرز التهم التي وجهت الى الحجاج ، ولكثرة مارددته الروايات عن هذا الامر ، أصبح من السهل على الكاتب أن يذكر مايشاء من الارقام عن عدد الاشخاص الذين قتلهم الحجاج أو سجنهم ،وإذا مااطلعنا على الروايات التي تذكر مقدار ماقتلهم أو سجنهم . لهالتنا الارقام التي تذكرها فيقال مثلا :

١ ـ أنه قتل مئة وعشرين الفا (٦) ، أو مئة وثلاثين الفا (٧) من الناس صبراً ، عدا من قتل في المعارك والحروب .

---

(١) الزهيري ، ص ١٧٩ .

(٢) راجع الفصل الرابع من هذا البحث ، ص ١١٨ ــ ١١٩ .

(٣) الترجمة العربية ، ص ١٧٥   Dixon, Op. Cit., P. 116

(٤) راجع ، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ من هذا الفصل .

(٥) The Arab Conquests in Central Asia, P. 25 .

(٦) مروج الذهب : ١٥٠/٣ ، التنبيه والاشراف ، ص ٢٧٤ ، العقد الفريد : ٤٦/٥ ، ٥٠ ، غرر السير ، الورقة ٢٤ ب ، تهذيب ابن عساكر : ٨٠/٤ ، ابن العبري ، ص ١١٣ ، تاريخ الاسلام : ٢٥٣/٣ .

(٧) الطبري : ١١٢٣/٢ ، العيون والحدائق ، ص ١٠ .

٢ – وهناك من يضيف الى هذه الارقام فيجعلها مئة وخمسين الفا ، راح اكثرهم ضحايا تهم باطلة (١) .

أما الثعالبي (٢) (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) ، فيقول . أنه قتل اكثر من الف ألف رجل !.

أما أهم الروايات التي تذكر عدد الذين سجنهم الحجاج فهي :

١ – رواية المدائني (٣) : ويذكر : أنهم كانوا ستين الف سجين .

٢ – رواية أبن عبد ربه (٤) ، ويذكر : أنهم ثلاث وثلاثون .

٣ – وهناك من يجعلهم خمسين الف رجل ، وثلاثين الف امرأة ، كانوا محبوسين في موضع واحد ، وكان قسم من النساء مجردات عن الثياب (٥) .

٤ – وتزيد رواية أخرى من هذه الارقام ، فتجعلها، مئة واربعة وثلاثين الف رجل وأمرأة (٦) .

٥ – ويضاعف الديار بكرى (٧) (ت ٩٨٢ هـ / ١٥٧٤ م) هذه الارقام فتصبح ثلاثمئة الف مابين رجل وامرأة .

أن هذه الارقام الخيالية لتدعو الباحث الى التأمل والتفكير في العدد الذي بلغه سكان العراق في ذلك الوقت ، بحيث كان المسجونون منهم فقط يربي عددهم على ربع مليون شخص ، وكذلك في المساحة التي يجب

(١) مختصر تاريخ العرب ، ص ١٠٥ .
(٢) لطائف المعارف ، ص ١٤١ .
(٣) في " انساب الاشراف " ، الورقة ٦١٨ أ (اسطمبول) .
(٤) العقد الفريد : ٤٨١/٣ ، وانظر : تهذيب ابن عساكر : ٨٠/٤ ، تاريخ الاسلام : ٣٥٣/٣ .
(٥) مروج الذهب : ١٠٥/٣ ، التنبيه والاشراف ، ص ٢٥٧ ، العيون والحدائق ، ص ١٠ ، ابن العبري : ص ١١٣ ، حياة الحيوان : ١٩٢/١ .
(٦) محاضرات الادباء : ٨٤/٢ .
(٧) تاريخ الخميس : ٣١٤/٢ .

أن يكون عليها السجن في عهد الحجاج . حتى يستوعب مثل هذا العدد الهائل من الناس . ومن الطبيعي أن هذه الارقام لايمكن أن تكون حقيقية ، خاصة اذا مالاحظنا البون الشاسع والاختلاف الكبير بين أقل عدد واكثر عدد ذكرته هذه الروايات . واذا قرأنا تفصيلات ماأوردته الروايات عن الاوضاع التي كان فيها المسجونون ، تبين لنا استحالتها ، وعدم أمكانية وجودها ، فقد ذكر بأن السجن لم يكن فيه سقف ولا ظل ، وربما كان الرجل يستتر بيده من الشمس فيرميه الحارس بالحجر (١) . فكم من الحراس يلزم حتى يراقبوا حركات المسجونين الذين بلغ عددهم حسب هذه الرواية ، مايقارب مئة واربعة وثلاثون الفا ؟ . يضاف الى هذا ، وجود الكثير من التناقضات في هذه الروايات ، فمن جهة تجعل السجن مكانا ضيقاً لامجال فيه ، يحبس فيه الرجال والنساء مقيدين بقيد واحد (٢) ، ومن جهة أخرى تذكر ما يدل على أن المسجونين كان بامكانهم الوضوء والصلاة وقتما يرغبون (٣) . كما كان بالامكان زيارتهم (٤) ، وادخال الطعام اليهم أيضاً (٥) .

ان معظم هذه الروايات المبالغ بها قد ذكرتها مصادر متأخرة نسبيا ، وبطبيعة الحال . فأن هذا يضعف من شأنها . ويجعلنا لانميل الى الاخذ بها ، وهذا ينطبق ايضا على الروايات التي ذكرت عدد الذين قتلهم الحجاج لان تلك الارقام لايمكن ان تكون صحيحة ، وفي ضخامتها الدليل على بطلانها (٦) ، وقد رأينا في فصل سابق ، كيف ان الرواية التي اتهمت

---

(١) محاضرات الادباء : ٨٤/٢ .

(٢) الاوائل ، ص ٢٦٤ ، محاضرات الادباء : ٨٤/٢ ، الابشيهي : ٦٦/١.

(٣) الابشيهي : ٨٣/٢ .

(٤) محاضرات الادباء : ٨٥/٢ .

(٥) انساب الاشراف ، ج ١١ ، الورقة ٤٠ ب .

(٦) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة : (الحجاج)

الحجاج بقتل سبعين الفا في مسجد البصرة لم توثقها الكشوف العلمية الحديثة(١)، يضاف الى ذلك ، ان سياسة الحجاج التي اتضحت لنا من خلال معاملته للاسرى ، ومعالجته للثورات ، لاتدل على شغف بسفك الدماء : كما انه لم يكن يقتل اسرى المعارك ، الا بعدما يبعث بخبرهم الى عبد الملك ، الذي وحده كان يقرر قتلهم او العفو عنهم (٢) . بل انه كتب الى عبد الملك مرة ينصحه ان يكثر من العفو (٣) . كما تظهر احدى رسائله الى الوليد الاول ، تحرجه من قتل من لم يستوجب ذلك (٤) ، يضاف الى هذا انه كان يأمر قواده ، بعدم المخاطرة بالجند (٥) ، وهذا دليل على عدم محبته للقتل ، لانه لو كان يريد ان يتخلص من العراقيين ، لكان سيان عنده انتصارهم على الاعداء ، او موتهم والتخلص منهم .

لقد كان (ولهاوزن) (٦) على حق ، حينما حلل هذه الناحية المهمة من سياسة الحجاج ، ورد الاتهامات التي تقول بتعطشه للدماء ، وقتله العدد الكبير من الاسرى لان «الروايات القديمة (٧) الصحيحة تقول خلاف ذلك تماما : فالحجاج امر في البصرة والكوفة بعد انتصاره على الفور بالنداء بالامان الشامل لمن القى السلاح....» لقد كان الحجاج بلا شك شديدا وعديم الرحمة في شؤون الدولة ، ولكن الاعدامات بالجملة ، وبقية الفظائع الاخرى التي تعزى اليه كانت من اختراع اعدائه (٨) .

---

(١) راجع الفصل الثاني من هذا البحث ، ص ٧٢ - ٧٣ .

(٢) الامامة والسياسة : ٤١/٢ ، العقد الفريد : ١٧٧/٢ : ٤٦٤ .

(٣) انساب الاشراف ، ج ١١ ، الورقة ٤٠ أ .

(٤) ابن عبدالحكم ، سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٣٥ - ٣٦ .

(٥) الطبري : ١١٨١/٢ ، العقد الفريد : ٢١٨/٤ .

(٦) تاريخ الدولة العربية، ص ٢٤٨ .

(٧) انساب الاشراف، ص ٣٤٩ (اهلوردت)، رواية أبي مخنف في الطبري: ١٠٩٦/٢، الاغاني: ١٠٥/١٠ .

(٨) E.I.,2 "Al-Hadjdjadj B. Yusuf "

ان الدراسة الجادة لسياسة الحجاج ، تظهر لنا مواقف كثيرة ، تدل على انه كان ينبذ سياسة الشدة ، ويظهر فيها من اللين والتسامح مايدحض الكثير من الاتهامات الموجهة نحوه . فقد كان يفسح المجال امام الاسرى ، بعد ثورة ابن الاشعث ، لمناقشته ، وتبيان رأيهم في الحكم الذي يصدره عليهم، وكان يطلق سراحهم اذا ماقتنع بقوة حجتهم ، او بحسن اعتذارهم (١) . ومع هذا فأن الذي يتتبع مناقشة الحجاج مع هؤلاء الاسرى ، يتبين له ، بانه كان قد احسن الى قسم كبير منهم ، وقد اعترفوا انفسهم بذلك ، رغم هذا فقد خرجوا عليه (٢). وتخبرنا احدى الروايات عن حرص الحجاج وتحريه بشأن متهم امر عبدالملك بقتله ، فتبين للحجاج ، ان هذا المتهم يعول عدداً كبيراً من النساء اللاتي جئن إلى باب الحجاج والتمسن منه العفو عنه، فكتب بشأنه إلى عبدالملك ، شارحاً حالته ، وطالباً العفو عنه ، فوافقه الخليفه على ذلك (٣) .

ان هذه المواقف تبين بوضوح ، ان سياسة الحجاج لم تكن كلها شدة وقسوة ، ولم يكن الكره هو الذي يوجه سياسته ، فالذي كان يسير الحجاج في سياسته ، هو اقرار الامن في العراق ، وتثبيت الحكم الأموي فيه . فقد كان يشتغل لدولته بالدرجة الأولى ويعمل لاجلها (٤). ولهذا فان « الحكَمْ غير المتحيز » كما يقول (ديترج) (٥)، «يرى في الحجاج واحدا من اعظم رجال الأدارة والسياسة ، ليس فقط بين الامويين ، انما في جميع العالم

---

(١) البيان والتبيين: ٢٥٧/١، ٣٣٧، ٣٦٨، عيون الاخبار: ١٠٣/١، ابن اعثم، ج ٢، الورقة ١١٠ أ، الوشاء، ص ٨٨ – ٩٠، العقد الفريد: ١٧٤/٢، الفرج بعد الشدة: ٧٩/٢ .

(٢) ابن اعثم، ج ٢، الورقة ١٠٩ أ – ١١٠ أ.

(٣) المحاسن والمساوىء: ٢٠١/٢ – ٢٠٢، تهذيب ابن عساكر: ٦١/٤ – ٦٢ الكامل في التاريخ: ٥٨٥/٤ – ٨٦ .

(٤) كرد علي، «ميزات بني امية» مجلة المجمع العلمي العربي، م ١٦، ١٩٤١، ص ٤٥٠ – ٥٥.

(٥) E.I.,2 "Al-Hadjdjadj B. Yusuf"

الاسلامي». وكان الاخلاص الذي ابداه الحجاج مثار اعجاب وحسد من قبل ابي جعفر المنصور (١٣٦ — ١٥٨هـ / ٧٥٣ — ٧٧٤ م) الذي كثيراً ماكان يشيد بمواقف الحجاج واخلاصه إلى الامويين (١). فلقد كان الحجاج الساعد الأيمن للخلافة الاموية، (٢) وكان عبدالملك مدينا إلى قابلياته المبدعة (٣).

فهو الذي استطاع بشجاعته وعزمه ان يحافظ على انتعاش الامبراطورية في العراق، وشبه جزيرة العرب، وخراسان، «وان القسوة التي استخدمها الحجاج لتحقيق هذه الغاية»، كما يقول (ميور W.Muir) (٤)، «هي التي لطخت اسمه وجعلته يبدو واحداً من اقسى الحكام الذين رآهم العالم». ولكن كيف كان يمكن للحجاج، أو لمن كان في مكانه، ان يعيد الامن والنظام إلى البلاد، بدون استخدام القوة، ومن حوله الخارجون عليه، الثائرون على دولته، ممن يستبيحون كل شيء في سبيل القضاء عليه. لقد استطاع الحجاج ان يثبت السلطة، وان يسمو بالامبراطورية الاسلامية إلى القمة، بفضل قوته، وصلابته ولولا هذه القوة والصلابة لما استطاع ان يحقق ذلك بالرحمة والحنان(٥)

اننا لا نريد ان نقول، بان الحجاج لم يستخدم القسوة، وسياسة الشدة، فهو قد قتل فعلا معظم من ظفر بهم، على اثر قيامهم بشغب، او تمرد على الدولة، ولكنه لم يقتل الالوف من الناس، ولم يكن مشغوفاً بالقتل، وسفك الدماء، فهو بوصفه مسؤولا، يمثل سلطة الخليفة في العراق، كان يرى، ان من واجبه قمع كل تمرد او عصيان يحدث على الدولة، خاصة وانه جاء في عصر شاعت فيه الفوضى السياسية، وتتابعت فيه الفتن والاضطرابات، ومع

---

(١) الاخبار الموفقيات، ص ٣١ — ٣٢، الطبري: ٣/٤٠٠ — ٤٠١، الوزراء والكتاب، ص ٥٣: غرر السير، الورقة ١٩٦ ب، ابن الابار، الحلة السيراء: ١/٣٤.

(٢) W. Muir, Annals of the Early Caliphate, P. 445 .

(٣) Sykes, A History of Persia, Vol. I, p. 550.

(٤) The Caliphate, PP. 348-49...

(٥) Perier, Op. Cit ., P. 327.

هذا فهناك من المؤرخين من يقول : «لا يحق لنا قط ان نقول ان التدابير التي اتخذها الحجاج لعلاج هذه الحالة قد جاوزت حدود الشدة ...» (١).

(د) معاداة العلويين وانصارهم :

وهذه ايضاً من التهم التي وجهت إلى الحجاج، فنسبت اليه، انه كان يقتلهم لا لسبب، الا لكونهم من انصار العلويين، فاصبح الرجل في عهده احب اليه ان يقال عنه انه زنديق او كافر من ان يقال : من شيعة علي (٢). وتذكر الروايات المعارضة للحجاج بأن ابداء البغض لعلي وموالاة اعدائه، كان من المناقب العظيمة التي يُجزى عليها الحجاج (٣). وهناك روايات اخرى تظهر شديد بغض الحجاج للعلويين، فقد طلب الحجاج من احد عماله، ان يقبض على احد الهاربين الذين خرجوا مع ابن الاشعث، ويدعوه إلى لعن علي بن أبي طالب، والا فليضربه اربعمئة سوط ويحلق رأسه ولحيته (٤).

ان معظم هذه الروايات لا تستند إلى الواقع، ولا نجد من الحقائق التاريخية ما يؤيدها او يوثقها، فبالنسبة للرواية الاخيرة، نجد ان الحجاج لم يلاحق المتهم المذكور، لانه من انصار علي بن أبي طالب، انما لاحقه لانه اشترك في تمرد مسلح على الدولة، ولا يمكن تصديق عقوبة اللعن المذكورة، لان الحجاج لم يطبقها على أي اسير آخر قبض عليه اثر فشل ثورة ابن الاشعث.

ان اهم ما يستند اليه الذين يتهمون الحجاج ببغض العلويين :

الرواية التي ذكرها المسعودي (٥)، عن بعض الرواة، ابرزهم، هشام الكلبي، وابوه محمد بن السائب، ونقلها كل من ابن أبي الحديد (٦) (ت ٦٥٥هـ/

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية، مادة: (الحجاج) .
(٢) ابن ابي الحديد: ٥٩٥/٣ .
(٣) نفس المصدر، ص ٥٩٦، المظفري، تاريخ الشيعة، ص ٤٠، محفوظ، تاريخ الشيعة، ص ١٦ .
(٤) طبقات ابن سعد: ٢١٢/٦ - ١٣، الطبري: ٢٤٩٤/٣ .
(٥) مروج الذهب: ٨٤/٣ .
(٦) شرح نهج البلاغة: ٧٨٠/١ - ٨١ .

١٢٥٨م)، وابن طاووس (١) (ت ٦٩٣هـ/١٢٩٣م)، وملخصها: ان الحجاج استحسن بعض الاعمال التي عددها احد اتباعه المخلصين، مبينا انها مفاخر عظيمة له ولقومه، ومن هذه المفاخر: ان نساءهم نذرن ان ينحرن الذبائح اذا قتل الحسين، ووفين بنذرهن، وانهم واولادهم يسبون علياً، وابنيه الحسن والحسين وأمهما ، إلى آخر هذه الامور التي يربأ كل مسلم ان يتلفظ بها، او أن يقرها من كان له ذرة من الايمان. ولكن الرواية تظهر الحجاج بمظهر المسرور من هذه الامور التي عدها من المناقب العظيمة. غير ان تمحيص هذه الرواية، يظهر بوضوح، انها وضعت لزيادة النقمة على الحجاج، واظهاره بمظهر المعادي لآل بيت الرسول (ص). واذا ما تتبعنا ابرز رواة هذه الرواية: وهو محمد بن السائب الكلبي، نجد انه كان من المعادين للحجاج، وقد اشترك فعلا ضده في معركة دير الجماجم (٢)؛ وقد اعترف محمد بن السائب نفسه، انه كان احد العصاة الفارين، الذين كان يطاردهم الحجاج، كما جاء ذلك في كتاب «المثالب» (٣). يضاف إلى هذا كله انه يتهم بالكذب (٤)، كما ضعفت احاديثه لافراطه في التشيع، وقد اعترف هو على نفسه، بانه حدث باحاديث كاذبة نسبها إلى ابن عباس (٥)، كما اعترف ايضاً انه كان يكذب في الانساب (٦)، ويلاحظ ان كل الذين نقلوا هذه الرواية عن ابن الكلبي مؤلفون متشيعون، امثال المسعودي (٧)، وابن طاووس (٨)؛ او يميلون جداً إلى العلويين ، مثل ابن أبي الحديد، المحسوب على الشافعية المعتزلة (٩).

(١) فرحة الغري، ص ١٢ - ١٤ .
(٢) طبقات ابن سعد: ٢٥٠/٦، الطبري: ١٠٩٦/٢ .
(٣) ابن الكلبي، الورقة ٩٠ .
(٤) الجرح والتعديل، م ٣، قسم ٢؛ ص ٢٧٠ - ٢٧١، تهذيب التهذيب: ١٧٨/٩ - ٨١.
(٥) تهذيب التهذيب: ١٧٨/٩ - ٨١ .
(٦) الاغاني: ٥٨/١٩ .
(٧) انظر: اعيان الشيعة: ١٩٩/٤١ .
(٨) انظر: نفس المرجع: ٨٠/٣٨ .
(٩) شرح نهج البلاغة: ١٩/١، البداية والنهاية: ١٩٩/١٢ - ٢٠٠ .

ولذلك فلا يمكن الاخذ بمثل هذه الرواية عن موقف الحجاج من العلويين.

لقد تركت هذه الروايات المخترعة، نتائج سيئة في تاريخ الحجاج، حتى ظن انه يبغض العلويين، فقد ذكر الجاحظ: (١) ان الشيعة يرون «انه ليس في الارض اكفر بالله ولا اجحد لامامة علي ولا انقض لامره، ولا اقتل لشيعته من الحجاج ولا من ولاّه ...»، اما الكراجكي (٢) (ت ٤٤٩هـ/١٠٥٧م)، فيذكر رواية عن الشعبي تقول: ان الحجاج أراد ان يضحي في يوم الاضحى برجل من اهل العراق، لا لشيء الا لكونه كان من انصار العلويين، ولانه قال: ان الحسن والحسين هما من ذرية الرسول (ص). وروى الكشي (٣) (ت القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)، ان الحجاج لم يقتل سعيد بن جبير، الا لانه كان يأتم في الصلاة بعلي بن الحسين، ولا يذكر دور سعيد ابن جبير الكبير، ومشاركته في ثورة ابن الاشعث.

ولكن من وجهة النظر العلمية، لا دليل لدينا يؤكد، ان الحجاج قتل انصار العلويين لمجرد كونهم من شيعة علي، وكل ما لدينا: ان الحجاج كان يعاقب كل من يخرج على الدولة، بغض النظر عن مذهبه أو معتقده، أي أنه ان عاقب أو قتل، فبسبب التمرد لا بسبب المذهب (٤).

---

(١) العثمانية، ص ١٥٠.

(٢) كنز الفوائد، ص ١٦٧ - ٦٨.

(٣) رجال الكشي، ص ١١٠، بحار الانوار، ج ٤٦، م ١١، ص ١٣٦، ومن الجدير بالذكر، ان الكشي، نقل هذه الرواية عن سلسلة من الرواة، المعروفين بالتشيع، من امثال: الفضل بن شاذان، وهشام بن سالم، يضاف إلى هذا ان منهم من كان من موالي المهالبة من الازد، مثل محمد ابن أبي عمير، الذي ضرب في عهد الرشيد، انظر: رجال الكشي، ص ٤٥١ - ٥٦، ٢٣٨ - ٤٠، ٤٩٤، رجال الحلي، ص ١٣٢ - ٣٣، ١٤٠ - ٤١. فلا يستبعد والحالة هذه، ان تلصق هذه الرواية على الحجاج، لما بينه وبين المهالبة من عداء معروف، ولهذا فنحن لا نصدق اسناد هؤلاء الرواة، لروايتهم هذه، إلى الامام جعفر الصادق.

(٤) انظر: ابن أبي الحديد: ١٠٩/٥، حيث يقول: «قتل الحجاج كميل ابن زياد على المذهب فيمن قتل من الشيعة»، والواقع ان كميل بن زياد النخعي، شارك في معركة دير الجماجم: =

ومن ناحية اخرى، فاننا نجد للحجاج مواقف تظهر بوضوح، ان موقفه من العلويين، وانصارهم، لم يكن دائماً كما صورته الروايات المناوئة له، فقد جاء اليه رجل، وطلب منه ان يعطيه على بلائه، مدعياً بانه قتل الحسين ابن علي، فطرده الحجاج، ولم يعطه شيئاً، وقال له : «اما والله لا تجتمعان في الجنة» (١) وفي رواية اخرى «لا تجتمع انت وهو في مكان واحد» (٢). وفي موقف آخر، ادعى احدهم امام الحجاج، انه قاتل عمار بن ياسر (٣)، وطلب منه ان يعطيه، فأبى الحجاج قضاء حاجته، وقال «... والله لو ان عماراً قتله اهل الارض كلهم لدخلوا كلهم النار ...» (٤) .

(٣)

الحجاج والفتوحات

توسعت الدولة الاسلامية في عهد الامويين توسعاً كبيراً، خاصة في عهد الوليد الاول، فقد اصبحت الفتوحات شغل الدولة الشاغل، وسجلت الجيوش الاسلامية انتصارات عظيمة في الشرق والغرب. وانه مما لا شك فيه ان انتصارات الوليد العظيمة في الشرق كانت في الحقيقة نتيجة لجهود الحجاج(٥). فقد عبأ البلاد، وهيأها لحركة الفتوحات في الشرق، ودعم قادته، وجهزهم بكل ما يحتاجون اليه، ففتح قتيبة بن مسلم بلاد تركستان، ووصل إلى حدود

=وخطب محرضا الناس على الحجاج، انساب الاشراف، ج ٦، الورقة ٢٨ ب، وانظر أيضا: الطبري: ١٠٧٦/٢، ورواية (الواقدي) في البداية والنهاية: ٤٢/٩. وقد قتله الحجاج لهذا السبب، ولانه بايع ابن الاشعث، ووافق مطر بن ناجية الرياحي على شتمه الحجاج على المنبر : ابن اعثم، ج ٢، الورقة ١٠٨ أ .

(١) البصائر والذخائر، م٣، القسم ٢، ص ٤٧١، سرح العيون، ص ١٨٠.
(٢) تهذيب ابن عساكر: ٦١/٤، الكامل في التاريخ: ٥٨٥/٤، البداية والنهاية: ١٢٤/٩.
(٣) من كبار الصحابة ومن اصحاب علي بن أبي طالب، قتل في معركة صفين سنة (٣٧هـ/٦٥٧م). الطبري: ٣٣٢٠/١ – ٢١ .
(٤) الكامل في التاريخ: ٣١١/٣ .
(٥) E.I.,2 "Al-Hadjdjadj B. Yusuf "

الصين، وعمل محمد بن القاسم الثقفي على فتح بلاد السند والهند (١). ولقد شجع الحجاج من يسبق من قواده العظام في فتح البلاد، بالتولية عليها فقد كتب إلى كل من قتيبة بن مسلم، ومحمد بن القاسم : «ايكما سبق إلى الصين فهو عامل عليها وعلى صاحبها» (٢)، وشجع محمد بن القاسم ووعده، ان يجعله عاملا على ما يفتحه من البلدان (٣) .

لقد كان الحجاج يدرك تماماً، ان هذه الفتوحات ستكون قوة للدولة، وسيعود نفعها على المسلمين بصورة عامة، لما ستسببه من ازدياد الثروة والرخاء، وانتشار الاسلام. وكان يعلم بأن كل ما سينفقه عليها سيعود اضعافا مضاعفة إلى بيت المال (٤). ويبدو ان ظن الحجاج هذا قد تحقق ، فقد رجع عليه ضعف ما انفقه على حملة محمد بن القاسم إلى السند (٥)، وكذلك فقد كانت الاموال التي حملها اليه قتيبة بن مسلم ، نتيجة فتوحاته كثيرة جداً (٦).

ان كثرة الغنائم، او المكاسب المادية العائدة لبيت المال، لم تكن هي العوامل الاساسية التي وجهت نظر الحجاج إلى الفتوحات في الشرق. فقد كانت الحالة في شرق الامبراطورية تتطلب توطيد السلطة الاسلامية فيها، خاصة وان الامن اصبح مفقوداً في الاطراف النائية من الحدود، فأصبح اللصوص، وقطاع الطرق، يعبثون بالسفن والقوافل، ويتمتعون بحماية ملك (الدَّيْبُل)، (٧)

---

(١) البداية والنهاية: ٩/٨٧ – ٨٨.

(٢) ديوان جرير، م ١، ج ١، ص ٤٤٢، تاريخ اليعقوبي: ٢/٣٤٩ .

(٣) تاريخ خليفة: ١/٣٠٨ .

(٤) E.I..2 "Al–Hadjdjadj B. Yusuf"

(٥) ديوان جرير، م ١، ج ١، ص ٤٠٨، فتوح البلدان: ص ٥٣٨، الكامل في التاريخ: ٤/٥٣٩ .

(٦) تاريخ بخاري، ص ٧٠ – ٧١، غرر السير، الورقة ٤٨ ب – ٤٩ أ.

(٧) مدينة مشهورة في ارض السند ، ويقال لها (الديبلان) ايضا ، تقع على ساحل بحر الهند: معجم ما استعجم : ٢/٥٦٩ ، معجم البلدان : ٢/٦٣٨ .

الذي اظهر استخفافا واضحا بسلطة الدولة الاسلامية (١)، وعندما علم الحجاج، ان بعض النسوة المسلمات قد تعرضن إلى مهاجمة اللصوص قرب (الديبل)، وان احداهن استغاثت به، ونادت (يا حجاج)، صمم على انتهاز الفرصة، فانذر (داهر) ملك (الديبل)، بارجاع النسوة، ومعاقبة اللصوص. وعندما رفض الاخير هذا الطلب، قرر الحجاج استخدام القوة، فأرسل الجند للسيطرة على تلك البلاد، واخضاعها للامبراطورية الاسلامية (٢) .

وهناك من يعزو فتوحات الحجاج إلى سياسة خاصة منه في الهاء اهل العراق، وابعادهم عن اهلهم تخلصا من ثوراتهم، واستنزافا لطاقاتهم الحربية خوفاً من ان تتجه اليه (٣). ان هذا الرأي المحصور بهذا النطاق الضيق، لا يمكنه ان يفسر تلك الحركة العظيمة التي شملت شرق الدولة الاموية وغربها في ذلك العهد. يضاف إلى هذا، ان الفتوحات في الشرق لم يقم بها اهل العراق وحدهم، حتى يضع لهم الحجاج سياسة خاصة بهم، فقد كان إلى جانبهم في هذه الفتوحات كثير من اهل الشام (٤). ولكن يبدو ان القائلين بهذا الرأي قد تأثروا بخطبة الحجاج التي قال فيها : «يا أهل العراق، اني لم اجد لكم دواء ادوى لدائكم من هذه المغازي والبعوث، لولا طيب ليلة الاياب، وفرصة القفل، فانها تعقب راحة ...» (٥)، وعلى الرغم من ان هذا الكلام

---

(١) S. Miles, The Conutries and Tribes of the Persian Gulf P. 154 .

(٢) ديوان جرير، م ١، ج ١، ص ٤٠٧ – ٤٠٨، فتوح البلدان : ٥٢٤/٣ الطبري : ١٢٧٦/٣، البيروني : الجماهر في معرفة الجواهر، ص ٤٧ – ٤٨، معجم البلدان: ٨٨٦/٤ .

(٣) ردد هذا الرأي بعض الكتاب المحدثين، انظر : شرارة ص ١٨٣ – ٨٤، محمد، الخلافة والدولة في العصر الاموي، ص ٢٦٦، ١٧٦ .

(٤) فتوح البلدان : ص ٥٣٤/، انساب الاشراف، الورقة ٦٢٣ أ (اسطمبول) الطبري : ١٢٥٧/٢، لدامة، الورقة ٢١٢ أ .

(٥) العقد الفريد : ١١٩/٤ .

قد ورد في مصدر أدبي، ولم يوثق من المصادر التاريخية، فهو لا يدل على ان الحجاج وضع سياسة الفتوحات لعلاج طبيعة اهل العراق، لان تفكير الحجاج كان منصرفاً منذ البداية إلى الفتح، خاصة لبلاد ما وراء النهر (١). ويحتمل انه ادرك فيما بعد، ان استخدام اهل العراق في الغزوات قد افاد في صرف انظارهم عن معارضة السلطة في الداخل، وهذا الرأي يمكن ان يقبل نتيجة لسياسة الفتوحات، لا سببا اساسياً لها.

لقد استطاع الحجاج بحزمه، وشدته، وتحمله مسؤولية الفتح، ان يحمل رايات الاسلام إلى حدود الصين والهند (٢)، ويرى ابن كثير: (٣) انه لو عاش الحجاج لما اقلع قتيبة بن مسلم عن فتح بلاد الصين. ان تعاون الحجاج التام بينه وبين قواده، يظهر مدى التأثير الشخصي للحجاج على سير الفتوحات، يذكر الاستاذ (جب Gibb) (٤) بان انجازات الجيوش الاسلامية في اواسط آسيا خلال حكم الوليد الاول كانت تُعزى بالدرجة الاولى إلى التعاون التام بين نبوغ الحجاج الموجه وبين قدرة قتيبة الحربية. «لقد استطاع قتيبة ان يقوم بفتوحاته بدعم من الحجاج . ولكن عندما اختفى الحجاج لم يكن هناك قائد ولا تنظيم يحل محله. وتاريخ العقد التالي يُري بوضوح كيف كانت سيادة العرب منحلة وغير مستقرة. فالقوة كانت من وراء الفتوحات ...»(٥) . ويمكن ان نضيف عامل التنظيم والخبرة . اللتين امتاز بهما الحجاج، في تجهيز الجيوش وتسييرها، كعوامل اخرى ساعدت على نجاح حركة الفتوحات. فقد جهز الحجاج جيش محمد بن القاسم بكل ما يحتاج اليه من لوازم، حتى

---

(١) Gibb, Op. Cit., P. 25 .

(٢) البداية والنهاية : ٨٧/٩ ، ١١٩ .

(٣) نفس المصدر : ٨٧/٩ — ٨٨ .

(٤) The Arab Conquests in Central Asia, p. 29.

(٥) Ibid, P. 54 .

البسيطة منها (١). اضافة إلى انه نظم ارسال الحملة بان جعلها قسمين. برية وبحرية، وحرص على ان تصل الحملتان في وقت واحد إلى (الديبل) (٢). وكانت اتصالاته بقواده مستمرة. يطلع فيها على كل كبيرة وصغيرة تهم الجيش الفاتح، فقد كانت كتب الحجاج ترد على محمد بن القاسم، وكتب الاخير ترد عليه كل ثلاثة ايام. وكثيراً ما كان الحجاج يُبدي توجيهاتـه في طريقة الفتح، او القتال. ويحاول ان يذلل العقبات التي تعترض سير الحملات بعد اطلاعه على الوصف التفصيلي لأرض المعركة (٣). وعندما كانت اتصالاته تتأخر مع الجيش الفاتح، يصبح قلقه عظيماً، واشفاقه كبيراً على المسلمين، فقد قطع اتصاله مع قتيبة سنة (٨٧هـ/٧٠٥م) نتيجة لحصار فرض على الاخير من قبل الاعداء فأصبح الحجاج قلقاً بهذا الخصوص. وامر الناس، ان يقيموا الصلوات في المساجد، وان يكثروا من الدعاء لسلامة المسلمين (٤)، وكان يأمر قواده بالتروي، وعدم المخاطرة بارواح الجند. وان يكونوا في مقدمة الجيش اذا غزا، وفي اخرياته اذا اقفل، وان يأمروا جنودهم بتلاوة القرآن، لانه أمنع الحصون (٥) .

بهذه الهمة قاد الحجاج حركة الفتوحات في الشرق. فانتزع الاعجاب حتى من اعدائه، فبعد موته امتنع (زُنْبيل) عن دفع ما كان يؤديه للحجاج، لمن خلفه من الولاة وعمالهم. وعندما قيل له : «ما بالك كنت تعطي الحجاج الاتاوة ولا تعطيناها؟ فقال : كان الحجاج رجلا لا ينظر فيما انفق اذا ظفر

(١) فتوح البلدان : ص /٥٣٤ ، الجماهر في معرفة الجواهر ، ص ٤٨ ، الكامل في التاريخ : ٥٣٧/٤ .

(٢) فتوح البلدان : ص ٥٣٥ ، الكامل في التاريخ : ٥٣٧/٤ .

(٣) فتوح البلدان : ص ٥٣٥، الطبري : ١١٩٩/٢ ، العقد الفريد : ٢١٨/٤ ، الكامل في التاريخ : ٥٣٥/٤ – ٣٦ ، البداية والنهاية : ٧٦/٩ .

(٤) تاريخ بخاري : ، ص ٧٢ ، الكامل في التاريخ : ٥٢٨/٤ ، تاريخ الخلفاء ، ص٣٠٦

(٥) الطبري : ١١٨١/٢ ، العقد الفريد : ٢١٨/٤ ، البداية والنهاية : ٦١/٩ .

ببغيته ولو لم يرجع اليه درهم، وانتم لا تنفقون درهما الا اذا طمعتم في ان يرجع اليكم مكانه عشرة ...» (١) .

(٤)

مسؤولية الحجاج عن سياسته في العراق وعلاقته بالسلطة المركزية

لم يكن الحجاج حراً تمام الحرية في السياسة التي نفذها في العراق فقد كان بمثابة موظف ينفذ السياسة العامة للدولة الاموية، ولكن كانت له صلاحيات واسعة، يتصرف بموجبها على وفق ما يراه مناسبا لادارة البلاد، وضمان مصالح الدولة. ويرى (ولهاوزن) (٢) ان السلطة التي كان يتمتع بها الحجاج ازدادت بمجيء الوليد الاول إلى الحكم، لانه عمل جاهداً في ان يجعل له ولاية العهد، لذلك فان الحجاج اخذ يتدخل حتى في دائرة اختصاص الخليفة. ويبدو لي، ان علاقة الحجاج مع الخليفة كانت من نوع خاص، يختلط فيه المسلك الرسمي مع المسلك الشخصي، فاننا مثلا نراه يكتب إلى عبدالملك، ينصحه ان يكثر من العفو فيقول : «انك يا امير المؤمنين اعز ما تكون احوج ما تكون إلى الله فاذا عززت بالله فاعفو له فانك به تقدر واليه ترجع» (٣). ويكتب إلى الوليد الاول، بعد تسلمه الخلافة، ينصحه ان يقوّم أود الاسلام وشرائعه وحدوده، والا يلتفت إلى محبة الناس او بغضهم (٤) . فهذه امور خاصة كان من الصعب ان يقبلها الخليفة من أي تابع آخر غيره .

لقد كان الحجاج على اتصال دائم بالخليفة، يكتب له في امور كثيرة كأن يطلب من عبدالملك ان يأمر بالقبض على احد الهاربين من العراق إلى

(١) فتوح البلدان : ص ٤٩٣ ، اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٨٣ – ٨٤ ، اخبار القضاة : ٣٥٤/١ ، الدامة ، الورقة ٢٠١ أ–ب

Gibb, Op. Cit., p. 54 .

(٢) تاريخ الدولة العربية ، ص ٢٤٣.

(٣) انساب الاشراف ، ج ١١ ، الورقة ٤٠ أ ، وفي "البداية والنهاية" : ٦٥/٩ مايشابه هذه النصيحة ، ولكن من عبدالملك إلى الحجاج .

(٤) الامامة والسياسة : ٤٨/٢ .

الشام، بعد ارسال اوصافه (١)، او يطلب من الوليد الاول ان يضع حداً للجوء بعض الهاربين من اهل العراق إلى الحجاز (٢)،أو يستشير الخليفة في انفاذ الجند إلى حدود الدولة الشرقية لتأديب الاعداء الذين اجترأوا على المسلمين مبينا في نفس الوقت، ان ذلك ضروري لبقاء تلك المناطق في ايدي المسلمين (٣). ولم تكن كل رسائل الحجاج إلى الخليفة سياسية. فقد كتب إلى عبدالملك مرة يشير عليه باتخاذ كاتب معين لصفاته الحميدة التي تؤهله لذلك المنصب (٤)، وكان يكتب اليه يعلمه عن تطورات المطر. واحوال الارض، وحالة الفلاحين (٥).

لقد نقل الينا المؤرخون روايات كثيرة، تشير إلى موقف السلطة المركزية، وعلى رأسها الخليفة، من السياسة التي كان يسير بموجبها الحجاج والواقع اننا نلحظ اتجاهين في هذه الروايات، الاول: يظهر فيه عدم رضا الخليفة (عبدالملك) على سياسة الشدة التي يتبعها الحجاج في العراق، ويطلب اليه ان يتبع معهم الرفق واللين (٦). ويظهر في هذا الاتجاه ايضا، لوم الخليفة للحجاج على تبذير الاموال (٧)، وعلى الاسراف في القتل، ولكن الحجاج يدافع عن نفسه، فيرد: انه لا يعتبر قتل العصاة اسرافا، ولا اعطاء المطيعين تبذيرا، وهو لم يقتل الا لمصلحة الخليفة، ولم يعط الا لاجله (٨).

---

(١) الاغاني : ١٤٧/١٦ .
(٢) انساب الاشراف ، جـ٦ ، الورقة ٣١ أ ، الطبري : ١٢٥٤/٢ .
(٣) الطبري : ١٠٣٨/٢ - ٣٩ .
(٤) نفس المصدر ، ص ١١٦٨ .
(٥) البيان والتبيين : ٣٨٦/٣ - ٨٧ .
(٦) العقد الفريد ، ٢٠٧/٤، ٤٤/٥ - ٤٦ ، الثعالبي ، كتاب خاص الخاص ، ص ٨٧ ، تاريخ ، الخلفاء ، ص ٢٩٥ .
(٧) انساب الأشراف ، ص ٣١٧ - ١٨ (اهلورت) ، ابن اعثم ، جـ٢ ، الورقة ١١٤ب ، تهذيب ابن عساكر : ٦٦/٤ .
(٨) ابن اعثم ، جـ٢ ، الورقة ١١٤ب ، مروج الذهب : ٧٤/٣ - ٧٦ ، تهذيب ابن عساكر : ٦٧/٤ - ٦٨ ، الحلة السيراء : ٣١/١ - ٣٢ ، وفيات الاعيان: ٣٥/٢ - ٣٦، الابشيهي: ٦٥/١ .

وعندما طلب الوليد الاول إلى عماله، ومنهم الحجاج، ان يكتبوا اليه بذنب كل متهم يقتلونه، ردّ عليه الحجاج بقوله: «أنا أحوط لديني وأرعى لما استرعيتني واحفظ له من أن اقتل احدا لم يستوجب ذلك، وقد بعثت اليك ببعض من كنت اقتل على هذا الرأي فشأنك واياه» (١) .

اما الاتجاه الثاني : فيظهر فيه تحريض، وتشجيع الخليفة (عبدالملك) له على اتباع سياسة الشدة مع اهل العراق، فقد كتب اليه بعد القضاء على ثورة ابن الجارود : «فاذا رابك من اهل العراق ريب فأقتل ادناهم يرعب منك اقصاهم والسلام» (٢)، وكتب اليه في اسرى دير الجماجم، ان يقتل كل من لا يقر على نفسه بالكفر لخروجه على الدولة (٣). وعندما حاول الحجاج ان يشفع لاحد الاسرى عند عبدالملك كتب اليه يقول : «لم ابعثك مشفعا وانما بعثتك منفذا مناجزا لاهل الخلاف والمعصية» (٤). وكتب اليه بعد دير الجماجم : «ان جهز اهل العراق وتابع عليهم البعوث واستعن عليهم بالفقر فانه جند الله الاكبر ...» (٥) ففعل ذلك بهم سنتين، لكنه رجع والتمس من الخليفة ان يأمر لهم بالعطاء قائلا : «... وان لهم في هذا الفيء حقا ونصيباً واني أخاف ان حبسناه عنهم (*) ان ينصروا علينا فان رأى امير المؤمنين ان يأمر لهم بحقوقهم فليفعل ...» (٦) .

ويبدو ان الاتجاه الثاني، كان منسجماً مع سياسة عبدالملك العامة وتهديده بالقوة كعلاج لبعض المشاكل السياسية المستعصية. ويذكر المدائني (٧)،

---

(١) ابن عبدالحكم ، سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٢٥ – ٣٦ .
(٢) انساب الاشراف ، ص ٢٩٤ (اهلورت) .
(٣) تاريخ خليفة : ٢٨١/١ ، العقد الفريد : ١٧٧/٢ ، ٤٦٤ .
(٤) الامامة والسياسة : ٤١/٢ .
(٥) انساب الاشراف ، جـ ٦ ، الورقة ٣٠ ب .
(*) بالاصل (عليهم) ولا يستقيم بها المعنى .
(٦) انساب الاشراف ، جـ ٦ ، الورقة ٣٠ ب .
(٧) في " انساب الاشراف " ص ١٧٨ – ٧٩ (اهلورت) .

احدى خطبه، التي تؤيد هذا الاتجاه، القاها في موسم الحج لسنة (٧٥هـ/ ٦٩٤م) فقال : «ان الخلفاء قبلي كانوا يداوونكم بأدوائكم فيأكلون ويؤكلون وأني والله لا أداويكم الا بالسيف ...»

لهذا فاننا لا نستطيع ان نقول،ان الحجاج وحده كان مسؤولا عما قام به في العراق، لانه في امور كثيرة كان ينفذ ما يطلبه منه الخليفة، ولكن كانت توجيهات الخليفة وأوامره، تلاقي طاعة نادرة، غير محدودة من قبل الحجاج (١) .

---

(١) مروج الذهب : ٨٢/٣، E.I.2,,,Al-Hadjdjadj;p;ap:.B.Yusuf,.
ولزيادة الاطلاع على تأثير الخليفة في سياسة الحجاج ، وتوجيهاته اليه ، انظر : انساب الاشراف ٤٩٩/١ ، نفس المصدر ، ص ٢٩٥ - ٩٦ . (اهلورت) ، الطبري : ٢/ ١٠٠٣ - ١٠٠٤ ، مروج الذهب : ٦٢/٣ ، الاغاني : ٥٨/١٣ ، التذكرة الحمدونية ج ١ ، م ٢ ، ص ٢٤٤.

خلاصة البحث

لقد درست في هذا البحث تاريخ العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، ذلك الرجل الذي حامت حول شخصيته شبهات كثيرة، واختلفت وجهات النظر فيه وفي حكمه للعراق، فأنبرى البعض للدفاع عنه، وحاول البعض الآخر اتهامه بشتى الاتهامات، فمسخ شخصيته، وشوه العهد الذي تولى فيه حكم العراق. ومن خلال هذا البحث استطعت ان المس الكثير من الاتهامات الكاذبة، او المبالغ فيها، كما لمست في شخصية الحجاج جوانب ايجابية مهمة، في التنظيم، والسياسة، والمقدرة العسكرية، ووجدت ان معظم التهم تتهافت امام النقد والبحث العلمي، استنادا إلى المصادر الاولية الموثوق بها .

ولا شك في انه كان للحجاج بن يوسف بعض الاخطاء، التي ارتكبها اثناء ولايته على العراق، ولعل سببها استعجاله وقلة صبره، وعدم ثقته بالآخرين احيانا، او عدم تقديره لعواقب الامور احيانا اخرى، ولكن هذا لا يسوغ لنا ان نعتبر كل عهده اخطاءاً ومآخذ، وان نتهمه دون ترو، او بحث عن الحقيقة. فلقد اتهم بالقسوة، وسفك الدماء، والقتل من اجل القتل، وقد رأيت ان هذا الامر مبالغ فيه. صحيح انه قتل عددا من الناس لكنه لم يقتل الا بعد ان شق الناس عصا الطاعة، واعلنوا العصيان على الدولة. وفي احيان كثيرة، كان يعفو عن بعض من هؤلاء اذا اظهروا الندم أو اعترفوا بذنبهم. ويمكن ان يقال عن المبالغة في عدد المسجونين في عهده، وعن اسباب حبسهم مثل ذلك. ولا يوجد ما يؤيد اتهام الحجاج بالعصبية، او بمعاداة العلويين وانصارهم، لكونهم من انصار آل علي بن أبي طالب .

ان الظروف السياسية التي كانت سائدة في ذلك العصر ، هي التي مهدت السبيل إلى افتعال الكثير من هذه الاتهامات . فلقد حكم الحجاج العراق في عهد كثرت فيه الاضطرابات والثورات ، ولم يكن امامه من سبيل الا استعمال الحزم والشدة ، فقضى على كل تلك الثورات والفتن، وضرب القائمين بها ، مما اثار حقد الناس وحسدهم ، فكرهه كل من كانت له مصلحة في إزالة الحكم الاموي ، او محاربته ، وكان عدد هؤلاء كبيراً . فلقد عاداه الزبيريون لأنه حطم حكمهم في العراق والحجاز ، كما عاداه الاشاعثة ، والمهالبة ، لأنه قضى على طموح عبد الرحمن بن الاشعث ، وعزل يزيد ابن المهلب من خراسان . ولم ينل رضا العلويين وانصارهم ، لأنه ثبت دعائم الحكم الأموي في العراق وحال دون تحقيق رغباتهم وتطلعاتهم ، كما اسخط الخوارج بقضائه على حركاتهم الواحدة تلو الأخرى . وهكذا وجد الحجاج نفسه امام مجموعة كبيرة من الأعداء ، الذين كان بينهم ادباء ، وشعراء ورواة ، بالغوا في اختراع الأخطاء ، ونسبتها اليه ، ودس الروايات الكاذبة عليه ، انتقاماً منه وتشويهاً لسمعته وحكمه في العراق .

ان أية دراسة جادة لهذا العهد لابدّ أن تأخذ بنظر الأعتبار ، فترة الاضطراب السياسي ، التي سبقت عهد الحجاج في العراق ، وما سببته من انعدام الثقة والقلق بين الناس ، ولذلك فان حكمنا على الحجاج ، دون دراسة الظروف الموضوعية التي كانت سائدة في عهده ، لابدّ أن يكون خطأ إذ لايجوز أن نذكر شدة الحجاج ، وكثرة من قتلهم ، دون ذكر حركات التمرد واسبابها ، وعوامل القيام على الدولة ، وهذا ماحاولت ان اتوصل اليه اثناء هذا البحث .

وقد تبين لي أن الحجاج ساعد على اشعال بعض هذه الثورات ، او ساعد على اعطائها السبب المباشر ، ولكنه لم يكن العامل المسبب لبقية الثورات ، ولا يمكن تحميله نتائج ماحصل بسببها ، فهو لم يكن الا منفذاً لسياسة الدولة العامة ، وملتزماً بتعليمات الخليفة الأموي في كثير من الأحيان .

وفي هذا البحث دراسة لاجراءآت الحجاج في مجال التنظيم الاداري ، الذي يعتبر من أعظم ماقام به في العراق . اذ كان براقب الموظفين الاداريين ويمنع تجاوزاتهم على الناس ، ويقوم باختيار ذوي الكفاءة لتولي المناصب الادارية المهمة . وعند أول تعيينه للعراق ، قام باعادة تنظيم الجند . كما اقر الأمن الداخلي في المدن ، وضرب على أيدي اللصوص، وقطاع الطرق . ثم نفذ سياسة الدولة في عملية تعريب الدواوين ، فأمر بنقلها من اللغـــة الفارسية إلى اللغة العربية في العراق فكان هذا من ابرز انجازاته الاداريـة الكبرى ، لأنه اعطى الدولة الصبغة العربية ، كما سهل الاشراف على حسابات الضرائب ، ومعالجة الأزمات الأقتصادية التي كانت تحدث في الولاية . وهناك تنظيمات اخرى ثقافية ، واجتماعية ، وصحية ، امر الحجاج باجرائها في المدن ، كما قام بانشاء مدينة واسط بين البصرة والكوفة ، للاشراف على ادارة المناطق التي حولها ، ولتصبح مركزاً قوياً للسلطة في البلاد .

ويمكن ان نرجع الفضل في عملية الاصلاح النقدي ، في العراق والاجزاء الشرقية من الدولة ، إلى الحجاج بن يوسف ، فقد كان هو المشرف والمنفذ لهذه العملية الخطيرة التي ابتدأها الخليفة عبد الملك بن مروان في الشام .
وقد بينت في هذه الرسالة اثر جهد الحجاج ،الذي ظهرت بنتيجته النقود الفضية الاسلامية الخالصة ، وعُمّمت على جميع الأقاليم التي تخضع لولاية العراق من الناحية الادارية .

وفي ختام هذا البحث ، اذكر ان اجراءآت الحجاج في مجال الضرائب والاصلاحات الزراعية كانت شاملة ، فقـــد قام بعدة اصلاحات ، هدف من ورائها إلى أعمار البلاد ، ورفع مستوى الجباية بصورة عامة ، فأمر بحفر الأنهار ، والترع وغرس الأشجار ، كمـــا أهتم بحالة الفلاحين ، وتوفير الحيوانات لهم ، للقيام بمهمة الحراثة واستصلاح الأرض ، وقد اقرضهم الأموال ، ليعينهم على الاستمرار بالزراعة ، وزيادة الأنتاج .

مصادر ومراجع الرسالة

أولاً – المخطوطات

* ابن أعثم(1) : أحمد بن عثمان الكوفي الكندي (٣١٤هـ/٩٢٦م

١ – ((الفتوح)) ، رقيقة (٢) عن الأصل الموجود في مكتبة أحمد الثالث في اسطمبول برقم (٢٩٥٦) ، نسخة الدكتور عبد الأمير عبد دكسن ، طُبع منها ثلاثة اجزاء في (حيدر آباد الدكن ، ١٩٦٨ – ١٩٧٠) .

* البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر (٢٧٩هـ/٨٩٢م)

٢ – ((انساب الاشراف)) ، نسخة مصورة بالفوتستات في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب بجامعة بغداد تحت رقم (١٦٣٤ – ١٦٤٤) (١١ جزء) عن النسخة الأصلية في معهد المخطوطات العربية في الرباط رقم (٦٨) .

مخطوطة كاملة (رقيقة) عن الأصل الموجود في المكتبة السليمانية باسطمبول برقم (٥٩٨) ، نسخة الدكتور عبد الأمير عبد دكسن.

* البياسي : يوسف بن محمد بن ابراهيم الأنصاري (٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م)

٣ – ((الاعلام في الحروب الواقعة في صدر الاسلام)) ، نسخة مصورة بالفوتستات في مكتبة المجمع العلمي العراقي برقم (٢٩٣ – ٢٩٤م)

---

(١) رتبت المصادر حسب الحروف الهجائية ، دون مراعاة الكنية ، (ابن او أبو) والتواريخ المثبتة تشير إلى سنة وفاة المؤلفين .

(٢) الرقيقة : هو المصطلح الذي اصطلح عليه المجمع العلمي العراقي : لكلمة (المايكروفلم) .

عن الأصل الموجود في دار الكتب المصرية برقم (٣٩٩ تاريخ).
* ابن حمدون : محمد بن الحسن بن حمدون (٥٦٢هـ/١١٦٦م)

٤ ـ ((التذكرة الحمدونية)) ، جـ١٢ ، نسخة مصورة بالفوتستات في مكتبة الدراسات العليا برقم (١٢٨٢) ،عن الأصل في مكتبة أحمد الثالث باسطمبول رقم (٢٩٤٨) .

* قدامة : ابو الفرج قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ/٩٤٨م) .

٥ ـ ((الخراج)) ، مخطوطة مصورة بالفوتستات في المكتبة المركزية بجامعة بغداد رقم (١٣) ، عن مخطوطة باريس المرقمة (Arabe 5907) .

* ابن الكلبي : ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب (٢٠٤هـ ٨١٩م).

٦ ـ ((جمهرة النسب)) (رقيقة) عن مخطوطة المتحف البريطاني رقم (Add. 23297)

(رقيقة) عن مخطوطة مكتبة الاسكوريال رقم (Arade 1698) نسختا الدكتور عبد الأمير عبد دكسن .

٧ ـ ((المثالب)) ، مخطوطة في مكتبة المتحف العراقي برقم (١٤٦٥).
* المبرد : ابو العباس محمد بن يزيد (٢٨٥هـ/٨٩٨م).

٨ ـ ((كتاب الانساب)) ، مخطوطة في مكتبة المتحف العراقي برقم (١٤٥٩) .

* المؤلف مجهول :(من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) .

٩ ـ ((غرر السير)) ، (رقيقة) عن مخطوطة مكتبة البودليان في اوكسفورد رقم (542) ، نسخة الدكتور عبد الأمير عبد دكسن .
* النهرواني : المعافي بن زكريا : (٣٩٠هـ/٩٩٩ ـ ١٠٠٠م).

١٠ ــ ((كتاب الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي)) ، نسخة مصورة بالفوتستات في المكتبة المركزية بجامعة بغداد رقم (١١١) عن الأصل المحفوظ في مكتبة أحمد الثالث باسطمبول برقم (٢٣٢١) .

ثانياً ــ المطبوعات

١ ــ المصادر العربية الاولية :

* ابن الابار : محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) .

١١ ــ ((كتاب الحلة السيراء)) ، تحقيق ، حسين مؤنس ط١ (القاهرة ، ١٩٦٣) .

* الابشيهي : الشيخ شهاب الدين احمد (٨٥٠هـ/١٤٤٦ م).

١٢ ــ « المستطرف في كل فن مستظرف » ، ط ١ (بولاق ، ١٢٩٢هـ).

* ابن الاثير : علي بن ابي الكرم (٦٣٠هـ/١٢٣٣م) .

١٣ ــ « أسد الغابة في معرفة الصحابة » ، (القاهرة ، ١٢٨٠هـ) .

١٤ ــ « الكامل في التاريخ » ، (بيروت ، ١٩٦٥ ــ ١٩٦٧) .

* ابن آدم : يحيى بن آدم القرشي (٢٠٣هـ/٨١٨م).

١٥ ــ « كتاب الخراج »، تصحيح وشرح : احمد محمد شاكر ، ط ٢ ، المطبعة السلفية (القاهرة ، ١٣٨٤ هـ).

* الأزدي : ابو زكريا يزيد بن محمد (٣٣٤هـ/٩٤٥م) .

١٦ ــ « تاريخ الموصل » ، تحقيق : على حبيبة (القاهرة ، ١٩٦٧).

* الازرقي : محمد بن عبدالله بن احمد (٢٣٣هـ/٨٤٧م).

١٧ ــ « اخبار مكة وماجاء فيها من الآثار » ، تصحيح : رشدي الصالح (مكة ١٣٥٢ هـ) .

• الأسفرايني : طاهر بن محمد (٤٧١هـ/١٠٧٨م) .

١٨ ــ « كتاب التبصير في الدين » . تصحيح : محمد سليم النعيمي (تونس ، ١٩٣٩).

• الأشعري : علي بن اسماعيل (٣٣٠هـ / ٩٤١م).

١٩ ــ « مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين» ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد (القاهرة ، ١٩٥٠ ــ ١٩٥٤) .

• ابن الاصيغ : عرام بن الاصبغ السلمي (القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي) .

٢٠ ــ « كتاب اسماء جبال تهامة وسكانها » ، منشور ضمن نوادر المخطوطات جـ٨ ، تحقيق : عبدالسلام هارون ط١ (القاهرة، ١٩٥٥) .

• الاصبهاني : ابو نعيم احمد بن عبدالله (٤٣٠هـ/١٠٣٨م).

٢١ ــ « ذكر اخبار اصبهان » ، (ليدن ، ١٩٣١ ــ ١٩٣٤) .

• الاصبهاني : ابو الفرج علي بن الحسين (٣٥٦هـ /٩٦٦ م).

٢٢ ــ « الاغاني» ، ط. محمد الساسي المغربي (٢١جزء) ، (القاهرة ، ١٣٢٣ هـ) .

٢٣ ــ « مقاتل الطالبين » ، (النجف : ١٣٥٣هـ) .

• الاصطخري : ابراهيم بن محمد (٣٤٦هـ / ٩٥٧م).

٢٤ ــ « كتاب الاقاليم » ، (كوتا ، ١٨٣٩) ، اعادت طبعه بالاوفسيت مكتبة المثنى ببغداد .

٢٥ ــ « كتاب مسالك الممالك » ، ط . دى غويه (ليدن ، ١٩٢٧).

• ابن ابي اصيبعة : أحمد بن القاسم . (٦٦٨هـ /١٢٦٩ م) .

٢٦ ــ « عيون الانباء في طبقات الاطباء » ، تحقيق :نزار رضا (بيروت ١٩٦٥) .

• أعشى همدان : عبدالرحمن بن عبدالله (٨٤هـ/٧٠٣م) .

٢٧ — « ديوان أعشى همدان »، منشور ضمن كتاب الصبح المنير في شعر أبي بصير ميمون بن قيس بن جندل الاعشى والاعشين الآخرين، مطبعة ادلف هلزهوسن (بيانة ، ١٩٢٧) .

• الآمدي : الحسن بن بشر بن يحيى (٣٧٠هـ / ٩٨٠م) .

٢٨ — «المؤتلف والمختلف» ، تصحيح : فريتس كرنكو ، منشور مع « معجم الشعراء » للمرزباني ، (القاهرة ، ١٣٥٤ هـ) ،.

• البارقي : سراقة بن مرداس (٧٩هـ / ٦٩٨ م) .

٢٩ — «ديوان سراقة البارقي » ، تحقيق : حسين نصار ، ط ١ (القاهرة، ١٩٤٧) .

• الباقلاني : القاضي محمد بن الطيب (٤٠٣هـ /١٠١٢ م).

٣٠ — « كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات » .
تصحيح : الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي (بيروت ، ٩٥٨) .

• بحشل : أسلم بن سهم الرزاز الواسطي (٢٩٢هـ/٩٠٥م).

٣١ — « تاريخ واسط» تحقيق : كوركيس عواد ، (بغداد ،١٩٦٧م).

• البغدادي : عبدالقادر بن طاهر بن محمد (٤٢٩هـ/١٠٣٧م).

٣٢ — «الفرق بين الفرق» ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدني (القاهرة ،بدون تاريخ) .

• البغدادي : الشيخ عبد القادر بن عمر (١٠٩٣هـ/١٦٨٢م) .

٣٣ — «خزانة الادب ولب لباب لسان العرب» ، ط ١ (بولاق ، ١٢٩٩هـ)

• ابن بكار : الزبير بن بكار بن عبد الله (٢٥٦هـ/٨٦٩ — ٨٧٠م)

٣٤ ــ «الاخبار الموفقيات» ، تحقيق : سامي مكي العاني (بغداد ، ١٩٧٢)
• البكري : عبد الله بن عبد العزيز (٤٨٧هـ/١٠٩٤م) .
٣٥ ــ «معجم ماستعجم» ، تحقيق : مصطفى السقا ، ط١ (القاهرة ، ١٩٤٥ ــ ١٩٤٧) .
• البلاذري : احمد بن يحيى بن جابر (٢٧٩هـ/٨٩٢م) .
٣٦ ــ «انساب الاشراف» ، جا ، تحقيق : محمد حميد الله (دار المعارف، بمصر ، ١٩٥٩) .
جـ ٤ ط . Max Schloessinger (القدس ، ١٩٣٨) .
جـ ٥ ط . S.D.F. Goitein (القدس ، ١٩٣٦) .
جـ ١١ ط . W. Ahlwardt (غريفزولد ، ١٨٨٣) .
٣٧ ــ «فتوح البلدان» ، نشر صلاح الدين المنجد (القاهرة ، ١٩٥٧) .
• البلخي : احمد بن سهل (٣٢٢هـ/٩٣٣ ــ ٩٣٤م) .
٣٨ ــ «كتاب البدء والتاريخ» ، (وينسب حقيقة الى مطهر بن طاهر المقدسي) ؛ نشر : كلمان هوار (باريس ، ١٨٩٩ ــ ١٩١٩).
• البلوي : يوسف بن محمد (٦٠٤هـ/١٢٠٧م) .
٣٩ ــ «كتاب الف باء» ، (بولاق ، ١٢٨٧هـ) .
• البيروني : ابو الريحان محمد بن احمد (٤٣٠هـ/١٠٤٨م) .
٤٠ ــ «كتاب الجماهر في معرفة الجواهر» ، (حيدر آباد الدكن ، ١٣٥٥هـ) .
• البيهقي : ابراهيم بن محمد (٤٧٠هـ/١٠٧٧م) .
٤١ ــ «المحاسن والمساوىء» ، تصحيح : السيد محمد بدرالدين النعساني الحلبي (القاهرة، ١٣٢٥هـ) .
• ابو تمام : حبيب بن أوس الطائي (٢٣١هـ/٨٤٥م) .

٤٢ ـ «ديوان الحماسة» ،شرح : يحيى بن علي التبريزي (ت ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م) . ط ١ (مصر، ١٩١٦) .
٤٣ ـ «نقائض جرير والاخطل» ،باعتناء : الاب انطوان صالحاني اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية (بيروت، ١٩٢٢) .
• التنوخي : ابو علي المحسن بن علي بن محمد (٣٨٤هـ/٩٩٤م).
٤٤ ـ «جامع التواريخ» ، (نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة) ، تحقيق: عبود الشالجي (بيروت، ١٩٧١) .
٤٥ ـ «الفرج بعد الشدة» ، (القاهرة، ١٩٣٨) .
٤٦ ـ «المستجاد من فعلات الاجواد» ، تحقيق : محمد كرد علي (دمشق، ١٩٤٦) .
• التوحيدي : ابو حيان علي بن محمد بن العباس (٤١٤هـ/١٠٢٣م).
٤٧ ـ الامتاع والمؤانسة» ، تحقيق : احمد امين واحمد الزين ط ٢ (القاهرة، ١٩٥٣) .
٤٨ ـ «البصائر والذخائر» ، تحقيق : ابراهيم الكيلاني، (دمشق، ١٩٦٤).
• الثعالبي : ابو منصور عبدالملك بن محمد (٤٢٩هـ/١٠٣٧م).
٤٩ ـ «ثمار القلوب في المضاف والمنسوب» ، «القاهرة، ١٣٢٦هـ) .
٥٠ ـ «كتاب خاص الخاص» ، (مكتبة الحياة بيروت، ١٩٦٦) .
٥١ ـ «لطائف المعارف» ، تحقيق : ابراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي، (القاهرة، ١٩٦٠) .
• الجاحظ : ابو عثمان عمرو بن بحر (٢٥٥هـ/٨٦٨ ـ ٨٦٩م).
٥٢ ـ «البخلاء» ، تحقيق : طه الحاجري، (دار المعارف بمصر، ١٩٥٨).
٥٣ ـ «البيان والتبيين» ، تحقيق : حسن السندوبي ، (القاهرة ، ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨) .

٥٤ ـ «التاج في اخلاق الملوك» ، تحقيق: احمد زكي باشا (القاهرة ، ١٩١٤)
٥٥ ـ «ثلاث رسائل» ، نشر : فان فلوتن (ليدن ، ١٩٠٣) ١ ـ في مناقب الترك ، ٢ ـ كتاب فخر السودان على البيضان ، ٣ ـ كتاب التربيع والتدوير .
٥٦ ـ «ثلاث رسائل» ، نشر : يوشع فنكل ،ط٢ ، المطبعة السلفية ، (القاهرة ، ١٣٨٢هـ) . ١ ـ في الرد على النصارى ، ٢ ـ في ذم اخلاق الكتاب ، ٣ ـ في القيان .
٥٧ ـ «الحيوان» ، مطبعة السعادة ، (مصر ١٣٢٥هـ) و ط . عبد السلام هارون ، (القاهرة ، ١٩٤٣) .
٥٨ ـ «رسائل الجاحظ» ، جمع ونشر : حسن السندوبي ، ط١ (مصر ، ١٩٣٣) .
٥٩ ـ «رسائل الجاحظ» ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، (القاهرة ، ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥) .
٦٠ ـ «رسالة في بني امية» ، منشورة ضمن كتاب (النزاع والتخاصم فيما بين بني امية وبني هاشم) . المطبعة الابراهيمية ، (مصر ، ١٩٣٧) .
٦١ ـ «العثمانية» ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، (القاهرة ، ١٩٥٥)
٦٢ ـ «المحاسن والاضداد» ، تصحيح : محمد امين الخانجي (القاهرة ، ١٣٢٤هـ) .

• ابن جبير : ابو الحسين محمد بن احمد (٦١٤هـ/١٢١٧م) .
٦٣ ـ «رحلة ابن جبير» ، (ليدن ، ١٩٠٧) .

• جرير : جرير بن عطية بن الخطفي (١١٤هـ/٧٣٢م) .
٦٤ ـ «ديوان جرير» ، شرح : محمد بن حبيب ، تحقيق : نعمان محمد امين طه ، (دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩ ـ ١٩٧١) .

• ابن جلجل : سليمان بن حسان الاندلسي (كان حياً سنة ٣٨٤هـ/٩٩٤م) .

٦٥ ــ «طبقات الاطباء والحكماء» ، تحقيق : فؤاد رشيد (القاهرة ، ١٩٥٥) .

• الجمحي : ابو عبد الله محمد بن سلام (٢٣٢هـ/٨٤٦م) .

٦٦ ــ «طبقات الشعراء»، نشر : مكتبة الثقافة العربية (بيروت، بدون تاريخ) .

• الجهشياري : ابو عبد الله محمد بن عبدوس (٣٣١هـ/٩٤٢م).

٦٧ ــ «كتاب الوزراء والكتاب» ، تحقيق : مصطفى السقا ، ابراهيم الابياري ، عبد الحفيظ شلبي ، ط١ (القاهرة ، ١٩٣٨) .

• ابن الجوزي : ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (٥٩٧هـ/١٢٠٠م) .

٦٨ ــ «سيرة عمر بن عبد العزيز» ، تحقيق : محب الدين الخطيب (القاهرة ١٣٣١هـ) .

• ابن ابي حاتم : محمد بن ادريس بن المنذر الرازي (٣٢٧هـ ٩٣٨م) .

٦٩ ــ «كتاب الجرح والتعديل» ، ط١ (حيدر آباد الدكن ، ١٣٧١ ــ ١٣٧٣هـ)

• ابن حبيب : ابو جعفر محمد بن حبيب البغدادي (٢٤٥هـ/ ٨٥٩م) .

ــ «كتاب المحبر» ، باعتناء : الدكتورة ايلزة ليحتن شتيتر (حيدر آباد الدكن ، ١٣٦١هـ) .

٧١ ــ «اسماء المقتالين من الاشراف في الجاهلية والاسلام» ، منشور في نوادر المخطوطات ، ج٦ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون (القاهرة ، ١٩٥٤) .

٧٢ ـ «كتاب المنمق في اخبار قريش» ، باعتناء : خورشيد احمد فاروق (حيدر آباد الدكن ، ١٣٨٤هـ) .
• ابن حجر : احمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) .
٧٣ ـ «تهذيب التهذيب» ، (حيدر آباد الدكن ، ١٣٢٥هـ) .
• ابن ابي الحديد : عبد الحميد بن هبة الله بن محمد (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)
٧٤ ـ «شرح نهج البلاغة» ، تحقيق : الشيخ حسن تميم (بيروت ، ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤) .
• ابن حزم : علي بن احمد بن سعيد (٤٥٦هـ/ ـ ١٠٦٣ ـ ١٠٦٤م) .
٧٥ ـ «جمهرة انساب العرب» ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون (دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢) .
٧٦ ـ «الفصل في الملل والاهواء والنحل» ، ط١ (القاهرة ، ١٩٢١) .
• الحلي : الحسن بن يوسف بن علي (٧٢٦هـ/١٣٢٥ ـ ١٣٢٦م) .
٧٧ ـ «رجال العلامة الحلي» ، ط٢ (النجف ، ١٣٨١هـ) .
• ابن حمدون : محمد بن الحسن (٥٦٢هـ/١١٦٦م) .
٧٨ ـ «التذكرة الحمدونية» ، جـ١ ، م٢ ، تحقيق : بثينة شاكر (رسالة ماجستير غير منشورة في مكتبة الدراسات العليا بجامعة بغداد رقم ط ٦٥) .
• الحميري : ابو سعيد بن نشوان (٥٧٣هـ/١١٧٧م) .
٧٩ ـ «الحور العين» ، تحقيق : كمال مصطفى ، (القاهرة ، ١٩٤٨) .
• ابن حوقل : ابو القاسم بن حوقل النصيبي(٣٦٧هـ/٩٧٩م) .

٨٠ — «صورة الارض» ، دار مكتبة الحياة (بيروت ، بدون تاريخ) .
• الخالديان : ابو بكر محمد بن هاشم (٣٨٠هـ/٩٩٠م) وابي عثمان سعيد بن هاشم (٣٩١هـ/١٠٠٠ — ١٠٠١م) .
٨١ — «كتاب الاشباه والنظائر من اشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين» تحقيق : السيد محمد يوسف ، (القاهرة ، ١٩٦٥) .
• ابن خرداذبة : ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله (نحو ٣٠٠هـ/ ٩١٢م) .
٨٢ — «المسالك والممالك» ، ط ، دي غوية (ليدن ، ١٨٨٩) .
• ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضري (٨٠٨هـ/١٤٠٥م) .
٨٣ — «المقدمة» ، ط دار احياء التراث العربي (بيروت ، بدون تاريخ) .
٨٤ — «كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر» ، منشورات دار الكتاب اللبناني (بيروت ، ١٩٥٦ — ١٩٥٩) .
• ابن خلكان : أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر (٦٨١ هـ/ ١٢٨٢ م) .
٨٥ — « وفيات الأعيان وانباء الزمان » ، تحقيق : احسان عباس (بيروت ١٩٦٨ — ١٩٧٢) .
• الخوارزمي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف (٣٨٧ هـ/ ٩٩٧ م) .
٨٦ — « مفانيح العلوم » ، نشرته ادارة الطباعة المنيرية (القاهرة ، ١٣٤٢ هـ)
• ابن خياط : أبو عمر خليفة بن خياط العصفري (٢٤٠ هـ/٨٥٤م)
٨٧ — « تأريخ خليفة بن خياط » ، تحقيق : أكرم ضياء العمري (النجف ، ١٩٦٧) .

٨٨ـ « كتاب الطبقات » . تحقيق : أكرم ضياء العمري (بغداد ، ١٩٦٧)
• الداني : عثمان بن سعيد (٤٤٤ هـ/١٠٥٢ م) .
٨٩ـ « المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار مع كتاب النقط »
تحقيق : محمد أحمد دهمان (دمشق ، ١٩٤٠) .
• ابن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن (٣٢١ هـ /٩٣٣ م) .
٩٠ـ « الأشتقاق » ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون (مؤسسة الخانجي
بمصر ، ١٩٥٨)
• الدميري : الشيخ كمال الدين (٨٠٨ هـ /١٤٠٥ م) .
٩١ـ « حياة الحيوان الكبرى » ، المطبعة اليمنية (مصر ، ١٣٠٥ هـ) .
• الديار بكري : حسين بن محمد بن الحسن (٩٨٢ هـ/١٥٧٤ م).
٩٢ـ « تأريخ الخميس » ، (القاهرة ، ١٢٨٣ هـ) .
• الدينوري : أبو حنيفة أحمد بن داود (٢٨٢ هـ /٨٩٥ م) .
٩٣ـ « الأخبار الطوال » ، تصحيح : فلاديمير جرجاس (ليدن ، ١٨٨٨)
الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م
٩٤ـ « تأريخ الأسلام وطبقات المشاهير والأعلام » ، مطبعة السعادة ،القاهرة
(١٣٦٧ ـ ١٣٦٩ هـ) .
٩٥ـ « العبر في خبر من غبر » ج ١ ، تحقيق : صلاح الدين المنجد (الكويت
١٩٦٠) .
• الراغب الاصبهاني : ابو القاسم حسين بن محمد (٥٠٢هـ/
١١٠٨م) .
٩٦ ـ «محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء». (القاهرة ، ١٣٢٦هـ)
• ابن رستة: ابو علي احمد بن عمر (كان حيا سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢ـ
٩٠٣م) .

٩٧ — «الاعلاق النفسية»، (ليدن، ١٨٩١) .
• الزبيدي : ابو بكر محمد بن الحسن (٣٧٩هـ/٨٩٢م) .
٩٨ — «طبقات النحويين واللغويين»، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم، (القاهرة، ١٩٥٤) .
• الزبيدي : ابو الفيض مرتضى محمد بن محمد بن عبدالرزاق (١٢٠٥هـ/١٧٩١م) .
٩٩ — «تاج العروس من جواهر القاموس»، (المطبعة الخيرية بمصر، ١٣٠٧هـ) .
• ابن الزبير : القاضي الرشيد بن الزبير (القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) .
١٠٠ — «كتاب الذخائر والتحف» ، تحقيق محمد حميد الله، مراجعة : صلاح‌الدين المنجد (الكويت، ١٩٥٩) .
• الزبيري : ابو عبدالله المصعب بن عبدالله بن المصعب (٢٣٦هـ/ ٨٥٠م) .
١٠١ — «نسب قريش»، نشر : ليفي بروفنسال (القاهرة، ١٩٥٣) .
• الزجاجي : ابو القاسم عبدالرحمن بن اسحق (٣٤٠هـ/٩٥١م).
١٠٢ — «امالي الزجاجي» ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون، ط ١ (القاهرة، ١٣٨٢هـ) .
• الزركشي : بدرالدين محمد بن عبدالله (٧٩٤هـ/١٣٩١م) .
١٠٣ — «البرهان في علوم القرآن» ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم، ط ١ (القاهرة، ١٩٥٧) .
• الزمخشري : ابو القاسم محمود بن عمر (٥٣٨هـ/١١٤٣م).
١٠٤ — «الجبال والامكنة والمياه» ، تحقيق : ابراهيم السامرائي (بغداد، ١٩٦٨) .

* السجستاني : ابو حاتم سهل بن محمد بن عثمان (٢٣٥ او ٢٥٠هـ/٨٤٩ او ٨٦٤م) .

١٠٥ — «المعمرون والوصايا» . تحقيق : عبد المنعم عامر (القاهرة ، ١٩٦١)

* السجستاني : عبد الله بن ابي داود سليمان بن الاشعث (٣١٦هـ/٩٢٨م)

١٠٦ — «كتاب المصاحف» ، ط . ارثر جفري ، المطبعة الرحمانية (مصر ١٩٣٦) .

* السرخسي : محمد بن احمد بن ابي سهل (٤٨٣هـ/١٠٩٠م) .

١٠٧ — «كتاب المبسوط» : ط . محمد افندي الساسي المغربي (القاهرة ، ١٣٢٤هـ) .

* ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع البصري (٢٣٠هـ/٨٤٤م) .

١٠٨ — «كتاب الطبقات الكبير» ، نشره ادورد سخاو (ليدن ، ١٩٠٥—١٩٢١)

* ابن سيدة : ابو الحسن علي بن اسماعيل (٤٥٨هـ/١٠٦٥م) .

١٠٩ — «المخصص» ، المطبعة الاميرية ببولاق (القاهرة ، ١٣١٦ — ١٣٢١) .

* السيرافي : ابو سعيد الحسن بن عبد الله (٣٦٨هـ/٩٧٨م) .

١١٠ — «اخبار النحويين البصريين» ، باعتناء : فريتس كرنكو ، المطبعة الكاثوليكية (بيروت ، ١٩٣٦) .

* السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (٩١١هـ/١٥٠٥م) .

١١١ — «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة» ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم (القاهرة ، ١٩٦٥) .

١١٢ — «تاريخ الخلفاء» ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٣ ، (القاهرة ، ١٩٦٤) .

١١٣ — «الكنز المدفون والفلك المشحون» ، المطبعة العامرية (مصـــر ، ١٢٢٨هـ) .

• الشابشتي : ابو الحسن علي بن محمد (٣٨٨هـ/٩٩٨م) .

١١٤ — «الديارات» ، تحقيق : كوركيس عواد ، ط٢ (بغداد ، ١٩٦٦) .

• الشهر ستاني : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (٥٤٨ هـ /١٥٣ م)

١١٥ — « الملل والنحل » ، (ليبزك ، ١٩٢٣) .

• الشيباني : محمد بن الحسن (١٨٩ هـ /٨٠٤ م) .

١١٦ — « كتاب المخارج في الحيل » ، نشر : يوسف شخت (ليبزك ، ١٩٣٠) .

• ابن صصري : محمد بن محمد بن صصري : (القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي) .

١١٧ — « كتاب الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية » . تحقيق : ونشر : وليم م . برينر (كاليفورنيا — بركلي ، ١٩٦٣) .

• صفي الدين :عبد الرحمن بن عبد الحق البغدادي (٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م)

١١٨ — « مراصد الأطلاع على أسماء الامكنة والبقاع » ، تحقيق : جوينبول (ليدن ، ١٨٥٢) .

• الصولي : أبو بكر محمد بن يحيى (٣٣٥ هـ /٩٤٦ م) .

١١٩ — « ادب الكتاب » ، بأعتناء : محمد بهجة الأثري ، المطبعة السلفية (القاهرة ، ١٣٤١ هـ) .

• ابن طاووس : غياث الدين السيد عبد الكريم (٦٩٣ هـ /١٢٩٣ — ١٢٩٤ م)

١٢٠ — « فرحة الغرى » ، منشورات المطبعة الحيدرية ، ط ٢ (النجف ، ١٣٦٨ هـ) .

• الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير (٣١٠ هـ /٩٢٢ م) .

١٢١ — « اختلاف الفقهاء » عني بنشره : يوسف شخت (ليدن ، ١٩٣٣)

١٢٢ — « تأريخ الرسل والملوك » ، ط . دى غوية (ليدن ، ١٨٧٩ — ١٩٠٣) .

• ابن الطقطقي : محمد بن علي بن طباطبا (٧٠٩ هـ /١٣٠٩ م) .

١٢٣ — « الفخري في الاداب السلطانية والدول الأسلامية » ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح واولاده (مصر ، بدون تاريخ) .

• العاملي : محمد بهاء الدين (١٠٠٣ هـ /١٥٩٤ م) .

١٢٤ — « الكشكول » ، (القاهرة ، ١٣١٦ هـ) .

• ابن عبد الحكم : أبو القاسم عبدالرحمن عبدالله (٢٥٧هـ/٨٧٠ ـ ٨٧١ م) .

١٢٥ — « فتوح مصر واخبارها » ، (ليدن ، ١٩٢٠).

• ابن عبدالحكم : أبو محمد عبدالله (٢١٤هـ/٨٢٩ م).

١٢٦ — «سيرة عمر بن عبدالعزيز» ، تحقيق : أحمد عبيد ، ط ٥ (بيروت ١٩٦٧) .

• ابن عبد ربه :ابو عمر احمد بن محمد (٣٢٨هـ/٩٣٩م).

١٢٧ — « العقد الفريد » ، تحقيق : احمد امين ، احمد الزين ، ابراهيم الابياري ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط ٢ (القاهرة، ١٩٤٨ — ١٩٥٣) .

• ابن العبري : غريغوريوس الملطي ، أبو الفرج بن هارون (٦٨٥هـ /١٢٨٦م) .

١٢٨ ـ « تاريخ مختصر الدول » ، المطبعة الكاثوليكية (بيروت ، ١٩٥٨) .

• أبو عبيد : القاسم بن سلام (٢٢٤هـ / ٨٣٨م).

١٢٩ ـ «كتاب الأموال » ، ط. محمد حامد المفتي (القاهرة ، ١٣٥٣هـ).

• أبو عبيدة : معمر بن المثنى التيمي (٢٠٩هـ/٨٢٤م).

١٣٠ ـ « نقائض جرير والفرزدق » ، (ليدن ، ١٩٠٥ ـ ١٩٠٩).

• ابن عساكر : أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (٥٧١هـ/ ١١٧٥م) .

١٣١ ـ « تاريخ مدينة دمشق » ، م ١ ، تحقيق : صلاح الدين المنجد (دمشق ، ١٩٥١) . م ١٠ ، تحقيق : محمد أحمد دهمان (دمشق ، بدون تاريخ).

١٣٢ ـ «التهذيب » ، ط . عبدالقادر افندي بدران ، (مطبعة روضة الشام، ١٣٢٩ ـ ١٣٣٢ هـ) .

• العسكري : أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل (٣٨٢هـ/٩٩٢م

١٣٣ ـ «كتاب الاوائل » ، تحقيق : محمد السيد الوكيل (طنجة ، ١٩٦٦) .

١٣٤ ـ « شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف» ، تحقيق : عبدالعزيز أحمد ، ط١ (القاهرة ، ١٩٦٣) .

• العصامي المكي : عبدالملك بن حسين (١١١١هـ / ١٦٩٩م) .

١٣٥ ـ « سمط النجوم العوالي في أنباء الاوائل والتوالي » ، المطبعة السلفية (القاهرة ، ١٣٨٠هـ).

• ابن العماد: عبدالحي بن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ /١٦٧٨م) .

١٣٦ ـ « شذرات الذهب في اخبار من ذهب » ، (القاهرة ، ١٣٥٠ ـ ١٣٥١ هـ)

• عمرو بن متى :

١٣٧ ــ « اخبار بطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل » : (روما ، ١٨٩٦) .

• العمري : شهاب الدين احمد بن فضل الله (٧٤٢هـ/١٣٤١ م)

١٣٨ ــ « مسالك الابصار في ممالك الأمصار » : تحقيق : احمد زكي . (القاهرة ، ١٩٢٤) .

• أبو الفدا : عماد الدين اسماعيل بن الملك الأفضل (٧٣٢هـ / ١٣٣١م) .

١٣٩ ــ « تقويم البلدان » : باعتناء : ماك كوكين ديسلان (باريس، ١٨٤٠)

• الفرزدق : همام بن غالب بن صعصعة (١١٤هـ/٧٣٣م) .

١٤٠ ــ « ديوان الفرزدق » ، دار صادر (بيروت ، ١٩٦٠) .

• ابن الفقيه : ابو بكر احمد بن محمد الهمداني (نحو ٢٨٩هـ/ ٩٠٢ م) .

١٤١ ــ « مختصر كتاب البلدان » : ط . دى غوية (ليدن ،١٨٨٥) .

• القالي: ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (٣٥٦هـ/٩٦٦ ــ ٩٦٧م) .

١٤٢ ــ « كتاب الامالي » ، ط ٣ : مطبعة السعادة (مصر ، ١٩٥٣ ــ ١٩٥٤

١٤٣ ــ « كتاب ذيل الامالي والنوادر » ، ط ٣ ، مطبعة السعادة (مصر ١٩٥٣ ــ ١٩٥٤) .

• ابن قتيبة : ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ ٨٨٩م) .

١٤٤ ــ « أدب الكاتب » ، (ليدن ، ١٩٠٠) .

١٤٥ ــ « الامامة والسياسة » ، (المنسوب لابن قتيبة) ، تحقيق : طه محمد الزيني (القاهرة ، ١٩٦٧) .

١٤٦ — « الشعر والشعراء » ، دار الثقافة ، (بيروت ، ١٩٦٤) .
١٤٧ — « عيون الأخبار » ، مطبعة دار الكتب المصرية (القاهرة ، ١٩٢٥ ١٩٣٠)
١٤٨ — « المعارف » ، تحقيق : ثروت عكاشة ، مطبعة دار الكتب (القاهرة ١٩٦٠)
• قدامة : أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي (٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م) .
١٤٩ — « كتاب الخراج » ، (المنزلة السابعة من الباب الأول الى الباب التاسع عشر) منشور مع كتاب : A.Ben Shemesh, Taxation in Islam , Vol, . II, (Leiden, London , 1965) .
نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، منشور مع كتاب : المسالك والممالك لأبن خرداذبة ، ط . دى غوية (ليدن ، ١٨٨٩)
• القفطي : جمال الدين علي بن يوسف (٦٤٦ هـ/١٢٤٨ م) .
١٥٠ — « تاريخ الحكماء » ، (ليبزك ، ١٩٠٣) .
• القلقشندي : أبو العباس أحمد القلقشندي (٨٢١ هـ /١٤١٨ م)
١٥١ — « نهاية الارب في معرفة أنساب العرب » ، تحقيق : ابراهيم الأبياري (القاهرة ، ١٩٥٩) .
• القيرواني : أبو اسحق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني (٤٥٣ هـ /١٠٦١ م)
١٥٢ — « زهر الاداب وثمر الألباب » ، تحقيق : زكي مبارك ، المطبعة الرحمانية ، (القاهرة ، ١٩٢٥) .
١٥٣ — « ذيل زهر الاداب » أو (جمع الجواهر في الملح والنوادر) ، تحقيق : علي محمد البجاوى ، ط ١ ، (القاهرة ، ١٩٥٣)

• ابن كثير : عماد الدين أبي الفدا اسماعيل بن عمر (٧٧٤ هـ / ١٣٧٢م) .

١٥٤ ـ « البداية والنهاية في التأريخ » ، مطبعة السعادة (القاهرة ، ١٩٣٢)

• الكراجكي : أبو الفتح محمد بن علي (٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م) .

١٥٥ ـ « كنز الفوائد » ، ط . حجرية (ايران ، ١٣٢٢ هـ) .

• الكشي : أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز (القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) .

١٥٦ ـ « رجال الكشي » ، بأعتناء : السيد أحمد الحسيني ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (كربلاء ، بدون تاريخ) .

• ابن الكلبي : أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (٢٠٤ هـ / ٨١٩ م) .

١٥٧ ـ « الأصنام » ، تحقيق : أحمد زكي ، ط ٢ (القاهرة ، ١٩٢٤).

١٥٨ ـ « انساب الخيل في الجاهلية والأسلام وأخبارها » ، تحقيق : أحمد زكي ، الدار القومية (القاهرة ، ١٩٦٥) .

• اللغوي : أبو الطيب عبد الواحد بن علي (٣٥١ هـ / ٩٦٢ م) .

١٥٩ ـ « مراتب النحويين » ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم (القاهرة ١٩٥٥) .

• ماري بن سليمان :

١٦٠ ـ « أخبار بطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل » ، (روما ، ١٨٩٩) .

• المافروخي : مفضل بن سعد بن الحسين (القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) .

١٦١ ـ « محاسن اصفهان » ، تصحيح السيد جلال الدين الحسيني (طهران ١٩٣٣) .

• الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (٤٥٠ هـ/١٠٥٨م).
١٦٢ — « الأحكام السلطانية والولايات الدينية » ، ط ٢ (القاهرة ، ١٩٦٦)
• المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد (٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م) .
١٦٣ — « الفاضل » ، تحقيق : عبد العزيز الميمني (القاهرة ، ١٩٥٦) .
١٦٤ — « الكامل »، : تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم والسيد شحاته، مطبعة نهضة مصر (القاهرة ، ١٩٥٦) .
• المجلسي : محمد باقر المجلسي (١١١١ هـ / ١٦٩٩ م)
١٦٥ — « بحار الأنوار » ، جـ ٤٦، م ١١ . ط . المكتبة الأسلامية (طهران ١٣٨٥ هـ) .
• ابو المحاسن : جمال الدين يوسف بن تغرى بردى (٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) .
١٦٦ — « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » ، ط . دار الكتب المصرية .
• ابن المرتضى : أحمد بن يحيى (٨٤٠ هـ / ١٤٣٧ م)
١٦٧ — « طبقات المعتزلة » ، تحقيق : سوسنة ديفلد — فلزر (بيروت، ١٩٦١) .
• المرتضى : علي بن الحسين الموسوي العلوي (٤٣٦ هـ/١٠٤٤ م)
١٦٨ — « امالي المرتضى » ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط ١ (مصر ، ١٩٥٤) .
• المرزباني : أبو عبيد الله محمد بن عمران (٣٨٤ هـ/٩٩٤ م) .
١٦٩ — « معجم الشعراء » تهذيب : سالم الكرنكوي ، منشور مع كتاب « المؤتلف والمختلف » للامدى (القاهرة ، ١٣٥٤ هـ) .
• المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين (٣٤٦ هـ /٩٥٧ م) .

١٧٠ ــ « التنبيه والأشراف » ، تحقيق : عبد الله اسماعيل الصاوي (القاهرة ١٩٣٨ م) .

١٧١ ــ « مروج الذهب ومعادن الجوهر » ، راجع أصوله : محمد محي الدين عبد الحميد (القاهرة ، ١٩٣٨) .

• المقدسي : شمس الدين أبو عبد الله محمد الشافعي المقدسي البشاري ، (٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م) .

١٧٢ ــ « احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » ، ط ٢ ، دى غوية (ليدن ، ١٩٠٦) .

• المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر (٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م)

١٧٣ ــ « كتاب النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم » ، المطبعة الأبر اهيمية (مصر ، ١٩٣٧) .

١٧٤ ــ « كتاب النقود الأسلامية » ، منشور ضمن ثلاث رسائل ، مطبعة الجوائب (القسطنطينية ، ١٢٩٨ هـ) .

١٧٥ ــ « كتاب المواعظ والأعتبار في ذكر الخطط والاثار » ، المعهد الفرنسي للاثار الشرقية (القاهرة ، ١٩١٣) .

• الملطي : أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن (٣٧٧ هـ /٩٨٧ م) .

١٧٦ ــ « التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع » ،بأعتناء: محمد زاهد الكوثري (مكتبة المثنى ببغداد ، ومكتبة المعارف بيروت ، ١٩٦٨) .

• ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (٧١١ هـ /١٣١١ م) .

١٧٧ ــ « لسان العرب المحيط » ، دار لسان العرب (بيروت ، ١٩٧٠) .

• ابن منقذ : الأمير أسامة بن منقذ (٥٨٤ هـ /١١٨٨ م) .

١٧٨ — « لباب الاداب » ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، المطبعة الرحمانية (القاهرة ، ١٩٥٣) .

• المؤلف مجهول : كاتب مراكشي من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي .

١٧٩ — « الأستبصار في عجائب الأمصار » ، نشر : سعد زغلول عبد الحميد ، (الأسكندرية ، ١٩٥٨)

• المؤلف مجهول : من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي .

١٨٠ — « تاريخ الخلفاء » ، نشر : بطرس غرياز نيويج ، (موسكو ، ١٩٦٧) .

• المؤلف مجهول : نهاية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي .

١٨١ — « العيون والحدائق في أخبار الحقائق » ، ج ٣ ، ط • د ى غوية (ليدن ، ١٨٧١) .

• ابن نباتة : جمال الدين بن نباتة المصري (٧٦٨ هـ /١٣٦٦ م)

١٨٢ — « سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون » ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم (القاهرة ، ١٩٦٤) .

• ابن النديم : أبو الفرج محمد بن اسحق (٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م)

١٨٣ — « الفهرست » ، (ليبزك ، ١٨٧١) .

• النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (٧٣٣هـ/١٣٣٢ م)

١٨٤ — « نهاية الارب في فنون الأدب » . ط دار الكتب المصرية (القاهرة ١٩٢٣ فما بعد) .

• النيسابوري : الحسن بن محمد بن حبيب (٤٠٦ هـ/١٠١٥ م).

١٨٥ — « عقلاء المجانين » ، بأعتناء : محمد بحر العلوم . ط ٢ (النجف ١٩٦٨)

• ابن هشام : أبو محمد عبد الملك (٢١٨ هـ / ٨٣٣ م) .

١٨٦ — « سيرة سيدنا محمد رسول الله » ، (جوتنجن ، ١٨٥٨ — ١٨٦٠)

• الهمداني : أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (٣٣٤ هـ / ٩٥٤ م) .

١٨٧ — « الأكليل » ، ج ١٠ ، تحقيق : محب الدين الخطيب (القاهرة ، ١٣٦٨ هـ)

١٨٨ — « صفة جزيرة العرب » ، تحقيق : محمد بن عبد الله بن بلهيد النجدي (مصر ، ١٩٥٣) .

• ابن الوردي : سراج الدين أبي حفص عمر بن مظفر (٧٤٩ هـ /١٣٤٨م) .

١٨٩ — « خريدة العجائب وفريدة الغرائب » . (القاهرة ، ١٢٨٠ هـ) .

• الوشاء : محمد بن أحمد بن اسحق (٣٢٥ هـ /٩٢٦ م) .

١٩٠ — « الفاضل في صفة الأدب الكامل » . تحقيق : يوسف يعقوب مسكوني (بغداد ، ١٩٧٢) .

١٩١ — « كتاب الموشى » . تحقيق : رودلف ابرونو (ليدن — ١٣٠٢ هـ)

• وكيع : محمد بن خلف بن حيان (٣٠٦ هـ /٩١٨ م).

١٩٢ — « أخبار القضاة » ، تحقيق : عبد العزيز مصطفى المراغي ، ط ١ (القاهرة . ١٩٤٧ — ١٩٥٠) .

• ياقوت : شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (٦٢٦ هـ /١٢٢٩ م) .

١٩٣ — « المشترك وضعا والمفترق صقعاً » ، بأعتناء : وستنفيلد ، (غوتنكين . ١٨٤٦)

١٩٤ — « معجم الأدباء » ، ط • سلسلة الموسوعات العربية ، (القاهرة ١٩٣٨) .

١٩٥ — « معجم البلدان » ، ط • وستنفيلد ، (ليبزك ، ١٨٧٠).

• اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب (٢٨٤ هـ/ ٨٩٧ م) .

١٩٦ — « البلدان » ، (ليدن ، ١٨٩٢) .

١٩٧ — « تاريخ اليعقوبي » ، ط • هو تسماً ، (ليدن ، ١٨٨٣) .

١٩٨ — « مشاكلة الناس لزمانهم » ، تحقيق : وليم ملورد ، (بيروت ، ١٩٦٢) .

• أبو يوسف : القاضي يعقوب بن ابراهيم الأنصاري (١٨٢ هـ /٧٩٨ م) .

١٩٩ — « الخراج » ، ط ٣ ، المطبعة السلفية ، (القاهرة ، ١٣٨٢هـ) .

٢ — المراجع العربية الحديثة :

• أدى شير : السيد أدى شير

٢٠٠ — « كتاب الألفاظ الفارسية المعربة » ، المطبعة الكاثوليكية ، (بيروت ١٩٠٨)

• الالوسي : السيد محمود شكري

٢٠١ — « بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب » ، بأعتناء : محمد بهجت الأثري ، ط ٢ (مصر ، ١٩٢٤) .

• أمين : أحمد أمين

٢٠٢ — « فجر الأسلام » ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ، ١٩٣٥) .

٢٠٣ — « ضحى الأسلام » ، ط ٥ ، (القاهرة ، ١٩٦٥) .

• الأمين : السيد محسن الأمين

٢٠٤ — « أعيان الشيعة » ، ج ٣٨ ، ٤١ (بيروت ، ١٩٥٦ ، ١٩٥٨) .
• التونجي : محمد التونجي
٢٠٥ — « المعجم الذهبي » ، دار العلم (بيروت ، ١٩٦٩) .
• حسن : حسن ابراهيم وعلي ابراهيم حسن
٢٠٦ — « النظم الأسلامية » ، ط ٤ (القاهرة ، ١٩٧٠) .
• الخربوطلي : علي حسني
٢٠٧ — « تأريخ العراق في ظل الحكم الأموي » ، (دار المعارف بمصر ، ١٩٥٩) .
٢٠٨ — « المختار الثقفي » ، (القاهرة ، ١٩٦٢) .
• الدوري : عبد العزيز
٢٠٩ — « بحث في نشأة علم التأريخ عند العرب » ، المطبعة الكاثوليكية (بيروت ، ١٩٦٠)
٢١٠ — « مقدمة في تأريخ صدر الأسلام » ، مطبعة المعارف (بغداد ، ١٩٤٩) .
٢١١ — « النظم الأسلامية » ، ط ١ (بغداد ، ١٩٥٠) .
• الراوي : ثابت اسماعيل
٢١٢ — « العراق في العصر الأموي » ، ط ١ (بغداد ، ١٩٦٥) .
• رويحة : رياض محمود
٢١٣ — « جبار ثقيف الحجاج بن يوسف » ، دار الأندلس (بيروت ، ١٩٦٣) .
• الريس : محمد ضياء الدين
٢١٤ — « الخراج في الدولة الأسلامية » ، مكتبة النهضة مصر (القاهرة، ١٩٥٧) .

٢١٥ — « عبد الملك بن مروان موحد الدولة العربية » . سلسلة أعلام العرب (القاهرة ، ١٩٦٢) .

• الزهيري : محمود غناوي

٢١٦ — « نقائض جرير والفرزدق » ، (بغداد ، ١٩٥٤) .

• زيدان : جرجي زيدان

٢١٧ — « تاريخ التمدن الأسلامي » ، مكتبة الحياة (بيروت ، ١٩٦٧) .

• السامر : فيصل جرىء

٢١٨ — « ثورة الزنج » . ط ٢ (بيروت ، ١٩٧١) .

• سفر : فؤاد سفر

٢١٩ — « واسط . الموسم السادس للتنقيب » ، (القاهرة ، ١٩٥٢) .

• الشافعي : مصطفى الذهبي الشافعي المصري

٢٢٠ — « تحرير الدرهم والمثقال » . منشور ضمن كتاب « النقود وعلم النميات » للكرملي (القاهرة ، ١٩٣٩) .

• شرارة : عبد اللطيف

٢٢١ — « الحجاج طاغية العرب » . منشورات دار المكشوف (بيروت ١٩٥٠) .

• الصالح : صبحي الصالح

٢٢٢ — « مباحث في علوم القرآن » ، (دمشق ، ١٩٥٨) .

• صفوت : أحمد زكي

٢٢٣ — « جمهرة خطب العرب » . ط ١ (القاهرة ، ١٩٣٣) .

٢٢٤ — « جمهرة رسائل العرب » ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٣٧) .

• ضرار : ضرار صالح ضرار

٢٢٥ — «الحجاج بن يوسف الثقفي» ، دار مكتبة الحياة (بيروت ، ١٩٦٦)

• ضيف : شوقي ضيف
٢٢٦ ــ «التطور والتجديد في الشعر الاموي» . (القاهرة ، ١٩٥٢) .
• عبد البديع : لطفي عبد البديع
٢٢٧ ــ «فهرس المخطوطات المصورة» في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، جـ٢ . (التاريخ) ، قسم ١ .
• عبده : محمد عبده
٢٢٨ ــ «شرح نهج البلاغة» ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة الاستقامة ، (القاهرة بدون تاريخ) .
• العدوي : ابراهيم احمد
٢٢٩ ــ «الامويون والبيزنطيون» ، ط٥ . الدار القومية للطباعة والنشر ، (القاهرة ، بدون تارخ) .
• العزيزي : روكس بن زائدة
٢٣٠ــ «لمحة عن تاريخ النقود» ، منشور ضمن كتاب «النقود وعلم النميات» للكرملي (القاهرة ، ١٩٣٩) .
• علي : جواد علي
٢٣١ــ «المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام» ، جـ٣ ، (بيروت ، ١٩٦٩)
• العلي : صالح احمد
٢٣٢ ــ «التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري» . ط١ (بغداد . ١٩٥٣) .
• القلماوي : سهير القلماوي
٢٣٣ ــ «ادب الخوارج في العصر الاموي» ، (القاهرة ، ١٩٤٥) .
• الكرملي : الاب انستاس ماري الكرملي البغدادي
٢٣٤ ــ «النقود وعلم النميات» ، المطبعة العصرية (القاهرة ، ١٩٣٩) .
• المازندراني : السيد موسى الحسيني

٢٣٥ ـ «العقد المنير في تحقيق ما يتعلق بالدراهم والدنانير» ، ط ٣، (طهران، ١٣٨٢هـ) .
• محفوظ : حسين علي
٢٣٦ ـ «تاريخ الشيعة» ، مطبعة النجاح (بغداد، ١٩٥٨) .
• محمد : حلمي محمد
٢٣٧ ـ «الخلافة والدولة في العصر الاموي» ، (القاهرة، ١٩٦٦) .
• محمد : عبدالرحمن فهمي
٢٣٨ ـ «صنج السكة في فجر الاسلام» ، (القاهرة، ١٩٥٧) .
٢٣٩ ـ «فجر السكة العربية» ، (القاهرة، ١٩٦٥) .
• المدور : جميل نخلة
٢٤٠ ـ «حضارة الاسلام في دار السلام» ، (القاهرة، ١٩٣٥) .
• المرصفي : سيد بن علي
٢٤١ ـ «رغبة الآمل من كتاب الكامل» ، (القاهرة، ١٩٢٧ ـ ١٩٣٠).
• المظفري : محمد الحسين
٢٤٢ ـ «تاريخ الشيعة» ، مطبعة الزهراء (النجف، ١٣٥٢هـ) .
• النص : احسان النص
٢٤٣ ـ «العصبية القبلية واثرها في الشعر الاموي» ، (لبنان ـ حريصا، ١٩٦٣) .
• ابو النصر : عمر ابو النصر
٢٤٤ ـ «الحجاج بن يوسف حاكم العراقيين» ، ط ١، المكتبة الاهلية، (بيروت، ١٩٣٨) .
النصولي : انيس زكريا
٢٤٥ ـ «الدولة الاموية في الشام» ، ط ١، مطبعة دار السلام (بغداد، ١٩٢٧) .

• النقشبندي : السيد ناصر محمود

٢٤٦ ــ «الدرهم الاسلامي المضروب على الطراز الساماني» ، ج ١ ، (بغداد ، ١٩٦٩) .

٢٤٧ ــ «الدينار الاسلامي في المتحف العراقي» ، ج ١ ، (بغداد، ١٩٥٣).

٣ ــ المراجع الأجنبية :

(آ) المترجمة :

• آرنولد : سير توماس آرنولد

٢٤٨ ــ «الدعوة إلى الاسلام» ، ترجمة : حسن ابراهيم حسن، عبدالمجيد عابدين، اسماعيل النحراوي، (القاهرة، ١٩٤٧) .

• بارتولد : ف. بارتولد

٢٤٩ ــ «تاريخ الحضارة الاسلامية» ، ترجمة : حمزة طاهر، ط ٣ (دار المعارف بمصر، ١٩٥٨) .

• بروكلمان : كارل بروكلمان

٢٥٠ ــ «تاريخ الشعوب الاسلامية» ، ترجمة : نبيه امين فارس ومنير البعلبكي، ط ٤، دار العلم للملايين (بيروت، ١٩٦٥) .

• ترتون : آرثر ستانلي

٢٥١ ــ «أهل الذمة في الاسلام» ترجمة : حسن حبشي، دار المعارف، ط ٢ (القاهرة، ١٩٦٧) .

• جودت : احمد جودت باشا بن اسماعيل

٢٥٢ ــ «تاريخ جودت»، ج ١، ترجمة : عبدالقادر افندي الدنا، (بيروت ١٣٠٨هـ) .

• جوزي : بندلي جوزي

٢٥٣ — «من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام» ، ط. دار الروائع. (بيروت، بدون تاريخ) .

• جولد تسيهر : اجناس جولد تسيهر

٢٥٤ — «العقيدة والشريعة في الاسلام» ، ترجمة : محمد يوسف موسى، عبدالعزيز عبدالحق، علي حسن عبدالقادر . (القاهرة، ١٩٤٦).

• دينيت : دانيال دينيت

٢٥٥ — «الجزية والاسلام» ، ترجمة : فوزي فهيم جاد الله، مراجعة : احسان عباس، (بيروت، ١٩٦٠) .

• سيديو : ل. أ. سيديو

٢٥٦ — «تاريخ العرب العام» ، ترجمة : عادل زعيتر ، (القاهرة، ١٩٤٨).

• علي : سيد امير

٢٥٧ — «مختصر تاريخ العرب» ، ترجمة : عفيف البعلبكي، ط ٢، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٦٧) .

• فلوتن : فان فلوتن

٢٥٨ — «السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني امية» ، ترجمة: حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم. ط ١ (مصر، ١٩٣٤).

• كريمر : فون كريمر

٢٥٩ — «الحضارة الاسلامية» ، ترجمه إلى الانكليزية خدابخش، وعربته عنها : مصطفى طه بدر، دار الفكر العربي (القاهرة، ١٩٤٧).

• لسترنج : كي لسترنج

٢٦٠ — «بلدان الخلافة الشرقية» ، ترجمة : بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، (بغداد، ١٩٥٤) .

• لويس : برنارد لويس

٢٦١ ـ «اصول الاسماعلية» ، ترجمة : خليل احمد جلّو وجاسم محمد الرجب، دار الكتاب العربي (مصر ، بدون تاريخ).

• ماسنيون : لويس ماسنيون

٢٦٢ ـ «خطط الكوفة وشرح خريطتها» ، ترجمة : ت. المصعبي. (صيدا، ١٩٤٦) .

• النرشخي : ابو بكر محمد بن جعفر (٣٤٨هـ/٩٥٩م) .

٢٦٣ ـ «تاريخ بخارى» ، عربه عن الفارسية وحققه : امين عبدالمجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي، (دار المعارف بمصر، ١٩٦٥).

• نيكلسن : رينولد نيكلسن

٢٦٤ ـ «تاريخ الادب العربي في الجاهلية وصدر الاسلام» ، ترجمة وتحقيق : صفاء خلوصي، مطبعة المعارف. (بغداد، ١٩٦٩).

• ولهاوزن : يلوليوس ولهاوزن

٢٦٥ ـ «تاريخ الدولة العربية» ، ترجمة : محمد عبدالهادي ابو ريدة، مراجعة : حسين مؤنس (القاهرة، ١٩٥٨) .

٢٦٦ ـ «احزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الاسلام» ، (الخوارج والشيعة» ترجمة : عبدالرحمن بدوي، (القاهرة، ١٩٥٨) .

٢٦٧ ـ «دائرة المعارف الاسلامية» ، الترجمة العربية، ترجمة : احمد الشنتناوي وآخرين .

(ب) غير المترجمة :

٢٦٨ Al-Adhami. A.M., "The Role of the Arab Provincial Governors in Early Islam," (Scotland, 1963).
بحث غير منشور، رقمه في مكتبة كلية الآداب بجامعة بغداد (953/A 234)

• اسماعيل غالب :

٢٦٩ — «موزة همايون» ، مسكوكات قديمة اسلامية قتالوغي، جـ ١ (قسطنطينية، ١٣١٢هـ) .

٢٧٠ Belaev.E.,"Arabi, Islam, i Arabski Khalifat V Rannim Sredno Vekovii ,"(Moskova, 1965).
العرب والاسلام والخلافة العربية في العصور الوسطى المبكرة (باللغة الروسية) .

٢٧١ Browne. E.G., "Aliterary History of Persia, 'Vol.I, (Cambridge, 1951).

٢٧٢ A.Dixon,A.A.,The Umayyad Caliphate 65–86/684–705 , (Apolitical Study), (London'1971)
وقد ظهرت الترجمة العربية لهذا الكتاب :
دكسن ، عبد الامير ، الخلافة الاموية ٦٥ — ٨٦هـ/ ٦٨٤ — ٧٠٥م دراسة سياسية ، بيروت ، ١٩٧٣ .

٢٧٣ Frankfort. H., "Cylinder Sealss', (London, 1939)

٢٧٤ Gibb. H.A.R., "The Arab Conquests in Central Asia," (London, 1923).

٢٧٥ Gibbon.E.,"The History of the Decline and Fall of the Roman Empire," Vol VI, (London 1914)...

٢٧٦ Miles.S.B.,"The Countries and Tribes of the Persian Gulf (London, 1961).

٢٧٧ Muir.W.,"Annals of the Early Caliphate,"(Amsterdam, 1968).

٢٧٨ "The Caliphate, Its Rise, Decline,and Fall,(Edinburgh, 1924).

٢٧٩ Perier. J.,"Vie D'Al–Hadjdjadj Ibn Yousof"(Paris ,1904).

٢٨٠ Sykes. S.P., "A History of Persia, Vol. I,Third Edition , (London, 1958).

٢٨١ Walker. J.,"A Catalogue of the Arab–Byxzantine and Post–Reform Umaiyad Coins,' (London, 1956).
٢٨٢ "A Catalogue of the Arab–Sassanian Coins,"(London,1941).
٢٨٣ Weil,"A History of the Islamic Peoples,"Translated from the German by: Khuda Bukhsh, (Calcutta, 1914).
٢٨٤ "The Encyclopaedia of Islam, " First Edition, (Leyden, 1913–1934).

وقد رمزنا لها في الرسالة بـ E.I., 1

New Edition (Leiden, 1960 ..)

وقد رمزنا لها في الرسالة بـ E.I., 2 (in progress) .

٤ ـ المجلات والحوليات :

(آ) العربية :

• الاصيل : ناجي الاصيل

٢٨٥ ـ «واسط الحجاج» ، مجلة سومر ، العدد ١ ، جـ٢ ، ١٩٤٥ .

• جبور : جبرائيل جبور ،

٢٨٦ ـ «كتاب الامامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة ـ من هو مؤلفه ؟» ، مجلة الابحاث ، جـ٣ ، السنة ١٣ ، ايلول ، ١٩٦٠ .

• دكسن : عبد الامير عبد

٢٨٧ ـ «ملاحظات حول سياسة عبد الملك بن مروان في اختيار عماله» مجلة كلية الاداب بجامعة بغداد ، العدد ١٥ ، ١٩٧٢ .

٢٨٨ ـ «من حركات المعارضة الدينية السياسية في العصر الاموي» ، المجلة التاريخية ، العدد ٢ ، ١٩٧٢ .

• سلمان : عيسى سلمان

٢٨٩ – «درهم عبد الملك بن مروان» ، مجلة سومر ، م ٢٦ ، ١٩٧٠ .

* علي : جواد علي

٢٩٠ – «موارد تاريخ المسعودي» ، مجلة سومر ، م ٢٠ ، ١٩٦٤ .

* العلي : صالح احمد

٢٩١ – «ادارة خراسان في العهود الاسلامية الاولى» ، مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد ، العدد ١٥ ، ١٩٧٢ .

٢٩٢ «العطاء في الحجاز ، تطور تنظيمه في العهود الاسلامية الاولى مجلة » ، المجمع العلمي العراقي ، م ٢٠ ، ١٩٧٠ .

٢٩٣ – «مراكز السك الساسانية في العراق» ، مجلة المسكوكات ، العدد ٣ ، ١٩٧٢ .

٢٩٤ – «منطقة الكوفة» ، مجلة سومر ، م ٢١ ، ١٩٦٥ .

٢٩٥ – «منطقة واسط» ، مجلة سومر ، م ٢٦ ، ١٩٧٠ .

* القزاز : وداد علي

٢٩٦ – «الدراهم الاسلامية المضروبة على الطراز الساساني للخلفاء الراشدين في المتحف العراقي» ، مجلة المسكوكات ، العدد ١ ، ١٩٦٩ .

٢٩٧ – «الدرهم الاسلامي المضروب على الطراز الساساني للحجاج بن يوسف الثقفي» ، مجلة المسكوكات ، العدد ٢ ، ١٩٦٩ .

٢٩٨ – «الدرهم الاسلامي المضروب على الطراز الساساني لعبدالرحمن بن محمد الاشعث في المتحف العراقي» ، مجلة سومر ، م ٢٦ ، ١٩٧٠ .

٢٩٩ – «الدرهم الاسلامي المضروب على طراز ساساني لقطري بن الفجاءة في المتحف العراقي» ، مجلة المسكوكات ، العدد ٣ ، ١٩٧٢ .

٣٠٠ – «النقود الاسلامية المضروبة بالبصرة على الطراز الساساني» ، مجلة سومر ، م ٢٤ ، ١٩٦٨ .

* كرد علي – محمد

٣٠١ — «مميزات بني امية» ، مجلة المجمع العلمي العربي، العدد ١٦، ١٩٤١ .

• محمد : عبد الرحمن فهمي

٣٠٢ — « دراسة لبعض التحف الاسلامية » ، مجلة كلية الأداب (جامعة القاهرة) م٢٢ ، ج ١ ، ١٩٦٠ .

• مخلص : عبد الله مخلص

٣٠٣ — « تاريخ أبن اعثم الكوفي » ، مجلة المجمع العلمي العربي ، ج ٣ ، م ٦ ، ١٩٢٦ .

• معروف : ناجي معروف

٣٠٤ — « أول تأميم في العراق » مجلة الاقلام ، ج ٤ ، السنة الاولى، ١٩٦٤ .

٣٠٥ — «الضمان الاجتماعي في الاسلام أو التنظيم العمريفي الخراج » مجلة الأقلام ، ج ٧ ، السنة الاولى ، ١٩٦٥ .

• نجم : محمد يوسف

٣٠٦ — « كتاب الامامة والسياسة لأبن قتيبة — من هو مؤلفه ؟ » مجلة الابحاث ، ج ١ ، السنة ١٤ ، أذار ١٩٦١ .

• النقشبندي : السيد ناصر محمود

٣٠٧ — « الدرهم الاموي المضروب على الطراز الاسلامي الخاص » ، مجلة سومر ، م ١٤ ١٩٥٨ .

ب— الاجنبية :

٣٠٨ Krikman. J., "The Mints of Iraq During the Ommayed and Abbasid Periods", Sumer, Vol. I, July, 1945 .

٣٠٩ Miles.G.C.,"AbyzantineBronze Weight in the Name of Bishr ibn Marwan", ARABICA, Ix 1962 .

Philip. G, "The Monetary Reforms of Abd Al-Malik..', ٢١٠
Journal of the Economic and Social History of the ٢١١
Orient, JESHO, III, 1960.

Sprengling. M., "From Persian to Arabic", The American Journal of Semitic Languages and Literature, Vol. 56, 1939 .

الفهـــارس

فهرس الاعلام

«آ»

«ب»

«خ»

«د»

«ذ»

«ر»

«ز»

«س»

«ش»

«ص»

«ط»

«ع»

«غ»

«ف»

«ق»

«و»

«ي»

فهرس الاماكن والمواقع

«أ»

«ب»

«ز»

«س»

«ش»

«ص»

«ك»

«م»

«ن»

«هـ»

«و»

(ي)

فهرس القبائل والطوائف والملل

قام بأعداد هذه الفهارس سهيل قاشا
يوم الجمعة ١٨ كانون الثاني ١٩٨٥ م .

محتويات الكتاب

الصفحـــة

الصفحة

الصفحة

الفصل الخامس

الفصل السادس

من كتب وبحوث المؤلف

اولا الكتب :

١ ـ الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقيا والأندلس ، منشورات وزارة الاعلام العراقية ، بغداد ، ميلانو ، ١٩٨٢.

٢ ـ العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي ، منشورات مكتبة بسام في الموصل ، ١٩٨٥ .

ثانيا : البحوث :

١ ـ حسن باشا مؤسس نظام المماليك في العراق ، مجلة المورد ، م ٣، العدد الثالث ، بغداد ، ١٩٧٤ .

٢ ـ مجتمع بغداد من خلال حكاية ، «أبو القاسم البغدادي » ، مجلة المورد م ٣ ، العدد الرابع ، بغداد ، ١٩٧٤ .

٣ ـ نظرة جديدة إلى جوانب من حياة الحجاج ، مجلة الكتاب (يصدرها اتحاد المؤلفين والكتاب) العدد ٨، السنة الحادية عشرة ، بغداد، ١٩٧٤.

٤ ـ جهاز الأمن والشرطة السرية في العصر العباسي ، مجلة الشرطة ، العدد ٣٠ ، بغداد ، ١٩٧٥ .

٥ ـ الحجاج بن يوسف الثقفي وأثره على حركة الفتوح الاسلامية ، مجلة الرسالة الاسلامية ، العدد ٨٢ ـ ٨٣ ، بغداد ، ١٩٧٥.

٦ ـ صور من سياسة الحجاج الثقفي المالية في العراق ، مجلة المورد ، م ٥ ، العدد الثالث ، ١٩٧٦ ، م ٩ ، العدد الثاني ١٩٨٠ .

٧ ـ تعريب دواوين العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي ، مجلة آفاق عربية ، العدد ١٢ ، بغداد ، ١٩٧٩ .

٨ ـ من اعمال وصلاحيات صاحب الشرطة في العصر العباسي ، مجلة الجامعة العدد ، ٥ ، السنة العاشرة ، الموصل ، ١٩٨٠ .

٩ ـ من أسباب فشل الثورات العراقية في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي مجلة التربية والعلم ، العدد الثاني ، الموصل ١٩٨٠ .

١٠ ــ أثر الحضارة العربية الاسلامية على البرتغال (مترجم عن الانكليزية) مجلة آفاق عربية ، العدد الأول ، السنة السادسة ، ١٩٨٠ .

١١ ــ نشأة التدوين التاريخي في الاندلس ــ دراسة تطبيقية عن احمد بن محمد الرازي ــ مجلة دراسات (تصدرها الجامعة الاردنية) ، م ٧ ، العدد الأول ، حزيران ١٩٨٠ .

١٢ ــ استيطان القبائل البربرية في شمال افريقيا قبل الاسلام ، مجلة ، حوليات الجامعة التونسية ، العدد ١٨ ، تونس ١٩٨٠ .

١٣ ــ اشبيلية في التراث العربي ، مجلة المؤرخ العربي (يصدرها اتحاد المؤرخين العرب) العدد السابع عشر ، بغداد ، ١٩٨١ .

١٤ ــ ثروة الخلفاء والضياع السلطانية في العصر العباسي ، مجلة التربية والعلم ، العدد الثالث ، الموصل ١٩٨١ .

١٥ ــ استقرار القبائل البربرية في الأندلس . مجلة أوراق (يصدرها المعهد الأسباني ــ العربي للثقافة في مدريد) ، العدد ٤ ، ١٩٨١.

١٦ ــ نص أندلسي من تأريخ ابن أبي الفياض ، مجلة المجمع العلمي العراقي العدد الأول ، المجلد الرابع والثلاثون ، بغداد ، ١٩٨٣ .

١٧ ــ الأندلس من خلال كتاب صورة الأرض لابن حوقل ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٢٣ . بغداد . ١٩٨٣ .

١٨ ــ الجهد العسكري العربي الاسلامي في جبهة المشرق في العهد الأموي ، مجلة رسالة الخليج العربي (يصدرها مكتب التربية العربي لدول الخليج) الرياض ، العدد التاسع ، السنة الثالثة ، ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ .

١٩ ــ تحالف الممالك الاسبانية في الاندلس وأثره على سقوط غرناطة ، مجلة البحث العلمي ، العدد ٣٤ ، الرباط ، ١٩٨٤ .

٢٠ ــ قيام الممالك الاسبانية وعلاقاتها مع العرب في الاندلس ، مجلة أوراق ، العدد الخامس ، مدريد ، ١٩٨٤ .

ثالثاً : كتب وبحوث قيد الانجاز والنشر .

١ ــ تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس ، كتاب منهجي بالاشتراك مع آخرين .

٢ ــ أحمد بن عمر العذري مؤرخاً .

٣ ــ طبيعة الجهد العسكري العربي في شمال اسبانيا وجنوب فرنسا في عهد الولاة .

٤ ــ الجهد العسكري العربي في جبهة المغرب .

٥ ــ بعض التقاليد العربية الاسلامية في الحياة الاسبانية(ترجمة عن الانكليزية)

٦ ــ الموريسكيـون (ترجمة عن الانكليزية).

٧ ــ أهمية الأحاديث النبوية الشريفة في كتابة التاريخ ــ دراسة تطبيقية على منهج ابن حزم الأندلسي في كتابه « حجة الوداع »

٨ ــ دراسة نقدية لمعارك الفتوح العربية الحاسمة في شمال افريقيا .

٩ ــ موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن شمال افريقيا من الفتـح الى عصر المرابطين .

١٠ ــ موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن الاندلس من الفتح الى نهاية عصر الطوائف.

١١ ــ تنظيمات الجيش في الاندلس في العصر الاموي .

١٢ ــ رؤية جديدة في تاريخ المغرب والاندلس .

IRAQ

UNDER al-Hajjaj Ibn Yusuf al-Thaqafi

BY

Dr. Abdul Wahid Dh. Taha

Arab Encyclopedia House